الدول العربية وآدابها

انيس الخورى المقدسى

الدول العربيّة وآدابها

موجز في تاريخ الادب يتناول اخبار الدول العربية وما نشأ فيها من الاداب

وفيه تراجم اشهر الشعراء والكتبة

وامثلة من اجود ما روي لهم

لمؤلفه

انيس المقدسي

استاذ الأدب العربيّ في جامعة بيروت الاميركيّة

الطبعة السادسة

يطلب من المطبعة الاميركانية في بيروت

وسائر المكاتب المهمة

الطبعة السادسة

ان الاقبال الذي حظي به كتاب الدول العربية وادابها قد اثبتَ لنا ما كنا نشعر به لما شرعنا بوضعه من انّ المدارس عامة في اشد الحاجة الى موجز في تاريخنا الادبي منسّق على احدث اسلوب ، مستقى من اصدق المصادر واوثقها . وان الامل لوطيد ان معاهد التعليم سترى فيه ما يعينها على درس الاداب العربية والتاريخ العربي

وقد بذلنا قصارى الجهد في تحسين الكتاب فاضفنا اليه عدداً من الرسوم واشرنا الى المصادر الرئيسية رجاءَ ان يستفيد من ذلك الطالب والمتأدب وهو مما لا تجده عادة في الكتب الموجزة التي من طبقته . ولكي تكون الفائدة اعمّ جمعنا فيه بين وقائع التاريخ العربي العام وما ظهر فيه من ثمار العقول والقرائح ، فيقف الطالب على اخبار الامة العربية التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ العالم ، وعلى اشهر مَن نبغ في الناطقين بالعربية من الرجال ، وافضل ما تركوه لنا من آثارهم الادبية

ا . خ . م

المطبعة الاميركانية بيروت سنة ١٩٣٩

العرب والعربية

العرب من الامم الساميَّة · فهم اخوان البابليّين والاشوريين والعبرانيين والفينيقيين والاحباش · تفرَّعوا من الاصل الساميّ قبل التاريخ بازمان متطاولة ، وتضاربت الآراء في منشأهم الاول · والمرجَّح انهم قاموا في جزيرة العرب ومنها امتدُّوا الى سائر البلدان [١] · وقد قال احد الثقات ان جزيرة العرب هي التي انشأت اخلاق الساميّ [٢] · اما لغتهم فمن احدث اللغات الساميَّة آدابًا ، كما يتبين لك من الجدول التالي [٣]

البابلية والأشورية	من ٣٠٠٠ سنة ق·م الى ٥٠٠ ق·م	
العبرانية	〃 ١٥٠٠ 〃	
الحِميَرية	〃 ٨٠٠ 〃	
الآرامية	〃 ٨٠٠ 〃	
الفينيقية	〃 ٧٠٠ 〃	
الحبشية	〃 ٣٥٠	ب·م
العربية	〃 ٥٠٠	

ومع حداثة الآداب العربية فان العربية اقرب الى الاصل السامي من سواها، كما ان عرب الجزيرة اقرب الى الدم الاصلي من سواهم · وذلك لما في موقعهم

(١) Smith-Religion of the Semites 10 · ودائرة المعارف البريطانية Arabia

(٢) Olmstead-Hist. of Assyria 7

(٣) راجع مقدمة كتاب Lit. Hist. of the Arabs لنكلسون

الجغرافي وطبيعة احوالهم مما يدعو الى البساطة في العيشة والاحتفاظ بالقديم ·
فلما حدث الفتح الاسلامي وخرج العرب من مساكنهم في شبه جزيرتهم الى
ما فتحوه من الممالك اتّسع نطاق لغتهم اتساعاً عظيماً ، واصبحت بعد زمن يسير
لغة العلم والتجارة في العالم الاسلامي

وكما ان العربية مدينة للاسلام بانتشارها كذلك هي مدينة له بحياتها
يدلُّك على ذلك ان العرب ، مع ضياع ملكهم في القرون الوسطى وذهاب
عزّهم الى الدول الاعجمية ، بقوا محافظين على لغتهم ، مكّنهم من ذلك تمسُّكهم
الشديد بالقرآن وعدِّهم لغتهُ لغة مقدّسة ، بها يجب ان يتمسّكوا وعلى
تقاليدها يجب ان يحافظوا

ولقد انقرض اكثر الامم السامية ، ولم يتركوا لنا من ادابهم الا آثاراً
قليلة · اما العرب فلا يزالون ، لغتهم حيّة واسعة وآثارهم كثيرة

وهم من جهة انسابهم القديمة قسمان كبيران عدنان وقحطان : فالقحطانية
او عرب الجنوب كانوا اصحاب ملك ضخم وعمران كبير ولا تزال آثارهم
الى اليوم شاهدة بما وصلوا اليه من الارتقاء والسيادة(١) · بقيت دولتهم الى
اواخر القرن السادس للميلاد ثم غلبوا على امرهم وقد انقرضت لغتهم او لغاتهم
اليمنية وصارت السيادة في جزيرة العرب الى ابناء عمهم العدنانية سكان
الشمال · وهؤلاء كانوا ولا يزالون قبائل قبائل ، منهم الحضر سكان المدن
ومنهم البادية الرُحّل الذين يسكنون الخيام ويظعنون في طلب الماء والكلاء ·
ولغتهم لغة الشعر الجاهلي ولغة الآداب في الوقت الحاضر · وقد كانت قبل

---

(١) وجد الى اليوم من آثار عرب الجنوب نحو من الفي لوحة مكتوبة — راجع
دائرة المعارف الاسلامية تحت Arabia

الدعوة الاسلامية على ما يظهر لغة راقية ، يدلنا على ذلك بلاغة القرآن وجمال المبنى في الشعر الجاهلي . على انه ليس لهم من الجاهلية آثار كتابية تذكر ، فلم يصل الينا من ادابهم الا ما نقله الرواة والحفظة في صدر الاسلام . وكثير من هذا دخيل لا يعوّل عليه

ولم تكن قبائل العرب تتّبع في نطق العربية مذهباً واحداً ، على ان لسان قريش غلب جميع الالسنة العربية ، اذ به كُتب القرآن ، واهله اصحاب التجارة وحرّاس الكعبة ؛ فصار له ميزة خاصة لا ينازعه فيها منازع

ولزيادة الايضاح نقسم تاريخ العرب ثلاثة اقسام :

الاول — **العرب البائدة** : واخبارهم خارجة عن نطاق التاريخ

الثاني — **الدول العربية القديمة** : ويدخل فيه سبأ وحِمْيَر والانباط وتَدمُر والغساسنة والمناذرة وغيرهم ممن نشأ قبل الاسلام ، وما كان لهم من الآداب والعلوم . وهو يمتد من ٨٠٠ ق . م الى ظهور الاسلام

الثالث — **العرب بعد الاسلام** : وهو سبعة اعصر [١]

١ — عصر صاحب الشريعة الاسلامية والخلفاء الراشدين واخبارهم

٢ — العصر الأُموي في الشام

٣ — العصر الأُموي في الاندلس

٤ — العصر العباسي وهو مدّتان : الاولى مدة زهو الخلافة السياسيّ وتمتد نحواً من قرن وبعض القرن . والثانية مدة التأخر والانحلال وهي بضعة

---

(١) هذا التقسيم سياسي لا ادبي فان التطورات الادبية لا تنطبق تماماً على التطورات السياسية

ادوار وتنتهي بفتح التتر لبغداد في منتصف القرن السابع الهجري (او الثالث عشر للميلاد)

٥ — الخلافة الفاطمية في مصر وقد نشأت وانقضت في اثناء العصر العباسي

٦ — احوال العرب والعربية بعد سقوط بغداد

٧ — النهضة الحديثة

جغرافية بلاد العرب

بلاد العرب شبه جزيرة عظيمة الاتّساع واقعة في الطرف الغربي من آسيا. يحدها شمالاً شرقي الاردن وسوريا ، وشرقاً العراق وخليج العجم وخليج عمان ، وجنوباً المحيط الهندي ، وغرباً بوغاز باب المندب والبحر الاحمر

وهي اليوم بضع ممالك او امارات رئيسية اهمها :

الحجاز :

بلاد جبلية جرداء تتصل شمالاً بامارة شرقي الاردن. وجنوباً ببلاد عسير وتحجز تهامة (البلاد السهلية الضيقة الواقعة على البحر الاحمر) عن نجد ولذلك سميت بالحجاز ، واشهر مدنها :—

مكة : وهي عاصمة المملكة الحجازية ، وفيها الكعبة المكرّمة او بيت الله الذي يحجّ اليه المسلمون من جميع الاقطار

المدينة : وفيها قبر النبي العربي والحرم المقدس واسمها القديم يثرِب

جده : وهي ميناء مكة كما ان ينبُع ميناء المدينة

الطائف : اقليم خصب كثير البساتين والفواكه ، وهو مصطاف اهل مكة

نجد :

وهي فلوات مرتفعة واقعة بين الحجاز غرباً والبحر الفارسي والعراق شرقاً. ويحدها جنوباً الرُبع الخالي (صحراء كبيرة جداً في جنوبي بلاد العرب) وشمالاً بادية الشام وبادية العراق. ويدخل فيها اليوم الأَحساء على خليج فارس واليمامة وشمّر وغيرها ، وأهم حواضرها رياض ، وحايل ، وبُرَيدة ، وعنيزة



شبه جزيرة العرب

ونجد سلطنة ذات سيادة وهي مقرّ الوهّابية[1]، واكثر قبائلها من ربيعة

اليمن :

دولة مستقلة يحكمها الامام يحيى زعيم الزيدية

وهي في الجنوب الغربي من الجزيرة العربية كانت قبلاً مهد الحضارة العربية القديمة، والجغرافيّون الاقدمون يطلقونها على كل بلاد العرب الجنوبية.

واشهر مدنها صنعاء كانت ولا تزال عاصمة اليمن وهي من اهم المدن في الجزيرة العربية ، وتعرف قديماً ببرودها وسيوفها اليمانية

ومن مدنها التاريخية المشهورة مأرِب (عاصمة سبا القديمة) ونجران التي اشتهرت بكعبتها . وهناك اليوم حُديدة وذمار وتعزّ وسواها

. . . . .

ويفصل اليمن اليوم عن البحر الهندي ٩ امارات صغيرة مستقلة[2]. اما عدن فتابعة لدولة بريطانيا العظمى

. . . . .

ومن اقسام جزيرة العرب

عسير : واقعة بين اليمن والحجاز واهم حواضرها صبية وجيزان وهي اليوم تابعة لابن السعود ملك الحجاز ونجد

حضرموت : في الجنوب على البحر الهندي

عُمان : في الزاوية الشرقية الجنوبية وعاصمتها مسقط

ارض البحرين : على خليج فارس وفيها مغاصات اللؤلوء المشهورة

---

(١) وهي متحدة اليوم مع الحجاز في مملكة واحدة يرأسها الملك ابن السعود زعيم الوهابيين (٢) راجع وصف كل منها في كتاب ملوك العرب للريحاني ج ١

والكويت : في رأس خليج فارس وهي مركز تجاري معروف

تهامة : ذكرنا انها السهول الضيقة المتاخمة للبحر الاحمر على انها ليست امارة مستقلة بل هي تابعة لما يجاورها من الامارات الاخرى ، فهناك مثلاً تهامة الحجاز وتهامة عسير وتهامة اليمن

. . . . .

ويقدّرون مساحة شبه جزيرة العرب بنحو مليون ومئتي الف ميل مربع وعدد سكانها بنحو سبعة ملايين [١] ، ويوصلها بعضهم الى تسعة [٢] ، او الى عشرة . على ان قسماً كبيراً منها فلوات جرداء خالية من اسباب الحياة والعمارة . وجبالها سلسلة تسمى جبال السَّراة تمتد من العقبة على مقربة من البحر الاحمر الى اليمن ثم تنعطف الى عمان وارض البحرين . وفيها كثير من القمم العالية اعلاها جبل سماره [٣] في اليمن ويبلغ علوُّه عشرة آلاف قدم . وتنحدر من جبالها سيول شتوية كثيرة ولكن قليل منها يصل البحر . اما هواء البلاد فمعتدل في الجبال العالية ولكنه حارٌّ جداً في السهول . وينبت في اوديتها كثير من انواع الفواكه والرياحين والحبوب

على ان اخصبها اليمن وقد دعاها الرومان العربية السعيدة تميزاً لها عن الاقسام الشمالية . واهم محصولاتها البنُّ والقمح والشعير ، ويصفها المؤرخون القدماء بانها من اخصب بلدان الدنيا قال الهمداني « صفة اليمن الخضراء وسميت اليمن الخضراء لكثرة اشجارها وثمارها وزروعها [٤] »

واهم حيوانات بلاد العرب الخيل والجمال والغنم وهم يعتمدونها في قضاء حاجاتهم ومنها الحمير وبقر الوحش والغزلان والذئاب والنمور وغيرها

---

(١) دائرة المعارف البريطانية Arabia (٢) تاريخ العرب فانديك ٥

(٣) كذا في ملوك العرب للريحاني (٤) راجع ايضاً معجم البلدان (يمن)

العرب البائدة

لا يرى الباحث في احوال الامم قبل فجر التاريخ الحقيقي الاَّ ظلمات بعضها فوق بعض · فما اخبار اليونان والفرس مثلاً قبل تاريخهم الحقيقي الاَّ اساطير لا اساس علميّ لها ، كذلك العرب وراء القرن الثامن قبل الميلاد فان اخبارهم لا تروي غليل المؤرخ المدقق · من ذلك ما رووه عن قبائلهم البائدة وقد آثرنا ذكرها هنا لكثرة ورودها في الاداب العربية· واشهرها

عاد الاولى :— كانوا يسكنون الاحقاف ما بين عُمان الى حضرموت وقد ورد ذكرهم في المصحف الكريم ، وانه قام منهم نبيّ اسمه هود ، فلما رأى فسادهم نهاهم وانذرهم بسوء مصيرهم ، فلم يكترثوا له ولم يسمعوا لكلامه فاهلكهم الله الاَّ من آمن بهود · ومن هؤلاء نشأت عاد الثانية التي يزعمون ان لقمان الملقَّب بذي النسور احد ملوكها وباني سدّ مأرِب المشهور· وجميع ما ذكره الاخباريّون عن عاد مضطرب لا يصحُّ التعويل عليه [1] · والى قدميّتها يشير المعري بقوله :

صاح هذي قبورنا تملأُ الرُّحب   فاين القبور من عهد عاد

ثمود — وكانوا يقيمون شمالي العربية بين الحجاز والشام وآثارهم على ما يقولون بادية في مدائن صالح بطريق الحج الشامي · ولم يزالوا ، كما ورد في القرآن ، بأرغد عيش حتى كفروا وبطروا ، فارسل الله اليهم نبيًّا اسمه صالح يدعوهم الى سواء السبيل فلم يؤمن به الا قليل مستضعفون · فكان مصيرهم مصير عاد ابادهم الله عبرة لغيرهم [2] · والى قصَّتهم يومىء المتنبيّ اذ يقول

(١) ابو الفداء ج ١–١٠٣   (٢) وقد ورد ذكرهم في الاثار الاشورية والاخبار الرومانية القديمة مما يثبت وجودهم التاريخي — دائرة المعارف الاسلامية Thamud

انا من امّة تدار كها الله غريبٌ كصالحٍ في ثمودِ

طسم وجديس — وهما قبيلتان زعموا ان مسا كنهما كانت اليمامة والسيادة فيهما لطسم · ظلُّوا على ذلك برهة من الزمن حتى انتهى الملك الى رجل غشوم سام جديس الذل والهوان · فقامت جديس عليه وعلى قومه وافنوهم عن اخرهم ، لم يفلت منهم الا رجل اسمه رباح بن مرّة · فجاء الى حسّان بن تُبّع ملك اليمن اذ ذاك وشكا اليه ما فعلته جديس بملكهم · فاجابه حسان ونهض بمن معه للأَخذ بثار طسم

ومن اساطيرهم انه كان في جديس امرأَة تدعى زرقاء اليمامة تبصر الى مسافة شاسعة ، فلما حمل حسان عليهم ابصرت جيشه وهم على بعد ثلاث مراحل وقد حملوا الاشجار الصغيرة ليخدعوها ، فانذرت اهلها فكذّبوها وغفلوا عن اخذ الأُهبة ، ففاجأهم الاعداء وأبادوهم · وقد اصبحت هذه المرأة مضرب المثل بحدة النظر

قال احد شعراء العصر في هجاء قاضٍ :

أَعرني طرف زرقاء اليمامه لانظر ما ورا تلك العمامه

. . . .

ومن القبائل البائدة أميم بارض وِبار في الجنوب ، وعبيل بيثرب ، وجُرهم بمكة ، والعمالقة وهم قبائل متعددة ، منهم على ما يقولون عمالقة التوراة

سبا وحمير

وهما من دول اليمن . من ٨٥٠ ق٠م — ٥٢٥ ب٠م

ولئن بالغ المؤرخون في وصف مملكة سبا وافرطوا في ذكر غناها فلا شك انها كانت من اغنى الممالك التي زهت قبل الميلاد[1] ٠ ولا غرابة فان طريق البحر بين الهند وبلاد العرب لم تكن صالحة ، فكانوا يحملون التجارة الهندية براً عن طريق عمان الى الخليج العربي ومنه كانت ترسل الى مصر ٠ ولعسر الملاحة في البحر الاحمر كانوا يؤثرون الطريق البرية الى الشام فكانت القوافل تأتي من حضرموت الى مأرِب عاصمة سبا ، ومنها شمالاً الى مكة فبترا عاصمة الانباط فغزة على البحر ، ثمّ الى سائر الانحاء٠« فكانت ارض سبأ لذلك العهد من ارفه البلاد واخصبها ، وكانت مدافع للسيول المنحدرة بين جبلين هناك فضُرب بينهما سدّ بالصخر والقار يحبس سيول العيون والامطار حتى يصرّفوه من خروق في ذلك السد على مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم[2] » ٠ ويعرف هذا السد بسدّ مأرِب وهو على ما وصفوه لا يقلّ عن خزّان اصوان ضخامة ان لم يفقه٠ وفي الاخبار انه انفجر انفجاراً عظيماً فجرى السيل العرِم وغمر الاراضي التي حوله٠ فتفرّق اهل سبأ

(١) راجع اقوال المؤرخين القدماء من يونان ورومان وسواهم في دائرة المعارف الاسلامية Saba (٢) تاريخ ابن خلدون ٢—٢٥٢

وسارت كل طائفة منهم الى جهة ومن ذلك المثل المشهور « تفرّق القوم ايدي سبا » اي تشتتوا ، وقد رووا للاعشى قوله :

وفي ذاك للموتسي اسوةٌ ومأرِبُ عفّى عليها العرِمْ (١)
رُخامٌ بنته لهم حِميرٌ اذا جاءَ موّارهُ لم يرِمْ (٢)
فاروى الزروع واعنابها على سعةٍ ماؤهم اذ قُسِمْ
فصاروا ايادي ما يقدرون منهُ على شرب طفلٍ فطمْ

ولانفجار هذا السدّ حكاية ننقلها من قبيل التفكهة لا من قبيل الحقائق التاريخية

قيل تبوّأ عرش مأرب في اواخر القرن الثالث ب . م ملك يقال له عمرو بن عامر . فرأى مرّة جرذاً يحفر السدّ فعلم انه لا بقاءَ له على هذه الحال . واراد النزوح لكنه عزم ان يكيد قومهُ ويبيعهم املاكه . فجاءَ الى اصغر اولاده وقال له اني سأُغلظ لك في الكلام على مسمع من قومي ، فاذا فعلتُ ذلك فالطمني على مرأى منهم ، ففعل . فقال عمرو لا اقيم في بلد يلطمني فيها اصغر اولادي . فقال اشراف اليمن اغتنموا غضب عمرو واشتروا امواله

ولما انتهى من بيع ما لهُ انتقل باولاده واولاد اولاده نحو الشمال فتبعه بعض قومه . ومن هؤلاء نشأت دولة غسّان في الشام ، ودولة لخم في الحيرة . ونزل بعضهم بيثرب مدينة الرسول ، وغيرهم بعمان .

هذه هي القصة (٣) . والحقيقة ان السدّ لم يخرب تماماً الا في منتصف القرن

---

(١) عفى عليها اي اهلكها (٢) الموّار . الماء الجاري بسرعة . يرم مضارع رام بمعنى مال او زال ويراد به ان السد كان اولاً ثابتاً امام الموار الشديد (٣) البلاذري ١٦

السادس للميلاد ، ولعل حادثة عمرو بن عامر تشير الى انفجار قديم حدث في السد[١] . اما تفرُّق القبائل فيشير الى نزوحهم تدريجاً لضيق الارض بهم ولتحوُّل التجارة عنهم . ويجعل العلاّمة سمث تحوُّل التجارة سبباً لانحلال الحكومات اليمنية ثم النبطية[٢]

حِمير :

ولما تفرّق اهل سبا او ضعف امرهم تحوّل ملكهم الى حِمير وهم اقرب من سبا الى البحر . « وينفرد بنو حِمير بالملك وكان منهم التبابعة اهل الدولة المشهورة[٢] » . وهم طبقتان ، الاولى تقابل ما تسميه العرب حِمير ، والثانية التبابعة . وتنتهي دولتهم بذي نواس سنة ٥٢٥ م وكان متعصباً لليهودية[٣] . ومن اشهرهم تُبَّع اسعد كامل ابو كرِب واخباره اشبه بالخرافات[٤] . فقد زعموا انه غزا العجم والترك والروم وهزم جيوشهم وفتح البلاد ، ثم رجع الى اليمن وقد هابته الملوك . ويقال انه غزا المدينة وكسا الكعبة . وخلفه ابنه حسان وهو الذي استباح طسماً وجديس كما مرّ معنا . والظاهر ان سياسته لم ترق لرؤساء حمير فاغرَوا اخاه على قتله ونصبوه مكانه ، ثم استبدّ الامراء بالاحكام وعمَّت الفوضى ففزاهم الاحباش متذرّعين لذلك بالثأر لنصارى نجران الذين قتلهم ذو نواس . وكان في جيش الاحباش رجل ذو بأس ومراس يقال له ابرهة الاشرم فقتل قائد الاحباش ارياط واستبد هو بالاحكام ، ثم حمل على مكة فلم يُفلح . وتعرف سنة حمله عليها بعام الفيل

(١) راجع ما نقله نكلسون عن غلايزر في كتابه تاريخ العرب الادبي صفحة ١٥

(٢) Religion of the Semites 71 (٢) ابن خلدون ٢ - ٢٤٢

(٣) زيدان العرب قبل الاسلام ١٢٣ (٤) راجع مقدمة ابن خلدون الفصل الاول

وهي السنة ٥٧٠ ب٠م ٠ على ان ابنيه اعادا الكرّة على العرب فابليا بهم بلاءً حسناً ٠ واستفزّت الحميَّة احد اشراف اليمن المعروف بسيف بن ذي يزن فنهض لمقاتلة الاحباش٠ وكان قد استنجد كسرى ملك الفرس واستشفع اليه بملك الحيرة ، فأمدّه بالرجال والمال حتى قهر الاحباش وجعل اليمن تابعة للفرس ٠ ثم دخلت اليمن في حوزة الاسلام وتعاقبت عليها دولهُ فكانت تابعة لكل منها حتى الحرب الكبرى (١٩١٤) التي رفعت عنها حكم الاتراك فاصبحت امارة مستقلة

ولليمن القديمة لغة تختلف عن لغتنا العربية المعروفة[١] ٠ويعرف خطهم عند العرب بالمُسنَد ٠ وقد وجد العلماء الذين درسوا آثار العرب واخرجوا مخبآتها كثيراً من بقايا الخط السبأي والمعيني ترجع الى القرن الخامس والسادس قبل الميلاد ، ويظن البعض ان كثيراً منها يرجع الى القرن العاشر ق٠م

ولغة هذه الآثار درجة وسطى بين العربية والحبشية ولكنها اقرب الى العربية[٢] التي نجدها في القرآن ٠ ويقول نكلسون ان لغات الجنوب كانت ميتة عند ظهور الاسلام[٣]

والخلاصة ان مملكة سبا كانت اولاً مركز التجارة ، فكثر غناها واصبحت مضرب الامثال في العظمة والقوة ٠ ثم سقطت وقام مقامها دولة حمير ، فزهت الى حين ثم سقطت ٠ وبسقوطها انتهى امر دول الجنوب ولم تلبث بعد ظهور الاسلام ان اصبحت تابعة لدول الشمال العدنانية ٠ على ان العصبيَّة اليمنية لم تمت في نفوس القبائل التي ترجع بنسبها الى عرب الجنوب ومنها كنانة وخزاعة وطي وكندة وغسان ولخم والازد والخزرج ومذحج

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٥٠٩ (٢) دائرة المعارف البريطانية Sabaeans 11

(٣) Lit. Hist. 6

وكلب وكثير غيرها ، وقد لعبت هذه العصبيَّة دوراً مهمًّا في تاريخ العرب كما سيجيء . اما عاصمتها صنعاء فمدينة طيِّبة الهواء كثيرة الماء قال بعض الشعراء فيها[١]

سقياً لصنعاءَ لا ارى بلداً | اوطنه الموطنون يشبهها[٢]
خفضاً وليناً ولا كبهجتها | ارغد ارضٍ عيشاً وأرفهها
يعرف صنعاءَ من اقام بها | اغذى بلادٍ غِذاً وانزهها

ويؤخذ من وصف الواصفين لها انها تشبه دمشق بكثرة فواكهها ومياهها[٣] . وهي تعلو اكثر من سبعة آلاف قدم عن سطح البحر

. . . . .

ومن الدول الجنوبية العريقة في القدم والحضارة مَعين وحضرموت وقَطَبان . ومعرفتنا عنها ولا سيما الاخيرتين ضئيلة جداً . ولعلَّ ما يقوم بدرسه العلماء الآن من الاثار الكتابية الجنوبية ، وما سينشرونه منها يكشف لنا عن كثير من اخبار تلك الدول واحوالها

---

(١) معجم البلدان تحت صنعاء

(٢) اوطنهُ الموطنون اي سكنه الساكنون

(٣) راجع وصفها ايضاً في احسن التقاسيم للمقدمي ٨٦ وفي كتاب ملوك العرب لامين الريحاني ج ١–١٠٦

دولة الانباط

في بترا[1]

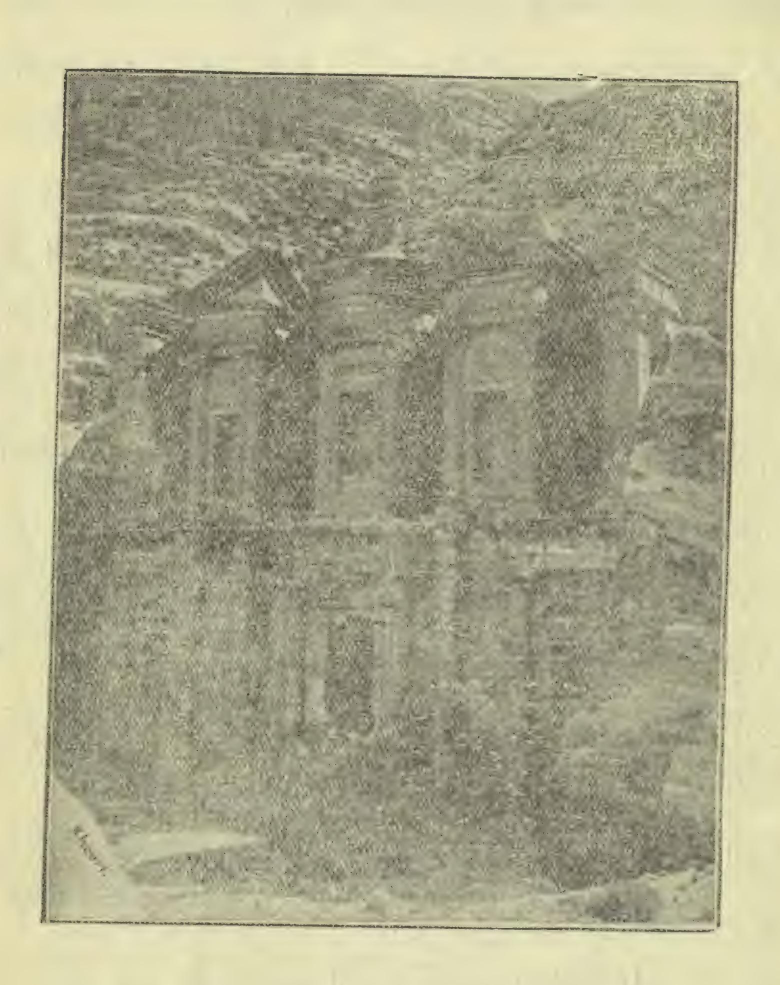
اختلف الكتبة في اصل هذه الدولة القديمة فذهب قوم الى انها ارامية. والذي يكاد يكون محققاً انها دولة عربية[2]، كما يتبين لك من اسماء ملوكهم واليك بعضهم:

حارثة (او الحارث) الاول ١٦٩ ق.م، حارثة الثاني ١١٠—٩٦، عبادة الاول ٩٠ مالك الاول ٤٧—٣٠

وكان الانباط يسكنون البلاد الواقعة بين سوريا وجزيرة العرب. ويصفهم المؤرخون القدماء بالتقدم والعمران وانهم اهل زراعة وتجارة واسعة. وقد تمكنوا من الاستيلاء على خليج العقبة في البحر الاحمر، فوسّعوا بذلك تجارتهم. وامتدّ سلطانهم شمالاً الى قلب سوريا، فاستولوا على حوران ووادي الاردن، وعقدوا حلفة تجارية مع رومة فاصبحوا اصحاب وجاهة وثروة واسعة. ساعدهم على ذلك ان بلادهم كانت ملتقى طرق التجارة بين الشرق والغرب، تمرُّ في عاصمتهم بترا تجارة غزّةَ ودمشق والبحر الاحمر وخليج فارس وبلاد العرب. فزهت هذه المدينة وعظمت سطوتها وظلّت على حالها من الزهو حتى الى ما بعدَ سقوط الأمة النبطية واستيلاء الرومان عليها

وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية ان احد ملوكها حارثة (Aretas) استولى على الشام. وظلّ هؤلاء الملوك يتنعمون بمحالفتهم للرومان كل القرن الاول للميلاد. على ان الرومان لم يثبتوا على ولائهم فلما بزغ

(١) والبعض يدعونها البتراء. ونعرف آثارها اليوم بوادي موسى في امارة شرقي الاردن (٢) دائرة المعارف الاسلامية Nabataean



اثار هيكل منحوت في الصخر

(بترا)

القرن الثاني (١٠٦) غزاهم الامبراطور تراجان واستولى على ديارهم، فضمّ اهمّها الى المملكة الرومانية. وبذلك انفرط عقد الوحدة النبطية، وضاعت جنسيتهم مع الزمان . وعلى هذه الحال وجدهم العرب عند ما تقدموا شمالاً نحو سوريا فصار النبط عندهم عبارة عن الآراميين[1]

وكانت تدمر في اثناء ذلك قد بدأت بالتقدم كوازع مركزي للخط التجاري الشمالي بين العراق وسوريا . فلما انهار صرح بترا التجاري في مفتتح القرن الثالث للميلاد تحولت تجارتها اليها، فازدهت تدمر وبلغت بذلك اوجها العمراني

اما لغة النبط فلم تكن عربية صرفة بل كانوا يستعملون اللغة الآرامية (لغة سوريا والجزيرة) لان العربية لم تكن قد كتبت . ومع ان عربيتهم تُستدل من اسمائهم فانهم لم يتركوا لنا اثراً باللغة العربية[2]

ولم تكن ديانتهم في اول الامر مختلفة عن سائر ديانات العرب في شمالي الجزيرة فكانوا يعبدون الاوثان. واهمّ اصنامهم ذو الشَّرى (وهو حجر اسود) واللات، ومَناة، وهُبل وسواها . ثم جاءتهم المسيحية فاعتنقها السواد الاكبر منهم ولكنّ امرها لم يطل فيهم بعد الاسلام . وبترا الآن مقصد السيّاح وعلماء الآثار يقصدونها لمشاهدة ما فيها من الآثار العظيمة . وهي في حوض بين الجبال في الوادي الكبير الممتد من البحر الميت الى خليج العقبة[3]

---

(١) دائرة المعارف البريطانية Petra

(٢) ج ٢ ص ١٥٦ — ١٦٦ Roman provinces, mommsen

(٣) وقد شاهدناها عام ١٩٣٢ فالفينا اكثر اثارها قبوراً عظيمة، واجهاتها ذات اساطين ضخمة دقيقة الرسوم . وكلها منحوتة في صخور الوادي الرملية المتنوعة الالوان نحتاً يدهش الناظرين

مملكة تدمر

في شمالي سوريا

تَدمر مدينة قديمة كانت تعدُّ من اعظم مدن الشرق واجلّها شأناً . وهي واقعة بين الفرات والعاصي على مسافة نحو مئة ميلٍ من حمص شرقاً ومئة وخمسين ميلاً من الشام شمالاً في شرقي في واحة تعلو نحو ١٣٠٠ قدم عن سطح البحر . ويزعم البعض ان باني هذه المدينة سليمان الحكيم ، على ان الآثار المكتشفة ترجع بتاريخها الى ما قبل ذلك[1] . وقد بلغت اوج مجدها في ايام الملكة زنوبيا ، وذلك في اوائل القرن الثالث للميلاد ، فكانت محطاً للقوافل السائرة بانواع البضائع من الهند وفارس الى فينيقيا . عاش اهلها مدة مديدة بالترف والنعيم واظهروا من الشجاعة في الحروب الرومانية ما يذكر لهم في التاريخ . غير انها بعد انكسار شوكة زنوبيا اخذت في الانحطاط شيئاً فشيئاً الى ان كانت دولة الاسلام ففتحها القائد المشهور خالد بن الوليد . ويظهر ان المدينة بقيت الى ان سقطت الدولة الرومانية ، ولا يزال فيها من آثار الهياكل والقصور والاروقة والقناطر ما لا يسع المقام وصفه . وهي من الاماكن التي يؤمّها السياح وعلماء التاريخ ، ويمرّ فيها اليوم خط للسيارات بين سوريا والعراق . وقد زرناها وتفقّدنا آثارها فاذا هي كما وصفوا من الجلال التاريخي . اما تدمر الحديثة فقرية يبلغ سكانها نحو ثلاثة آلاف ، وقد كان اكثرها قبلاً مبنياً بين اطلال الهيكل الكبير الذي يشبه هيكل بعلبك

(١) Olmstead, Hist. of Assyria 65

بضخامته واساطينه ، ثم نقلتها السلطة الى مكان آخر ٠ وهي كثيرة المياه والبساتين ولكن مياهها كبريتيَّة يعافها الغريب

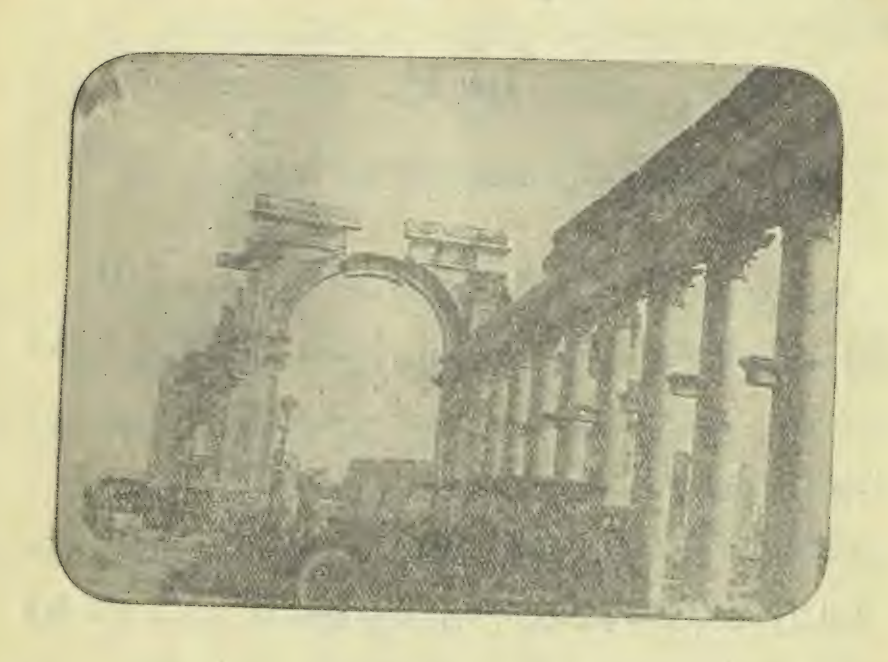
زنوبيا — اشتهرت هذه الملكة في التاريخ واصبحت مضرب المثل بالبأس والجمال والاقدام ٠ وكانت تدمر في اوائل القرن الثالث للميلاد ايالة رومانية يحكمها امير اسمه أذينة بن السَّميذَع [١] فمنحته المشيخة الرومانية لقب ملك مكافأة له على خدماته الجليلة في محاربة الفرس ٠ وكان طموحاً الى الاستئثار بالسلطة والى نيل المجد ، ولكن بعضهم غدروا به وقتلوه ٠ فقامت امرأته زنوبيا بأعباء الملك بعدهُ وقتلت قاتلهُ ٠ وكانت كبيرة المطامع فاتَّبعت سياسة زوجها وصمّمت على جعل تدمر مملكة مستقلة ٠ ثم دارت رحى الحرب بينها وبين الرومان فغلبتهم في مواقع عديدة ، على انها غُلبت اخيراً فحملها الامبراطور اورليانوس في السنة ٢٧٣ ب٠م اسيرة الى رومة ، وهناك قضت نحبها٠ وكانت بديعة الجمال وافرة الذكاء تميل الى الصيد والقنص ٠ وسيرتها اقرب الى سير الابطال منها الى سير النساء ، وقد عرفت بالشجاعة وعلو الهمة والدهاء٠ وهي احدى الشرقيَّات الشهيرات اللواتي يفاخر التاريخ بذكرهنَّ ٠ وفي ايامها امتدّت مملكة تدمر من الفرات الى بحر الروم ومصر ، ومن صحراء العرب الى آسيا الصغرى

وقد اختلف المؤرخون في نسبة زنوبيا وقومها الى العرب على ان الادلَّة تميل بنا الى ان اهل تدمر كانوا عرباً [٢] ، لكنهم كالانباط كانوا يستعملون الارامية في مكاتباتهم بدليل وجود المخطوطات الارامية في مدينتهم ٠

---

(١) وعن المسعودي انه من العاليق الذين ملكوا في بلاد الروم فيما بينهم وبين فارس (٢) العرب قبل الاسلام زيدان ٨٩ – وعن دائرة المعارف البريطانية ان السواد الاعظم منهم عرب

وكانت هيأتهم الاجتماعية مزيجاً من العرب واليونان والرومان والاراميين. اما ديانتهم فكانت وثنية كديانة اكثر القبائل العربية . واهمّ معبوداتهم الشمس



اثار شارع الاعمدة العظيم في تدمر

ولهذا الاله اقيم الهيكل الكبير المذكور آنفاً . ومن اصنامهم اللات . وقد دخلتها المسيحية حوالى القرن الثالث وبقيت فيها الى ظهور الاسلام

دولة اللخميين

في الحيرة

من اواسط القرن الثالث الميلادي الى الفتح الاسلامي

الحيرة مدينة قديمة كانت في الطرف الغربي من العراق على مقربة من الكوفة ، وكانت مقرّ ملوك لخم المعروفين بالمناذرة . وهم كما مرّ من قبائل اليمن التي يُزعم انها نزحت بعد انفجار سدّ مأرب

بنيت الحيرة في القرن الثالث بعد الميلاد ، وبلغت شأواً عظيماً من العمران حتى استولى ملوكها على العراق ومدّوا سلطانهم الى نجد . وكانت مملكتهم تابعة لملوك فارس[1] ، يستعين بها الفرس على الرومان وانصارهم من ملوك الشام . وبقيت كذلك الى ان غزاها القائد الاسلامي الكبير خالد بن الوليد فصارت تدفع الجزية للمسلمين[2] . ثم لما بنيت الكوفة واخذ العرب يؤمّونها من كل صوب بدأت الحيرة تسقط رويداً رويداً حتى خربت في صدر الدولة العباسية . وكانت ذات زراعة وصناعة واهلها تجّار العراق وارباب الثروة فيه، لكنها اليوم طلول بالية وآثار دارسة

اما ملوكها المناذرة فيُنيفون على العشرين ملكاً[3] . اولهم عمرو بن عديّ بن نصر . وقد اشتهر منهم «النعمان الاوّل» باني الخَوَرنق والسَّدير وهما

---

(١) الفخري ٢٤ — ابن خلدون ٢—٢٦٢ — ابو الفدا ١—٨٢

(٢) ابو الفدا ١—٧٥

(٣) الطبري ١ — ١٠٣٩ — ابن خلدون ٢ — ٢٧١

قصران على نحو ميل الى الشرق من الحيرة ، يضرب المثل بهما في حسن الصنعة والجلال · قيل بنى الخوَرنق رجل رومي اسمه سِنمَّار ، فلما انتهى قال للملك اني اعرف فيه موضع آجُرَّةٍ (قرميدة) لو نُزعت لسقط القصر كله · فلما سمع النعمان ذلك امر به فقذف من اعلى القصر فمات · وعليه جرى المثل هذا جزاء سنمار : يضرب لمن يعمل حسناً فيلاقي شراً · (ويذكر الطبري ذلك على رواية اخرى)

والنعمان الاول من اشد ملوك العرب بأساً وكان حازماً فاجتمع له من الاموال والخوَل ما لم يملكه احد من ملوك الحيرة ، ويقال انه زهد الدنيا وترك الملك وفيه يقول عديٌّ بن زيد[1]

وتدبَّرْ ربَّ الخوَرْنق اذ اشرف يوماً وللهدى تفكيرُ
سرَّهُ مالهُ وكثرة ما يملك والبحر مُعرضاً والسديرُ
فارعوى قلبه وقال وما غبـ طة حيٍّ الى الممات يصيرُ ؟

ومن المناذرة المشهورين « المنذر الثالث » المعروف بابن ماء السماء · وكان بطلاً مقداماً ملك زمناً طويلاً ، ولكن حدث في ايامه ما كدَّر ملكه · فانه في السنة ٤٨٠ م هاجم الحيرة الحارث ملك كندة فاستولى عليها وطرد المنذر منها · والظاهر ان ملك الفرس يومئذٍ لم يكن راضياً عن سياسة المنذر ، لانه كان يخالفه في مذهبه (مذهب مزدك[2]) ، فلم يمدّ يده لمساعدته · وبقي المنذر مقصىً عن العرش حتى ملك انو شروان على الفرس فارجع المنذر الى عرش الحيرة[3] ، فكان له المنذر خير معين على ملك القسطنطينية ·

(١) ابو الفدا ١ـ ٧٠ (٢) عن ابن الاثير ج ١ـ ١٤٠ ان مزدك سوّى بين الناس في الاموال والاملاك والنساء والعبيد والعقار وغيرها فهو اشبه بالبولشفية المتطرفة اليوم (٣) ابو الفدا ١ـ ٧١ وابن الاثير ١ـ ٥٢

ومن غزواته انه غزا الشام حتى انطاكية ، ثم قلب له الدهر ظهر المجن فقهرته غسان وقتلوه في يوم حليمة المشهور

خبره مع نديميه — ومن اخباره التي نوردها للتفكهة خبره المشهور مع نديميه . قيل :

كان له نديمان احدهما خالد بن المضلِّل ، والآخر عمرو بن مسعود. فأغضباه في بعض المنطق ، وكان سكران ، فامر بان يُحفر لكل منهما حفيرة بظهر الحيرة ، ثم يجعلا في تابوتين ويدفنا في الحفرتين . ففُعل ذلك بهما . حتى اذا اصبح سأل عنهما فأُخبر بهلاكهما . فندم على ذلك وركب حتى نظر اليهما وامر ببناء الغريّين (اي قبريهما) فبنيا ، وجعل لنفسه يومين يومَ نعيم ويوم بؤس . فاول من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مئة من الابل ، واول من يطلع عليه يوم بؤسه يأمر به فيُذبح ويقرى بدمه الغريّان . فلبث بذلك برهة من دهره حتى جاءه رجل من طي اسمه حنظلة بن ابي عفراء (وكان هذا البدوي قد آوى المنذر في خبائه في يوم ممطر خرج به الملك الى الصيد وانفرد عن اصحابه بسبب المطر) . فلما نظر اليه الملك ساءه ذلك وقال يا حنظلة هلاّ اتيت في غير هذا اليوم . فقال ابيت اللعن لم يكن لي علم بما انت فيه . فقال له ابشر بقتلك . فقال له والله قد اتيتك زائراً ، لاهلي من خيرك مائراً ، فلا تكن ميرتهم قتلي . فقال لا بد من ذلك فاسأل حاجة اقضيها لك . فقال توَجّلني سنة ارجع فيها الى اهلي وأُحكم من امرهم ما اريد ، ثم اصير اليك فانفذ فيَّ حكمك . فقال ومن يكفل بك حتى تعود ؟ فنظر في وجوه جلسائه فعرف منهم شريك بن عمرو ، فقال هذا كفالتي

فوثب شريك وقال: أَبيتَ اللعن يدي بيده ودمي بدمهِ . فامر المنذر

للطائي بخمسمائة ناقة ، وجعل الاجل عاماً كاملاً من ذلك الى مثله في القابل . فلما حال الحول وقد بقي من الاجل يوم واحد قال المنذر لشريك ما اراك الاّ هالكاً غداً فداءً لحنظلة . فقال شريك :

فان يكُ صدر هذا اليوم ولّى فان غداً لناظره قريبُ

فذهب قوله مثلاً : ولما اصبح وقف المنذر وكان يشتهي انه يقتل شريكاً لينجّي الطائي . فلما كادت الشمس تغيب قام شريك مجرّداً من ازاره على النِّطع والسيّاف الى جانبهِ . وكان المنذر على وشك ان يأمر بقتله فلم يشعر الا براكب قد ظهر فاذا هو حنظلة قد تكفَّن وتحنَّط وجاء يناديه . فلما رآه المنذر قال وما الذي جاء بك وقد افلتّ من القتل ؟ قال الوفاء . قال وما دعاك الى الوفاء ؟ قال انّ لي ديناً يمنعني من الغدر . قال وما دينك ؟ قال النصرانية . قال فاعرضها عليّ . فعرضها فتنصَّر وترك تلك السنَّة من ذلك اليوم ، وعفا عن شريك والطائي . وقال ما ادري ايُّكما اكرم وأوفى ، أهذا الذي نجا من السيف فعاد اليه ، ام هذا الذي ضمنه . وانا لا اكون ألأم الثلاثة[1]

ومن مشاهيرهم « عمرو بن هند » وهو ابن المنذر الثالث وفي ايامه كانت الحيرة موئِل الادباء والشعراء . فأمَّها نخبة من اكابرهم منهم طرَفة بن العبد صاحب المعلَّقة المشهورة . على ان ابن هند كان عاتياً نخوراً كما سنذكره في خبره مع عمرو بن كلثوم الشاعر المشهور

ومنهم « النعمان بن المنذر » المعروف بابي قابوس . وفي ايامه بلغت دولة

---

(١) وهذه الحادثة تروى عن النعمان بن المنذر وعن الشاعر عبيد بن الابرص وهي من باب القصص لا الحقائق التاريخية

الحيرة اوجها . وهو الذي مدحه النابغة الذُّبياني بقصائده المشهورة . والمرجَّح انه تنصَّر [1] . ويقال ان النعمان كان وثنيًّا فاهتدى الى النصرانية بواسطة شاعره عَديّ بن زيد . ويروون في ذلك القصة الآتية :

قيل خرج النعمان الى الصيد ومعهُ عديّ بن زيد فمرَّا بشجرة فقال له عديّ أَتدري ما تقول هذه الشجرة ؟ قال لا ، قال تقول :

رُبَّ ركبٍ قد اناخوا عندنا　　يشربونَ الخمر بالماء الزلال

عصف الدهر بهم فانقرضوا　　وكذاك الدهر حالٌ بعد حال

قال ثم جاوز الشجرة فمرّ بمقبرة فقال له عديّ أَتدري ما تقول هذه المقبرة ؟ قال لا . قال تقول :

ايها الركب المخبُّونَ　　على الارض المجدُّونا

كما انتم كذا كنّا　　كما نحن تكونونا

فقال النعمان ان الشجرة والمقبرة لا تتكلمان ، وقد علمت انك انما اردت عظتي . ثم انه ترك عبادة الاوثان وتنصَّر

وفي آخر ملكه غضب كسرى عليه ، فقتله واقام على العرب رجلاً يقال له اياس بن قبيصة الطائي ، فعقب ذلك وقعة دموية بين العرب والعجم تعرَف بيوم ذي قار انتهت بانتصار العرب انتصاراً عظيماً (وسيذكر في غير هذا المقام) . ثم رجع الحكم الى المناذرة ، وكان آخرهم المنذر الخامس الذي قتل بالبحرين ، وبقتله انتهى امرُهم

. . . . .

والخلاصة ان دولة الحيرة كانت من الدول الزاهية ، اما ملوكها فقد كانوا في الغالب كسائر الامراء المستبدّين . وكان بَلاطهم محجّة الشعراء

(١) ابو الفدا ١—٧٢

في ذلك الزمان، وامثال النابغة وعديّ وعَبيد ابن الابرص والمنخّل اليشكُري وطرفة بن العبد والمتلمّس كافية للدلالة على رغبة هؤلاء الملوك في الشعر وعطفهم على الادب . وكانت الحيرة في ايامهم مؤلفة من ثلاث طبقات[١]

الاولى تنوخ — قبائل من البدو كانوا يعيشون في الخيام بين المدينة والفرات

الثانية العِباد — وهم طوائف مسيحية كانوا يعيشون في المدينة[٢]، ومنهم اكثر اهل العلم والادب وارباب الحضارة في الحيرة

الثالثة الاحلاف — وهم من المهاجرين الذين استقرّوا في الحيرة واختلطوا بأهلها من الطبقتين المار ذكرهما

والى الحيرة ينسب الخط العربي المعروف بالجزم ، فان اهلها اول من استنبطوه ، وكان لهم عناية بعلوم الكلدان وفلسفة اليونان وهم معلمو العرب القدماء[٣]

---

(١) معجم البلدان ٣—٣٨٠ (٢) وعن ابن العبري ٢٥٠ انهم كانوا يسكنون في قصور بظاهر الحيرة ولعله يريد بذلك خاصتهم (٣) تاريخ ملوك الحيرة ١٢٤

دولة الغساسنة

في حوران والبلقاء — قرب دمشق

ذكرنا آنفاً انه لما نزحت قبائل اليمن بعد انفجار سدّ مأرِب استقرّ بعضهم في العراق وانشأوا دولة الحيرة · وجاء بعضهم الى الشام واستقرّوا فيها فولاّهم الرومان اعمالها · على ان الغساسنة لم يستقرّوا على ما يظهر في عاصمة واحدة ، ولكن اكثر اقامتهم كانت في بُصرى حوران · قال المسعودي وكانت ديارهم باليرموك والجولان وغيرها من غوطة دمشق واعمالها[1]

وكان الشرق الادنى قُبيل الاسلام تتنازعه دولتان عظيمتان ، الفرس في الشرق وعاصمتهم المدائن ، والروم في الغرب وعاصمتهم القسطنطينية · ولاستعانة الفرس بالمناذرة والروم بالغساسنة تولّد بين هاتين الدولتين العربيتين ضغائن توارثها الابناء عن الآباء · والغساسنة قبائل مسيحية وهم ينتسبون الى عمرو بن عامر الذي ورد ذكره في خبر سدّ مأرب · اما مؤسس دولتهم فجفنة بن عمرو ، ولذلك نرى المؤرخين يسمونهم اولاد جفنة

واشهر ملوكهم جفنة الاصغر وكان يلقب بالمحرِّق لانه اغار على الحيرة واحرقها[2] · وخلفه الحارث الاعرج وهو اعظمهم كان كثير المغازي والغارات كريماً كثير المواهب · وكان المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة قد

(١) مروج الذهب ١–٢٠٧ (٢) ابو الفداء ١–٧٦

غزا برّ الشام فحمل الحارث على جيشه وهزمه شرَّ هزيمة . وتعرف هذه المعركة عند العرب بيوم حليمة ، نسبةً الى حليمة بنت الحارث التي كانت في جيش ابيها تحضّ الرجال على قتال الاعداء[1]

ومما يدلّك على مقام الحارث انه لم يجتمع بباب احد من الملوك ما اجتمع ببابه من الشعراء ، فمنهم لبيد وحسّان بن ثابت والنابغة . وقد اجمع الكل على انه كان من خيرة الملوك ويرجّح ان وفاته كانت في السنة ٥٨١ ميلادية . وآخر ملوكهم « جبلة بن الايهم » تولى سنة ٦٣٥ م فادرك الاسلام وأسلم في ايام الامام عمر بن الخطاب . ثم ارتد الى المسيحية وسبب ارتداده على ما يروون الحادثة الآتية :

قيل قدم مكة حاجًّا ، وفيما هو يطوف بالبيت اذ وطئ أعرابيٌّ طرف ازاره ، فغضب جبلة ولطمه لطمة هشم بها انفه . فرفع الاعرابي امره الى الخليفة عمر . فقال عمر لجبلة دعه يلطمك كما لطمته . فقال جبلة ألا يفضَّل ملك على سوقة ؟ فقال عمر كلاّ فانّ الاسلام سوّى بينكما . فغضب جبلة من ذلك وصبر الى الليل ثم فرّ الى الشام ، ومنها سار الى قيصر ملك الروم وسار معه بعضٌ من رجاله[2] . وبموته انقرضت ملوك غسان واصبحت بلادهم ولاية اسلامية . وجبلة هذا هو الذي قصده حسان بن ثابت ومدحه

ومن قوله فيه وفي آله —

لله درّ عصابة نادمتهم ... يوماً بجلّقَ[3] في الزمان الاوّلِ

اولاد جفنةَ[4] حول قبر ابيهم ... قبر ابن ماريةَ الكريم المُفضلِ

---

(١) ابن خلدون ٢-٢٨١ وابن الاثير ١-١٩٥ (٢) ابو الفداء ١-١٦٢

(٣) جلق اسم للشام (٤) اشارة الى جدّهم جفنة

يُغشَون حتى ما تهرُّ كلابهم لا يَسألون عن السواد المقبلِ (١)
يَسقون مَن وردَ البريصَ عليهم بردى يُصفَّق بالرَّحيق السلسل (٢)
بيض الوجوه كريمةٌ احسابهم شمُّ الانوف من الطراز الاول

. . . . .

وكانت دولة غسان ذات شأن كبير وقد بلغت من الحضارة شأواً يذكر ، وذلك لتأثير التمدن الروماني على شعبها . اما مدة ملكهم فمختلف فيها ، والارجح ان دولتهم بقيت نحواً من اربعمائة سنة وذلك من اوائل القرن الثالث للميلاد الى الفتح الاسلامي . على ان ملوكهم على ما يظهر لم يبلغوا من النفوذ في بلاد العرب ما بلغهُ ملوك الحيرة . وهم يزيدون على الثلاثين ملكاً

---

(١) اي من كثرة ما يقصدهم الناس لا كلابهم تنبح احداً ولا هم يسالون من القادمون (٢) يسقون من ياتيهم ماء بردى مصفى وممزوجاً بالخمر الطيبة . والبريص اسم مكان ، ويرجح ياقوت انه اسم لغوطة الشام

ملوك كِندة

في نجد

من ٤٥٠–٥٤٠م (على وجه التقريب)

كندة قبيلة او قبائل مشهورة يرجع نسبها الى عرب الجنوب من بني كهلان . وكانت في اوّل امرها فوضى لا رأس لها يأكل قويُّها ضعيفها . وما زالوا كذلك حتى قام منهم في منتصف القرن الخامس للميلاد امير اسمه حُجر بن عمرو الملقب بآكل المُرار [1] فسدّد امورهم وملك عليهم، ومنه تبتدىء دولة كِندة

ومن ملوكهم الحارثُ بنُ عمرو بن آكل المرار . وهو الذي غزا الحيرة وطرد ملكها كما مرّ معنا في خبر سابق ، ثم غُلب على امره . وكان له خمسة بنين اقتسموا الملك بينهم . فكان احدهم حُجر على بني اسد وغطفان فقبلوه في اول الامر ثم انتقضوا عليه وقتلوهُ . وكان له غلام اسمه امروء القيس (هو الشاعر المشهور واسم أُمه فاطمة اخت كليب والمهلهل اللذين اشتهرا في حروب بكر وتغلب) . ويذكر الرواة انه لجأ الى امبراطور الرومان في القسطنطينية يستنجده على قتَلة ابيه . وفيما هو عائد من القسطنطينية اصابه مرض فمات في انقره من اعمال الاناضول قرب جبل يقال له عسيب ، ويقال بل مات مسموماً . وبموته كان آخر العهد بملوك كندة — وسيأتي ذكره في اخبار اصحاب المعلقات . ويظهر لبعض العلماء ان كندة كانت تحت نفوذ امراء

(١) المرار نبات اذا اكلته الجمال قلصت مشافرها. وقد لقّب بذلك لكشَر كان به

اليمن من الاحباش كما كانت ملوك الحيرة وغسان تحت نفوذ الفرس والروم[١]

امراء متفرقون

ومن امراء العرب (عمرو بن لُحَيّ) كان سيِّد الحجاز ، قيل وهو اول من اتى بالاصنام الى مكة من ارض الشام[٢] . وكان ذلك قبل الاسلام بنحو اربعمئة سنة . ومنهم (زهير بن حباب) امير قضاعة وكان شجاعاً موفَّقاً في غزواته ، وقد اجتمع بابرهة الاشرم الحبشي صاحب الفيل ففضَّله على غيره من العرب وامَّره على بكر وتغلب[٣] . ومنهم (كليب بن ربيعة) وكان مسكنه في تهامة وهو الذي قتلهُ جساس بن مرة . وكان كليب على ما يروون امير معدّ اي عرب الشمال في حربهم مع اليمن وانتصارهم في يوم خَزازى المشهور[٤] . ومن اسياد العرب (قيس بن زهير) امير بني عبس وفي ايامه حدثت حرب داحس والغبراء كما سيجيء ، وغير هؤلاء كثير

---

(١) دائرة المعارف البريطانية طبعة ١٤ ج ٢-١٧٨

(٢) اليعقوبي ١-٢٩٥ (٣) ابو الفدا ١-٨١ (٤) ابو الفدا ١-٨١ والعقد الفريد ٣-٣٤٧

عرب الجاهلية عموما

العرب على اختلاف طبقاتهم نوعان بدو وحضر · فالبدو قبائل رحَّل يسكنون البادية ويتنقَّلون فيها من مكان الى مكان · اما مساكنهم فخيام يضربونها حيث يطيب لهم المقام ، فاذا قلّ الماء والكلاء في مكان قوّضوها وانتجعوا مكانًا آخر · ويمتازون بشدَّتهم وأنفتهم وتنافسهم في الرئاسة حتى قلما تجتمع اهواؤهم · وهم قبائل كثيرة ، كلُّ قبيلة عشائر او بطون مختلفة دأبهم الغزو والنهب ، ولهم تعلق شديد بانسابهم ولذلك كانت العصبية امراً ضرورياً لرؤسائهم · وعن ابن الكلبي في ذكره القبائل واقسامها — « اكبرها الشعب فالقبيلة فالعمارة فالبطن فالفخذ فالعشيرة فالفصيلة[1] » · وهم بعيدون عن التنظيم السياسي لما في طباعهم من كره الخضوع للرئاسة موصوفون بالشهامة والحميَّة والكرم · يحبُّون المفاخرة بالانساب وبالاعمال التي تدل على بأسهم وسخائهم ، ويحافظون على الاعراض محافظة شديدة

اما الحضر فهم الذين يأوون القرى والمدن ويسكنون البيوت ، كما كان اهل مدن اليمن والحجاز والعراق والشام وغيرها من مدائن بلاد العرب · ومن هؤلاء الحضر اهل تجارة وزراعة ولبعضهم صناعات عرفوا بها · على انهم ليسوا كالبدو في النزعة الى الحرّية ، وطالما كان البدو يعيِّرونهم بذلك · وفي اشعارهم ما يدل على احتقارهم عيشة المدن وازدرائهم ما ينشأ في النفس منها · اما ديانتهم قبل الاسلام فكانت على العموم وثنيَّة ، ومنهم من عبد الاجرام السماوية · ومن اصنامهم هُبَل واللاّت والعزّى ومناة · وكانوا يحجُّون

(١) العقد الفريد ٢—٢١٦

البيت ويعتمرون (يزورون) ويطوفون ويقفون المواقف كلّها ويرمون الجمار[١] . وقبل ان يحجّوا تقف كل قبيلة لدى صنمها وتصلّي عنده[٢] . على انه كان بينهم كثير من القبائل المسيحية واليهودية وبعض من الموحدين من غير هؤلاء[٣] ، فكان العرب عموماً يعرفون شيئاً عن الله او كانوا على الاقل مستعدّين لقبول دعوته . ولذلك نما الاسلام بينهم نموًّا عظيماً وربطهم على اختلاف عصبياتهم برباط التوحيد

« اما قبائلهم فكانت ولا تزال يسوسها الشيوخ والامراء ويحكمونها حكماً قريباً من المطلق . والحكم عندهم وراثيّ للارشد لكنهم لا يراعون في ذلك الاّ القوة . وكانوا اذا اعتدى فرد من قبيلة على آخر من قبيلة اخرى يرفع المظلوم ظلامته الى رئيس القبيلة التي منها خصمه . فاذا انصفه فبها ، والا قامت الحرب بين القبيلتين فسفكت الدماء اشهراً وربما دامت سنين »

وقد ذكرنا في ما سلف اشهر الممالك العربية الجاهلية ليكون للطالب المام باحوال العرب عموماً . بقي علينا ان نذكر هنا شيئاً مما يروونه عن وقائع العرب المشهورة ويسمونها ايام العرب . اشهرها ما يأتي :

حرب البسوس — بين قبيلتي تغلب وبكر . وخلاصتها ان كليباً سيد بني تغلب قتل ناقة لرجل اسمه سعد كان في ضيافة البسوس عمّة جسّاس بن مُرَّة سيّد بكر . فعدّ جساس ذلك اهانة له ، وما زال حتى انفرد بكليب وغدر به فقتله . وعند ذلك دارت رحى الحرب[٤] بين القبيلتين ودامت نحو اربعين سنة اشتهر في اثنائها المهلهل اخو كليب المعروف عند العامة بالزّير

(١) الحجارة — كما يفعل الحجاج في منى

(٢) اليعقوبي ١ ص٣٩٣—٣٩٦ (٣) راجع مروج الذهب ١—٢١٤

(٤) ويراد بالحرب هنا العداء والغزوات المتواصلة

وفي نهاية هذه المـدة توسَّط المنذر الثالث ملك الحيرة بين الفريقين فاخمد بوساطته نار الحرب وعقد الصلح بين المتحاربين

ومن اقوال المهلهل يرثي اخاه[1]

كليبُ لا خيرَ في الدنيا ومن فيها اذ انت خلَّيتها فيمن يخلِّيها
كليبُ ايُّ فتى عزٍّ ومكرمةٍ تحت السفاسف اذ يعلوك سافيها
نعي النعاة كليباً لي فقلت لهم مالت بنا الارض ام زالت رواسيها

حرب داحس والغبراء — بين قبيلتي عبس وذُبيان · خلاصتها انه كان لقيس بن زهير سيّد عبس جواد اسمه داحس ، وكان لحُذيفة بن بدر سيد ذبيان فرس اسمها الغبراء[2] · فتراهن قيس وحذيفة على ايُّهما اسرع ، واقاما للسباق يوماً مشهوداً · فلما جرى الفرَسان لاح السبّق في جانب داحس · ولكن قبل الوصول الى آخر الميدان تصدَّى له رجل من ذبيان كان كامناً له ، فجفل داحس وخرج عن الطريق السويّ فسبقته الغبراء · فطالب قيس حذيفة بالرهن فأبى وادَّعى السبق للغبراء · عند ذلك ثار غضب قيس وقتل اخا حذيفة · فاشتبكت القبيلتان وبقيت الحرب زمناً طويلاً ، حتى دخل بينهما سيّدان عظيمان هما الحارث بن عوف وهَرِم بن سنان ، فاوقفا الحرب · وقد ذكر زهير بن ابي سلمى ذلك في معلَّقته ومدح هذين السيدين مدحاً عظيماً كما سنذكره بعد

وممن اشتهروا في هذه الحرب عنترة بن شدَّاد العبسي ، وقصَّته شهيرة جداً يعرفها الخاص والعام ، وسيأتي ذكرها

يوم خزازى — خَزازى جبل حدثت عنده معركة مشهورة بين قبائل اليمن وقبائل مَعدّ وكان يقود المعدّيين امير تغلِب كليب وائل

---

(١) العقد الفريد ٣—٣٥١ (٢) وفي العقد الفريد جميل بن بدر

المشهور · واصل هذه المعركة كما رواها ابن الاثير ان ملكاً من ملوك اليمن كان في يده اسارى من مضر وربيعة (عرب الشمال) · فوفد عليه وفد من هؤلاء فكلموه في الاسرى ، فوهبهم واحتبس البعض رهينة وقال أئتوني بروؤساء قومكم لآخذ عليهم المواثيق بالطاعة لي، والاّ قتلت اصحابكم فرجعوا الى قومهم واخبروهم · فثار كليب وجميع قبائل معدّ والتقوا باليمنيين عند خزازى فانكسرت قبائل اليمن وانفضّت جموعها — وكانوا قبلاً اسياد معدّ · وقد ذكر ذلك اليوم عمرو بن كلثوم في معلّقته مفتخراً ببني تغلب فقال :—

ونحن غداةَ أُوقِدَ في خَزازى رفدنا فوق رفد الرافدينا[1]
فكنّا الايمنين اذا التقينا وكان الايسرين بنو ابينا[2]
فصالوا صولة فيمن يليهم وصلنا صولة فيمن يلينا
فآبوا بالنِّهاب وبالسبايا وأُبنا بالملوك مصفّدينا[3]

يوم ذي قار — مرّ معنا انه عندما قتل كسرى ابرويز ملك الحيرة ابا قابوس وذلك ٦١١م (اي قبل الهجرة باحدى عشرة سنة) اقام محله اميراً طائياً اسمه اياس بن قبيصة ، فثار العرب واكثرهم من بني بكر في وجه الفرس ونازلوهم في ذي قار فغلبوهم · وكانوا قبلاً ينظرون الى الفرس كاسيادهم ويرون انفسهم مستضعَفين بالنسبة اليهم ، فاصبحوا يشعرون من نفوسهم بكرامة وعزّة · رُوي عن النبي انه قال عندما سمع بهذه الوقعة : اليوم اول

---

(١) كانوا يوقدون ناراً على هذا الجبل عند الغارة . ورفدنا اي اعنا شعبنا فوق اعانة غيرنا. ويروى وفدنا (٢) كنا في الميمنة وكان اخواننا في الميسرة
(٣) النهاب الغنائم . مصفدينا مقيدينا

يوم انتصف به العرب من العجم وبي نُصروا[1] . ولا شكّ ان هذه المعركة شدّدت عزائم العرب واذهبت من قلوبهم هيبة الفرس ، فكانت من الاسباب التمهيدية لانتصار المسلمين على الفرس واستيلائهم على عرش الاكاسرة . قال الاعشى مفاخراً بانتصار قومه بني بكر على جند كسرى

لمّا رأَونا كشفنا عن جماجمنا ليعلموا اننا بكرٌ فينصرفوا
قالوا البقيّة والهنديُّ يحصدهم ولا بقيّةَ الاّ السيفُ فانكشفوا
لو انّ كلّ معدٍّ كان شاركنا في يوم ذي قارَ ما اخطاهمُ الشرفُ

---

(١) العقد الفريد ٢-٣٧٤

اداب الجاهلية وعلومها

لم يكن عرب الشمال يتكلّمون لهجةً واحدة بل كان بين القبائل اختلاف بيّن في ذلك · وقد خُصَّت قريش منهم بالسيادة اللغوية لنزولها كما مرّ معنا في مكة وفيها الكعبة يحجُّ اليها العرب من سائر الاقطار · فكانت قريش منتدى القبائل ، ولغتها رابطة لغاتهم · وذلك بالطبع هذّبها وجعلها ارقى سائر اللغات العربية واجودها · وقد اعان على ذلك الاسواق التي كانت العرب تقيمها : اشهرها عُكاظ وهي بين نخلة والطائف وكان فيها سوق سنوية تستمر نحواً من عشرين يوماً ، فيجتمع فيها قبائل العرب على اختلافها للبيع والشراء · ولكلّ قبيلة نخبة من الشعراء والخطباء يتناشدون الاشعار ويتنافسون في الخطب ، والعرب من ملوكهم الى صعاليكهم يصغون اليهم ويحرصون على التقاط اقوالهم

ومثل عكاظ سوق ذي المجاز خلف جبل عرَفات ، وسوق مِجنّة وغيرهما من الاسواق · ولما كان الادب العربي القديم منحصراً في الشعر على الغالب كان للشعراء عندهم المنزلة الاولى : فهم امراء الكلام وفرسان الحروب واهل الحلّ والعقد · وكانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر تقيم الاحتفالات العظيمة اكراماً له ، فيأتي اليها سائر القبائل تهنّئها به · امّا ما روي من منثورهم فاكثره من باب الحكم والخطب القصيرة ، على انّ علومهم لا تستحق الذكر · وهي مقتصرة على بعض المعرفة بالانواء والنجوم والتطبيب والأنساب والقيافة · ولم يكن من العرب الا نفرٌ يستعملون الخط ، فكانوا يحفظون اقوال ادبائهم في صدورهم ولذلك كثر الرواة منهم · وهؤلاء الرواة هم الذين نقلت عنهم اخبار العرب

ومآثرهم الادبية · اما الخط فالارجح ان اهل الحيرة نقلوه عن الآرامية فاخذه عنهم اهل الحجاز ، وعرف بعد الاسلام بالخط الكوفي نسبة الى مدينة الكوفة التي كانت مدينة العلم في صدر الاسلام[١] · وكان الخط غفلاً من الحركات والنقط فاصلحه ابو الاسود الدؤلي في ايام معاوية · وأتمّ اصلاحه نصر بن عاصم في ايام عبد الملك بن مروان · وفي اواسط العصر العباسي قام ابن مقلة الكاتب المشهور فزاد في تهذيب الخط وتحسينه · وما زال الخط يرتقي من ايامه الى الآن حتى بلغ ما بلغه في هذا العهد من الجودة والاتقان[٢]

ولم يكن الشعر العربي في اول نشوئه فناً معروفاً باوزان خاصة بل كان الشاعر يرسل كلامه نثراً مسجوعاً ، ثم نشأ الرجز على زعم بعضهم وهو اقرب الاوزان الى السجع ، لان صدره وعجزه مبنيّان على قافية واحدة · ويقال انه مأخوذ عن حركة الجمال في مشيها — وهذا مثال منه :

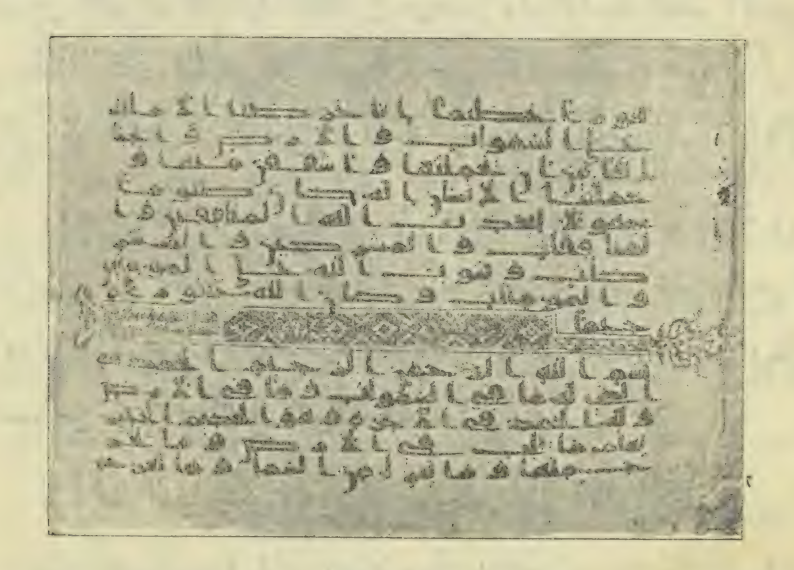
لا أَلحظ الدنيا بعَيني وامقٍ[٣] ولا أُبالي قلّةَ الموافق

وبقي الشعر رجزاً او ما يشبهه زمناً طويلاً حتى ظهرت البحور المختلفة وهي مع الرجز ستة عشر بحراً · وكان العرب قبل الاسلام يعرفون اكثرها وينظمون عليها ، على انها لم تدوّن ولم تجعل علماً خاصاً الاّ بعد ان جمعها الخليل بن احمد ووضع لها احكامه المشهورة · اما طريقتهم في النظم ففي الغالب

(١) ويرجح العلماء اليوم ان الخط الكوفي والخط النسخي كانا متعاصرين وان الثاني اتى عن طريق الانباط . راجع تاريخ الخط في Encyc. of slam 1-382

(٢) سنذكر بعد رواية القلقشندي عن الخط في الكلام على الدولة الاموية . اما ان ابن مقلة كما يروي بعضهم نقل الخط من الكوفي الى النسخي فذلك لا ينطبق على اقوال العلماء الحديثين (٣) الوامق المحب·

واحدة : يبتدىء الناظم بذكر الديار والدمن والآثار فيشكو ويبكي ويخاطب الربع ويستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر اهلها الظاعنين عنها · ثم يصل ذلك بالنسيب فيشكو شدة الشوق وألم الوجد والفراق · ثم يرحل ويشكو النَّصَب والسهر وسرْي الليل وإنضاء الراحلة ثم يبدأ بالمديح او سواه [1]



آيات رسمت عن مصحف قديم في مكتبة الحرم بالقدس
يرجع تاريخه الى صدر الاسلام

تلك كانت طريقتهم في النظم · قال ابن قتيبة «والشاعر المجيد من سلك هذه الاساليب وعدل بين هذه الاقسام» · وقد تبعهم فيها شعراء الاجيال التي تلتهم ، اللهمَّ الاَّ نفراً اختطُّوا لانفسهم اساليب جديدة دفعهم اليها اختلاف احوالهم وحرّية طباعهم ·

وقد عرف الشعر الجاهلي مع خشونته وبعده عن المألوف بالمتانة ودقّة

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة

التعبير عن العواطف الطبيعية ، وذلك لما في ناظميه من الميل الى بسيط العيش والبعد عن تصنّع الحضارة · وهذه مزيّة الشعر المطبوع ان يؤتى به تبعاً لما يتطلّبه انفعالُ النفس من الوصف او الحماسة او الغزل وغيرها من ابواب الشعر ، بحيث يكون خارجاً من اعماق النفس جاريا مجرى القلب موحىً به من الطبيعة · وما يقال عن الشعر من هذا القبيل يقال عن الخطابة ايضاً · على انه من الخطإ ان نجزم بافضليّة الجاهليين على سواهم في ضروب النثر والشعر ، فانّ في الاجيال التي خلفتهم رجالاً فاقوا اسلافهم وسبقوهم في ميادين الادب · وذلك طبيعيٌّ في الامم الحية التي تنمو وتتقدّم بتقدّم الزمان

اما الذي وصل الى ايدينا من آداب الجاهلية فمعظمه من اعمال القرن الاول وبعض القرن الثاني قبل الاسلام · وهو يدلّ ، اذا صحت الرواية عنه جميعاً ، على هبّة فكرية حدثت في ذلك الوقت فتركت لنا كثيراً من مآثرهم · على ان الثابت عند المحققين ان الكثير مما نقل لنا مصطنع لا حقيقي ، لكننا مع كل ذلك نستطيع به ان نعرف شيئاً من آدابهم واحوالهم ، وسنقتصر فيما يلي على ذكر اشهر مشاهيرهم مع امثلة من اجود ما روي لهم

المعلَّقات

اشهرُ قصائد الجاهلية على الاطلاق. وقد ذهب المؤرّخون في اصلها مذاهب شتى. فقال بعضهم انها كتبت بماء الذهب وعلِّقت على استار الكعبة فكان العرب يسجدون لها[1]. وهو قول مشكوك فيه عند المدققين الحديثين وقد انكره قديماً ابو جعفر النحاس[2]. اما جامع هذه القصائد فحمّادٌ الراوية المتوفى (١٥٤هـ — ٧٧٢م) اي في صدر الدولة العباسية. وقد سميت ايضاً السبعَ الطوال والسُّموط والمذهبات. وكما اختلف العلماء في اصل تسميتها اختلفوا في عددها واسماء ناظميها. والشائع على ألسنة الجمهور انها سبع ولكن بعضهم اوصلها الى العشرة. ولعلماء العربية من شرقيين ومستشرقين اهتمام خاص بها، ومنهم من قضى وقتاً طويلاً في درسها وتعليق الحواشي الضافية عليها. وهي متشابهة في دلالتها على الاخلاق البدوية، ووصفها حياة العرب في الجاهلية. وهاك اسماء اصحابها ونخبةً من قصائدهم[3]

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٥٢٠ (٢) راجع ما نقله زيدان عن شرح المعلقات (نسخة برلين) للنحاس المتوفى ٣٣٨. ويزيد الشك ان كتّاب السيرة النبوية لم يذكروا المعلقات في جملة ما ازيل من الكعبة عند فتح المسلمين لمكة

(٣) لا يكلف الطلبة بان يدرسوا كل المعلقات بل يكفي ان يدرسوا منها ما يمكّنهم من الاطلاع على الشعر القديم. وقد اعتمدنا فيما انتخبناه من المعلقات رواية الامام الزوزني مع مقابلتها بسائر الدواوين. اما المراجع الاولية التي رجعنا اليها في معرفة احوالهم فاهمها الشعر والشعراء لابن قتيبة، طبقات الشعراء لابن سلام، الاغاني للاصفهاني،

امرؤ القيس

توفي سنة ٥٦٠ م

يرجع الرواة نسب هذا الشاعر الى ملوك كندة الذين مرَّ ذكرهم في غير هذا المكان · وكان حُجر والد امرىء القيس كما سلف في الكلام عن قبائل كندة ملكاً على بني اسد وغطَفان · فلما قاموا عليه وقتلوه كان امروء القيس غائباً في اليمن يجول في احياء العرب مع بعض الاخلاط ، لا همَّ له غير الصيد والشعر والشراب · فلما اتاه نعي والدهِ غضب غضباً شديداً وهبَّ يطلب ثأر ابيه من بني اسد فلم يوفَّق الى ذلك · وكان المنذر ملك الحيرة يطلبه فتفرَّق عنه اكثر الذين استجارهم من القبائل ولم يثبت على إجارته غير السموأل[1] صاحب الابلق الفرد في تيماء · فاستودعه امروء القيس دروعه وامواله ثم رحل الى القسطنطينية يستنصر ملك الروم على قتلة ابيه · قيل فوعده القيصر خيراً لكنَّ الوعد لم يجدهِ نفعاً لانهُ مات على الطريق [illegible] كما ذكر سابقاً

اما معلقته فيعدّونها من الطبقة الاولى ، ويعزون اليه السبق في كثير من المعاني الشعرية، وربما جعلوه إِمام الشعراء الاقدمين، وقد اجمع الكتبة على مدح

---

(١) السموأل « صموئيل » امير يهودي مشهور يضرب المثل به في الوفاء وذلك لانه على ما رُوي آثر ان يُقتل ابنه على ان يخفر بذمته وينقض عهده . وله في ذلك حكاية معروفة .

وينسبون اليه القصيدة المشهورة التي مطلعها :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضهُ فكلُّ رداء يرتديه جميلُ
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس الى حسن الثناء سبيلُ
تعيِّرنا أنا قليلٌ عديدنا فقلت لها انَّ الكرام قليلُ

شعره. وهو يستهلُّ قصيدته بالوقوف على منزل الحبيب والبكاء من ذكراه ثم يذكر حادثة جرت له مع ابنة عمه عنيزة (ويسميها احياناً فاطمة) وكان يحبُّها. ويتخلص من ذلك الى وصف فرسهِ وشدَّة بأسهِ وكيف كان يقطع البوادي حيث لا يرى الانسان الا الذئاب وجوارح الطيور، وينتهي بوصف المطر وقصف الرعد في جبل من جبال نجد

نخبة من معلقته

وهي ثمانون بيتاً

قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ ‏‏ بسِقط اللوى بين الدَّخول فحوملِ [1]

فتوضحَ فالمقراةِ لم يَعفُ رسمها ‏‏ لِما نسجتهُ من جَنوبٍ وشمألِ [2]

كأني غداةَ البينِ يوم تحمَّلوا ‏‏ لدى سَمُرات الحيّ ناقفُ حنظلِ [3]

ففاضت دموع العين مني صبابةً ‏‏ على النحر حتى بلَّ دمعي محملي

. . . . .

ويومٍ دخلتُ الخدرَ خدرَ عنيزةٍ ‏‏ فقالت لك الويلات انك مُرجلي [4]

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً ‏‏ عقرتَ بعيري يا امرءَ القيس فانزلِ [5]

فقلتُ لها سيري وأرخي زمامهُ ‏‏ ولا تبعديني من جناكِ المعلَّلِ [6]

---

(١) الدخول وحومل موضعان . سقط اللوى اي منقطع الرمل

(٢) فتوضح والمقراة موضعان . عفا الرسم انمحى . الجنوب الريح الجنوبية والشمأل الشمالية (٣) السمرات اشجار . نقف الحنظل اي شقهُ عن حبه . والحنظل ثمر مرّ الطعم [illegible] من نقفه . تحملوا سافروا (٤) أراد بالخدر هنا الهودج الذي على ناقتها . مرجلي مصيرني راجلة اي ماشية (٥) الغبيط نوع من الهوادج . عقرت بعيري اي جرحت ظهر جملي (٦) ولا تبعديني من عسل ثغرك المطيب

أَفاطمَ مهلاً بعضَ هذا التدلل — وان كنتِ قد ازمعتِ صرمي فأَجملي [1]
أَغرَّكِ مني ان حبَّكِ قاتلي — وانَّكِ مهما تأْمري القلب يفعلِ ؟
تسلَّت عمايات الرجال عن الهوى — وليس فؤادي عن هواكِ بمنسلي [2]

. . . . .

وليلٍ كموج البحر ارخى سدولهُ — عليَّ بانواع الهموم ليبتلي [3]
فقلت له لمَّا تمطَّى بصلبهِ — وأَردف أَعجازاً وناءَ بكلكلِ [4]
أَلا أيها الليل الطويل الا انجلي — بصبحٍ، وما الإِصباح منكَ بامثلِ
فيا لكَ من ليلٍ كأَنَّ نجومهُ — بامراس كتَّانٍ الى صُمّ جندلِ [5]

. . . . .

ووادٍ كجوف العَير قفرٍ قطعته — به الذئب يعوي كالخليع المعيَّلِ [6]
فقلت له لما عوى انَّ شأْننا — قليل الغنى ان كنتَ لمَّا تموّلِ [7]
كلانا اذا ما نال شيئاً أفاته — ومن يحترثْ حرثي وحرثك يهزلِ

(١) ازمعت صرمي اي قصدت فراقي (٢) اي بطلت ضلالات الرجال بعد صباهم وعشقهم ولكن فؤادي لا يزال ثابتاً في هواه وضلالته (٣) ارخى سدوله اي انزل ستوره . ليبتلي اي ليجربني

(٤) تمطى . تمدد . الصلب عظم الظهر . اردفَ اي اتبع . الاعجاز جمع عجز وهو المؤخر . ناء بعد . الكلكل الصدر . والمعنى طال الليل وبعدت اوائله وازدادت اواخره تطاولاً (٥) الجندل الصخرة . الاصم الصلب — اي كأن النجوم مقيدة بامراس كتان الى الصخور الصماء فلا تتحرك الّا بطلوع الصباح

(٦) العير الحمار . وقيل المراد بجوف العير وادٍ بعينه وهو قفر لا ينبت فيه شيء الخليع الذي نبذه اهله لخبثه . والمعيل المهمل (٧) تمول (تتمول) اي ان لم تكن ذا مال

وقد أَغتدي والطيرُ في وُكناتِها   بمُنجرِدٍ قيدِ الأَوابدِ هيكلِ [1]
مِكَرٍّ مِفرٍّ مُقبلٍ مُدبرٍ معاً   كجلمودِ صخرٍ حطَّهُ السيلُ من علِ [2]

. . . . .

وبعد وصف الفرس وذكر فروسيته يصف البرق والمطر على مرتفعات نجد وصفاً دقيقاً ويذكر السيل وما ينتج عنه من الدمار

---

(١) الوكنات . مجاثم الطير . المنجرد الفرس الماضي في السير . هيكل اي عظيم . قيد الاوابد اي كانهُ يقيد الوحوش بسرعته فيلحقها حالاً

(٢) مكر مفر اي شديد الكر والفر وهما من صيغ المبالغة . الجلمود الصخر العظيم . من عل اي من فوق

طرفَة بن العبد

توفي سنة ٥٥٠ م

وهو من قبيلة بكر وكانت عشيرته في البحرين على خليج فارس . قال الشعر وهو حدث ، وكان ككثير من شعراء الجاهلية وغيرهم ذا لهو وقصف يبدّد ايامه بالملذات الباطلة . ويقال انه شهد حرب البسوس وابلى بلاءً حسناً فيها . وهو شاعر جريء متوقّد الطبع لكنه مات في زهرة شبابه (قيل في العشرين وقيل في السادسة والعشرين من عمره) فلم يُتح له ان يبلغ كمال نموّه الشعري

ولما وضعت حرب البسوس اوزارها ذهب الى عمرو بن هند ملك الحيرة فاكرمهُ وجعلهُ من شعراء بلاطه كما جعل خاله المتلمِّس ايضاً . لكن جرأته الزائدة وما يمازجها من مرارة اللسان وطيش الصبا هاجت نقمة الملك عليه فقتله . ويزعمون في قتله انه هجا عمرو بن هند ، فكره ان يعجّل عليه لمكانة قومه وتظاهر انه رضي عنه . ثم استدعاه واستدعى خاله المتلمّس وامرهما بالرحيل الى البحرين قائلاً لا بدّ انكما اشتقتما لاهلكما . واعطى كلاًّ منهما كتاباً مختوماً الى عامله هناك . فلما خرجا من الحيرة داخل المتلمّس رَيب في امر الكتاب ، ولم يكن هو ولا طرفَة يعرفان القراءَة . فدفع كتابه الى صبيٍّ من صبيان الحيرة فقرأَهُ ، واذا هو أمرٌ لعامل البحرين ان يدفن حامله حيّاً . فمزق المتلمس الكتاب وفرّ . أما طرفة فأبت عليه أنفتهُ

ان يفعل فعل خاله[١]، فاوصل الكتاب مختوماً الى عامل البحرين فقتله . ويخيَّل الينا (اذا فرضنا صحة الرواية) ان طرفة كان قد فارق خاله قبل ذلك فلم يعرف امر الكتاب حتى وصل وسلَّمه الى العامل . اما معلقته فانها تمثل لنا اخلاقه افضل تمثيل ، وفيها شكوى مرّة من ظلم ابن عمه له ، وحِكَمٌ كثيرة واليك بعضها :

نخبة من معلقة طرفة بن العبد

وهي نحو مائة وثلاثة ابيات

لخولةَ اطلالٌ ببُرقةِ ثهمدِ تلوحُ كباقي الوَشمِ في ظاهرِ اليدِ[٢]

وقوفاً بها صحبي عليَّ مَطيَّهم يقولونَ لا تهلكْ اسىً وتجلَّدِ

وبعد ان يصف ناقته وصفاً دقيقاً جداً بنحو ٢٧ بيتاً يقول :

على مثلها امضي اذا قال صاحبي ألا ليتني افديك منها وافتدي

اذا القومُ قالوا من فتىً ؟ خِلتُ انني عُنيتُ فلم اكسلْ ولم اتبلَّدِ

وإنْ يلتقِ الحيُّ الجميعُ تلاقني الى ذروة البيت الكريم المُصمَّدِ[٣]

وما زال تشرابي الخمورَ ولذَّتي وبيعي وانفاقي طريفي ومتلَدي[٤]

الى ان تحامتني العشيرة كلُّها وأُفردتُ افراد البعير المعبَّدِ[٥]

ألا ايها ذا اللائمي أشهدَ الوغى وأن احضرَ اللذّاتِ هل انت مُخلدي[٦]

---

(١) نرتاب في صحة هذه الرواية لعدم انطباقها على المعقول ونعتقد انها قصة من القصص الموضوعة (٢) خولة اسم امرأة . برقة ثهمد اسم موضع . الوشم رسم يغرز بالابرة على اليد (٣) المصمد المقصود . اي اذا اجتمع الناس للفخار فانا انتمي الى اشرف البيوت (٤) الطريف المال المستحدث . والمتلد المال الموروث (٥) البعير المعبَّد اي الجمل المطلي بالقطران لجربه (٦) ايا من تلومني على حضوري الحرب واللذات هل تخلدني ان كففت عنهما

فان كنتَ لا تستطيعُ دفعَ مَنيَّتي   فدعني أُبادرها بما ملكتْ يدي

. . . . .

ارى العيشَ كنزاً ناقصاً كلَّ ليلةٍ   وما تُنقِصِ الايامُ والدهرُ ينفدِ

فمالي اراني وابنَ عمّي مالكاً   متى ادنُ منه ينأَ عني ويبعدَ

انا الرجل الضَّرْبُ الذي تعرفونهُ   خَشاشٌ كرأس الحيَّةِ المتوقّدِ (٢)

وظلم ذوي القُربى اشدُّ مَضاضةً   على النفس من وقعِ الحسام المهنَّدِ (١)

فان متُّ فانعيني بما انا اهله   وشقّي عليَّ الجيب يا أبنة مَعبدِ

ولا تجعليني كامرئٍ ليس همُّهُ (٣)   كهمّي ولا يغني غَنائي ومشهدي

بطيءٍ عن الجُلّى سريعٍ الى الخنا   ذلولٍ بأجماع الرجال مُلهَّدِ (٤)

فلو كنتُ وغلاً في الرجال لضرّني (٥)   عداوة ذي الاصحاب والمتوحّدِ

ولكن نفى عني الرجالَ جراءتي   عليهم وإقدامي وصدقي ومحتِدي (٦)

. . . . .

ستُبدي لك الايامُ ما كنتَ جاهلاً   ويأتيكَ بالاخبارِ مَنْ لم تُزَوِّدِ

ويأتيك بالاخبار مَنْ لم تَبعْ لهُ   بَتاتاً ولم تضرب لهُ وقت موعدِ (٧)



---

(١) المضاضة الالم . الحسام المهند اي السيف القاطع

(٢) الضرب اي الخفيف . الخشاش الماضي من الرجال الشديد العزم او الدخّال في الامور بسرعة (٣) اي ليست همته كهمّتي (٤) بطيء عن عظائم الامور سريع الى الفحش والشر كثيراً ما يدفعهُ الرجال بجمع اكفهم

(٥) الوغل اللئيم . المتوحد المنفرد الذي لا اتباع له (٦) المحتد . الاصل

(٧) البتات – الزاد او متاع المسافر . اي من لم تعامله

عَمرو بن كلثوم

توفي سنة ٦٠٠م (وعلى رواية ٥٧٠)

هو سيد قبيلة تغلِب اشتهر بالرجولية وعزّة النفس، وامهُ ليلى ابنة المهلهل المشهور

يُحكى[1] ان عمرو بن هند ملك الحيرة قال ذات يوم لندمائه: هل تعلمون احداً من العرب تأنف امهُ من خدمة امي. فقالوا: نعم عمرو بن كلثوم. فارسل ملك الحيرة الى ابن كلثوم يستزيره،[2] ويسأله ان يُزير أُمَّهُ أُمَّهُ. فاقبل ابن كلثوم في جماعة من تغلِب ومعه أُمهُ، وضَرب رواقاً فيما بين الحيرة والفرات، ثم دخل على الملك ودخلت امهُ على ام الملك. وكان الملك قد أمر أُمهُ ان تنحّي الخدم اذا دعا بالطُرَف وتستخدم ليلى. فلما دعا بالطُرَف التفتت امُّ الملك الى ليلى ام عمرو بن كلثوم وقالت ناوليني يا ليلى ذلك الطبق. فقالت ليلى لتقمْ صاحبة الحاجة الى حاجتها. فاعادت عليها وأَلحّت فصاحت ليلى واذلاّه! يا لَتغلِب! فسمعها ابنها فثار الدم في وجهه، ووثب الى سيف معلق في الرواق فضرب به رأس الملك، ثم نجا هو واصحابه بعد ان انتهبوا ما في الرواق

اما معلقته فقد نظمت على اثر تلك الحادثة وتصوّر لنا حالة الفروسية الحقّة كما كان يراها العرب. ويذهب البعض الى انها قصيدتان مستقلتان نظمتا في حادثتين مختلفتين، واحدة فيما كان بين بكر وتغلب، والثانية فيما

(١) ملخصة عن الاغاني وعن الشعر والشعراء لابن قتيبة

(٢) يطلب منه ان يزوره

كان بينه وبين ملك الحيرة (١) وهي ملأى بالفخر والمباهاة ، على ان ذلك لا يحطّ من قدرها ، لان عادة البطل في الجاهلية ان يفاخر بنفسه وبقومه ويتغنى بمحامد عشيرته . وهذا طبيعيٌّ فيمن حالتهم كحالة العرب القدماء . فاذا فخر عمرو فانما يفخر بما كان يشعر به من القوة والكرامة ، يدفعهُ الى ذلك عزّة نفسه وإباؤُه وتوقُّد خاطره . والذي يقرأ ابياتهُ يشعر بارتياح الى ذلك النفَس العالي المستمدّ من طبيعته النارية

وتبدأ المعلقة بشرب الخمر ثم ينتقل الشاعر الى مخاطبة عمرو بن هند ملك الحيرة بكلام يدلّ على استخفافه به ، ويتخلص من ذلك الى المفاخرة بقبيلة تغلب وتبيان محامدها

نخبة من معلقة ابن كلثوم

وهي مائة بيت ونيِّف

الا هُبّي بصحنك واصبَحينا ... ولا تُبقي خمورَ الأندرينا (٢)

مشعشعةً كأَنَّ الحُصَّ فيها ... اذا ما الماء خالطها سخينا (٣)

تجور بذي اللُّبانة عن هَواهُ ... اذا ما ذاقها حتى يلينا (٤)

وكأْسٍ قد شربت ببعلبكٍّ ... واخرى في دمشقَ وقاصرينا (٥)

وإِنّا سوف تُدركنا المنايا ... مقدَّرةً لنا ومقدّرينا

---

(١) راجع عمرو بن كلثوم في تاريخ اداب اللغة لزيدان ج١ ، وقابل بين رواية الاغاني وابن قتيبة ورواية البغدادي في خزانة الادب (٢) الصحن القدح العظيم . وصبح اي سقى الخمر صباحاً . اندرين قرى بالشام (٣) الحص نبات له زهر احمر . مشعشعة ممزوجة بالماء (٤) اللبانة الغرض . جار به عن كذا اي مال به

(٥) قاصرين بلدة بين حلب والرقة

قفي قبلَ التفرُّق يا ظعينا نخَبِّرْكِ اليقين وتُخبرينا
بيوم كريهة ضرباً وطعناً اقرَّ به مواليكِ العيونا[1]
وإنَّ غداً وانّ اليوم رهنٌ وبعد غدٍ بما لا تعلمينا

وبعد ان يذكر حبه ويصف فتاته يخاطب عمرو بن هند ملك الحيرة قائلاً :

أَبا هندٍ فلا تعجل علينا وأَنظِرنا نخبرْكَ اليقينا[2]
بأنّا نُورد الرايات بيضاً ونُصدرهنَّ حمراً قد رُوينا
وايامٍ لنا غرٍّ طوالٍ عصَينا الملك فيها ان ندينا[3]
نطاعنُ ما تراخى الناس عنا ونضرب بالسيوف اذا غُشينا[4]
وإنَّ الضِّغنَ بعد الضغن يبدو عليكَ ويُخرجُ الداءَ الدَّفينا
ورثنا المجد قد علمت مَعَدٌّ نطاعنُ دونه حتى يبينا[5]
بشبَّانٍ يُرَوْن القتلَ مجداً وشيبٍ في الحروب مجرَّبينا

. . . . .

الا لا يعلمِ الاقوام انّا تضعضعنا وانّا قد ونينا
الا لا يجهلنْ احدٌ علينا فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا

. . . . .

بأيِّ مشيئةٍ عمرَو بن هندٍ تُطيع بنا الوشاةَ وتزدرينا

---

(١) الظعينة المرأة في الهودج وهي راحلة وحذفت التاء في الشعر للترخيم اي قفي ايتها الحبيبة واخبرينا ما لاقيت بعدنا ونخبرك عما فعلناه في حرب ظفر فيه بنو اعمامك (مواليك) (٢) انظرنا اي امهلنا (٣) الغر البيض المشهورة. ومعنى البيت وفي تلك الايام عصينا الملك كراهية ان نتذلل له (٤) اي اذا ابتعد الناس عنا طعناهم بالرماح واذا هاجمونا فبالسيوف (٥) معد اي العرب من بني عدنان. يبين اي يظهر

فانَّ قناتنا يا عمرو اعيت على الاعداء قبلك ان تلينا(١)
تهدّدنا واوعدنا ! رويداً متى كنا لأمّكَ مقتوينا(٢)

ثم يخاطب بني بكر فيقول :

اليكم يا بني بكرٍ اليكم ألمَّا تعرفوا منا اليقينا
ألمَّا تعرفوا منا ومنكم كتائبَ يطّعِنَّ ويرتمينا
وقد علم القبائل من معدٍّ اذا قُببٌ بابطحها بُنينا(٣)
بأنَّا المطعمون اذا قدرنا وانَّا المهلكونَ اذا ابتُلينا(٤)
وانَّا المانعون لما اردنا وانَّا النازلونَ بحيث شينا
وأنا التاركون اذا سخطنا وأنَّا الآخذون اذا رضينا
ونشربُ ان وردنا الماءَ صفواً ويشربُ غيرُنا كدَراً وطينا
اذا ما المَلْك سام الناس خسفاً أبينا ان نُقرَّ الذلَّ فينا
ملأنا البرَّ حتى ضاق عنا وماء البحر نملأهُ سفينا
لنا الدنيا ومن اضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
اذا بلغ الفطامَ لنا صبيٌّ تخرُّ له الجبابرُ ساجدينا

---

(١) اي اننا اعز من ان يذلنا الاعداء (٢) المقتوون اي الخدّام
(٣) الابطح المكان الواسع (٤) قدرنا اي عند ما نطبخ الطعام بالقدر — ابتلينا اي اختُبر قتالنا وصبرنا

الحارث بن حِلِّزة

توفي سنة ٥٩٠ م (وعلى رواية ٥٧٠)

هو من قبيلة بكر. وسبب نظم معلقته ان عمرو بن هند ملك الحيرة لما جمع بين قبيلتي تغلب وبكر واصلح بينهما اخذ من القبيلتين رهناً من كل قبيلة مئة غلام يسيرون معه. ثم ان غلمان تغلب هلكوا ، قيل هبت عليهم سَموم فاهلكتهم وقيل قتلوا وسلم البكريون. فغضبت قبيلة تغلب واقبل جماعة منهم اسمهم الاراقم الى ملك الحيرة يشكون من بني بكر ويتّهمونهم بهلاك الغلمان. فقام حينئذٍ الحارث بن حِلِّزة وانتصر لقبيلة بكر وانشد معلقته يذكر فيها محامد عشيرته ويعرّض بنقائص تغلب. فلما فرغ منها حكم ملك الحيرة ببراءة بكر من التهمة وانه لا يلزمها ما حدث على رهائن تغلب[1]

وقد ذهب العلاَّمة نولدكي الى ان هذه القصيدة ليست من طبقة المعلقات ولكن حمَّاداً الراوية اراد ان يثبت مفاخر بكر معارضة لعمرو بن كلثوم صاحب المعلقة التي يشيد فيها باعمال تغلب ، فذكرها مع المعلقات[2]. ولعل في قوله شيئاً من الصحة، ولكن ليس في القصيدة نفسها ما يدل على ذلك[3]. ويقال ان الحارث ارتجل هذه القصيدة ارتجالاً وهو بحضرة ملك الحيرة فتوكأ على قوسه وانشدها وقطع كفهُ وهو لا يشعر من الغضب. وفي هذا القول متّسع

(١) عن الاغاني وابن خلكان (٢) Nicholson Lit. Hist. of Arabs 113

(٣) فهي من حيث النفس جاهلية المعنى والمبنى. اما انكارها تاريخياً فقد يصدق على غير واحدة من المعلقات

للريب · وكان بالحارث وضَح (اي برص) فقيل للملك انّ به وضحاً فامر ان يجعل بينهُ وبينه ستر ، فلما تكلم أُعجب بمنطقهِ ، فلم يزل يقول ادنوهُ ادنوه حتى امر بطرح الستر واقعدهُ معهُ قريباً منه

نخبة من معلقة الحرث بن حلزه

وهي تسعة وسبعون بيتاً

آذنتنا ببينها اسماءُ ... رُبَّ ثاوٍ يُملُّ منهُ الثواءُ(1)

بعد عهدٍ لنا ببُرقةِ شمَّاءَ ... فأدنى ديارها الخَلصاءُ(2)

لا ارى من عهدتُ فيها فابكي ... اليومَ دلهاً وما يُحير البكاءُ(3)

وبعد ان يصف ناقته ويذكر استعانته بها في الملمات يقول :

واتانا من الحوادث والانباء ... خطبٌ نُعنى بهِ ونساءُ

انَّ اخواننا الاراقمَ يَغلونَ ... علينا ، في قيلهم إحفاءُ(4)

يخلطون البريءَ منا بذي الذنب ... ولا ينفع الخَليَّ الخلاءُ(5)

اجمعوا امرهم عِشاءً فلما ... اصبحوا اصبحت لهم ضوضاءُ

من منادٍ ومن مجيبٍ ومن ... تَصهال خيلٍ خلالَ ذاكَ رُغاءُ(6)

ايها الناطق المرقِّش عنا ... عند عمروٍ وهل لذاكَ بقاءُ(7)

(١) آذن . اعلم — البين . الفراق — الثواء الاقامة (٢) برقة شماء والخلصاء موضعان . اي عزمت على فراقنا بعد لقائنا في هذين المحلين (٣) يُحير ان يرجع او يفيد — دلها اي بكاء من ذهب عقله (٤) الاراقم جماعة من ذكرهم — القيل . القول — احفاء . الحاح — غلا جاوز الحد اي انهم تجاوزوا الحد في عدوانهم وقولهم (٥) الخلي البريء — والخلاء البراءة (٦) الرُّغاء · صوت النياق (٧) المرقش اي المبلغ الملك ما يريبه فينا

لا تخلنا على غراتك . إنَّا قبلما قد وشى بنا الاعداءُ[1]
فبقينا على الشناءة تنمينا حصون وعزّة قعساءُ[2]
ايّما خطّةٍ اردتم فأدُّوها الينا تشقى بها الأملاءُ[3]
لا يقيم العزيزُ بالبلدِ السهلِ ولا ينفعُ الذليلَ النجاءُ[4]
ليس ينجي الذي يوائل منا رأسُ طودٍ وحرّةٌ رجلاءُ[5]
فاتركوا الطيخ والتعاشي وإمّا تتعاشوا ففي التعاشي الداءُ[6]

وعلى هذا النسق يختم القصيدة بابيات يذكر فيها اعمال بني بكر ووقائعهم ومحامدهم وبراءتهم من كل لوم



(١) اي لا تظن اننا نذل لاغرائك الملك بنا فقد جرب ذلك من قبل غيرك فلم ينتفع (٢) الشناءة البغض – تنمينا . ترفعنا – القعساء اي المنيعة (٣) الاملاء اي الجماعات من الاشراف (٤) النجاء الامراع في السير (٥) يوائل . يهرب – الحرة اي الارض ذات الحجارة السوداء . والرجلاء الخشنة
(٦) الطيخ . التكبر – التعاشي التعامي

عنترة بن شداد

توفي ٦١٥ م

هو فارس بني عبس ظهرت فروسيتهُ في حرب داحس والغبراء كما مرَّ معنا · وكان عبداً أُمهُ جارية حبشية سباها ابوه في بعض مغازيه · فلم يكن ابوهُ يدعوه ابنهُ حتى اشتهر بالشجاعة وسار ذكره بين العرب · وكان يهوى ابنة عمه عبلة ، وكثيراً ما كان يذكرها في شعره · ولم يتمكَّن اوَّلاً من الاقتران بها فهام بحبها جداً ، واخيراً تزوَّجها ثم مات مقتولاً

وليس احد من العامَّة والخاصَّة لا يسمع بذكر عنترة بطل القصة المشهورة المنسوبة اليه · على ان هذه القصة موضوعة لا حقيقية وهي على الارجح من اعمال الجزء الاخير من القرن الرابع للهجرة ، وضعها للخليفة الفاطمي العزيز بالله رجل اسمهُ الشيخ يوسف بن اسماعيل[1] ، فاشتهرت كثيراً حتى نُقلت الى بعض لغات الافرنج · ويغلب على الظن انها نشأت تدريجياً ثم جمعها الشيخ يوسف المذكور

واما شعرهُ فكثير منه موضوع ، ولكنه من الطبقة الاولى ويمتاز بسلاسته وسهولته وبما يتقّد فيه من نيران الحماسة والرجولية · ومعلقته مشهورة نظمها في اواخر حرب داحس ، ولذلك ترى نيران تلك الحرب متقدة في كل بيت من ابياتها · وهي اقرب من سائر شعره الى النفَس الشعري الجاهلي ، وربما كانت اصعب قصائده واضخمها ، فان ما يُروى من شعر عنترة عادةً سلِس قريب من الشعر العصري

---

(١) تاريخ اداب اللغة لزيدان ج ١ تحت سيرة عنترة

نخبة من معلقة عنترة

وهي خمسة وسبعون بيتاً

هل غادر الشعراء من متردَّمِ ام هل عرفتَ الدار بعد توهمِ (١)

. . . . .

يا دارَ عبلةَ بالجِواء تكلَّمي وعِمي صباحاً دارَ عبلة واسلمي (٢)

حُيِّيتَ من طللٍ تقادم عهدُهُ اقوى واقفرَ بعد امِّ الهيثمِ (٣)

تُمسي وتصبح فوق ظهر حشيَّةٍ وابيتُ فوق سَراة ادهمَ مُلجَمِ (٤)

ان تُغدفي دوني القناعَ فانني طَبٌّ باخذ الفارس المستلئمِ (٥)

أَثني عليَّ بما علمتِ فانني سمْحٌ مخالقتي اذا لم أُظلمِ (٦)

فاذا ظُلمتُ فان ظلمي باسلٌ مرٌّ مذاقته كطعم العلقمِ (٧)

هلاَّ سألتِ الخيل يا ابنة مالكٍ ان كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي

يخبرْكِ من شهد الوقيعة أنني اغشى الوغى واعفُّ عند المغنمِ

. . . . .

ومدجّجٍ كرهَ الكماةُ نزالهُ لا ممعنٍ هرباً ولا مستسلمِ (٨)

جادت لهُ كفّي بعاجل طعنةٍ بمثقَّفٍ صَدْق الكعوب مقوَّمِ (٩)

---

(١) المتردَّم . موضع في الثوب للرقع او للاصلاح . كانهُ يقول هل ترك الشعراء قولاً لم يسبقونا اليه . والبعض ينكر هذا البيت. والارجح ان البيت الثاني هو مطلع القصيدة
(٢) الجواء . الوادي الواسع (٣) اقوى واقفر اي خلا من السكان . ام الهيثم كنية عبلة (٤) الحشية الفراش اللين – سراة ظهر . اي تمسي هي فوق فراش ناعم وابيت انا على ظهر فرس ادهم ملجم (٥) ان ترخي القناع دوني فاني ماهر باخذ الفرسان اللابسين الدروع . اي لا تزهدي فيَّ وانا من انا من النجدة والشجاعة
(٦) اثني اي اذكري محامدي – سمح المخالقة اي سهل المخالطة والمعاشرة
(٧) ظلمي باسل اي كريه (٨) المدجج . الكامل السلاح - الكماة الابطال
(٩) المثقف صدق الكعوب اي الرمح المقوم القوي الكعوب

فشككتُ بالرمح الاصمِّ ثيابهُ ليس الكريم على القنا بمحرَّمِ
فتركتهُ جزرَ السباع ينشنهُ يقضمنَ حسنَ بنانهِ والمعصمِ (١)

....

نُبِّئتُ عمراً غير شاكر نعمتي والكفر مخبثةٌ لنفسِ المنعمِ (٢)
لما رأيت القوم اقبل جمعهم يتذامرونَ كررتُ غير مذمَّمِ (٣)
يدعون عنتر والرماح كأنها أشطانُ بئرٍ في لَبانِ الادهمِ (٤)
ما زلت ارميهم بثغرة نحرهِ ولَبانهِ حتى تسربل بالدَّمِ
فازورَّ من وقع القنا بلبانهِ وشكا اليَّ بعَبرةٍ وتحمحمِ (٥)
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلّمي
ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيلُ الفوارس ويكَ عنتر أقدمِ
والخيل تقتحم الخَبار عوابساً ما بين شيظمة واجردَ شيظمِ (٦)
ذُللٌ ركابي، حيث شئت مشايعي لبِّي ، وأحفزهُ بأمرٍ مبرَمِ (٧)

---

(١) جزَر السباع اي فريسة لها . ينشنهُ يتناولنهُ ويقضمن يعضضن

(٢) اي الكفر بالنعمة ينفر نفس المنعم عن الانعام (٣) يتذامرون يحض بعضهم بعضاً على القتال (٤) اشطان حبال . لبان صدر . والادهم فرسه المشهور

(٥) ازورَّ مال . القنا الرماح . تحمحم صوت الفرس عند رغبته في استعطاف صاحبه (٦) الخبار الارض اللينة . الشيظم الطويل (٧) اي نياقي ذليلة لي تطيعني ولبي يذهب معي حيث اريد فاقضي ما يقتضيه بامر محكم

زهير ابن ابي سلمى

توفي سنة ٦٣١ م (وعلى رواية اخرى ٦٠٩)

شاعر مُزَينة وسيِّد من اسياد العرب نظم معلَّقته على اثر الصلح الذي عقب داحس والغبراء · ووقفها على مدح السيدين الكبيرين اللذين جرى الصلح على ايديهما وهما هرِم بن سنان والحارث بن عوف · والقسم الاخير من قصيدته حِكم مشهورة جرت مجرى الامثال

وهو صاحب الحَوليَّات المعروفة بحوليات زهير، ويراد بها القصائد التي يقضي الشاعر في نظمها وتهذيبها وعرضها للنقد حولاً كاملاً · ثم ينشدها على الملأ · ومهما يكن في ذلك مما يدعو الى انكاره في عصر كذلك العصر فانه يدلُّ على دقة الرجل وبُعد نظره وتروّيه في الصناعة الشعرية، وتلك المزايا ظاهرة في شعر زهير

قيل ورث موهبة الشعر من خال له اسمهُ بشامة · وكان بشامة هذا كثير المال واسع الخير ولم يكن له ولد · فلما حضره الموت جعل يقسم ماله في اهل بيتهِ وبني اخوتهِ، فاتاه زهير فقال يا خالاه لو قسمت لي من ذلك · فقال يا ابن اختاه قد قسمت لك افضل من ذلك واجزل · قال وما هو ؟ قال شعري

وكان لزهير ابنان كعب وبُجَير، وكلاهما شاعر وقد ادركا الاسلام · فاسلم بجير اولاً فلامهُ كعب وهجا النبي والصحابة ، ثم تاب واسلم ونظم قصيدته المشهورة المعروفة بانت سعاد يمدح بها النبي · وقد اشتهرت لان

النبي على ما يروون خلع بردتهُ عليه وهو ينشدها في حضرته ، وسيأتي ذكرها بعد · واكثر مدائح زُهير في هرِم بن سنان احد اجواد العرب المشهورين· ومما يُعرَف عنه أنهُ لم يمدح احداً الاَّ بما فيه · قال ابن قتيبة وكان زهير يتألَّه ويتعفف ويدل شعره على ايمان بالبعث [1] · ويعدُّه العلماء من الثلاثة المقدَّمين على سائر شعراء الجاهلية — وهم امروء القيس والنابغة وزُهير · وكان عمر بن الخطَّاب يفضله على الجميع [2]

نخبة من معلقة زهير

وهي اربعة وستون بيتاً

أَمِن أُمّ أوفى دِمنةٌ لم تَكلَّمِ	بحومانة الدرَّاجِ فالمتثلِّمِ [3]
ودارٌ لها بالرقمتين كأنها	مراجيع وَشمٍ في نواشرِ معصمِ [4]
وقفتُ بها من بعد عشرين حِجَّةً	فَلاَياً عرفتُ الدار بعد توهُّمِ [5]
ولما عرفتُ الدار قلت لربعها	ألا أنعم صباحاً ايها الرَّبع واسلمِ

وبعد ان يصف ركائب الاحباب وسيرَهنَّ يتخلَّص الى مدح السيدين المذكورين آنفًا ويقول

فاقسمتُ بالبيت الذي طاف حولهُ	رجالٌ بَنوهُ من قريش وجُرهُمِ

(١) الشعر والشعراء ٢٤ (٢) طبقات الشعراء للجمحي ٢٩ والشعر والشعراء ٢٣

(٣) تكلم اي تتكلم . ام اوفى اسم امرأة . الدمنة اثر الدار . حومانة الدرَّاج والمتثلم موضعان (٤) الرقمتان موضع . المعصم موضع السوار من اليد . مراجيع وشم اي وشم مجدَّد مرة بعد مرة . ونواشر المعصم عروقه (٥) الحجة السنة . اللاي المشقة

يميناً لَنعمَ السيدان وُجدتما ... على كل حال من سحيلٍ ومُبرَمِ [(١)]
تدار كتما عبساً وذبيانَ بعدما ... تفانَوا ودقُّوا بينهم عِطرَ مَنشم [(٢)]
وقد قلتما إِن ندرِكِ السلمَ واسعاً ... بمالٍ ومعروفٍ من القوم نَسلم [(٣)]
فاصبحتما فيها على خير موطن ... بعيدَين فيها من عقوقٍ ومأثمِ [(٤)]
عظيمين في عُليا مَعَدٍّ هُدِيتما ... ومن يستبح كنزاً من المجد يعظُمُ [(٥)]
ألا أبلغ الأَحلاف عني رسالةً ... وذبيان هل اقسمتمُ كلَّ مُقسمِ [(٦)]
فلا تكتُمنَّ الله ما في صدوركم ... ليخفى ومهما يُكتمِ الله يَعلمِ
وما الحرب الا ما علمتم وذُقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجَّم [(٧)]
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً ... وتضرِ اذا ضرَّيتموها فتضرَمِ [(٨)]

---

(١) السحيل والمبرم الضعيف والقوي- اي وجدتما كذلك في كل الاحوال

(٢) عطر منشم . عطر ينسب الى امرأة عطارة تسمى منشم يضرب المثل به في التطير والتخوُّف لان جماعة حلفوا عليه في الحرب فقتلوا جميعاً فيكون معنى البيت تداركتموهم بعد ما كادوا يقتلون

(٣) اي قلتما ان تم لنا الصلح ببذل المال والمعروف سلمنا من الحروب بين العشائر

(٤) فاصبحتما من السلم في خير مكان (اي ظفرتما به) وبعدتما بواسطة السلم عن التقاطع بين العشائر وكذلك من بذل الجهد في ادراك المجد عظم شأنه

(٥) اي في الرتبة العليا بين قبائل معد

(٦) الاحلاف اي حلفاء ذبيان . مقسم اي يمين

(٧) وما الحرب بحديث يؤخذ بالظنون بل هو ما علمتم وجربتم

(٨) تضري اي تشتد

وفي ختامها الحِكَم المشهورة : —

سئِمتُ تكاليفَ الحياة ومن يعشْ ثمانين حولاً لا ابا لك يسأمِ
واعلمُ علمَ اليومِ والامسِ قبلهُ ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي
رأيت المنايا خبطَ عشواءَ من تُصبْ تمتهُ ومن تخطئْ يعمَّرْ فيهرَمِ (١)
ومن لا يصانعْ في امورٍ كثيرةٍ يضرَّسْ بأنيابٍ ويوطأْ بمنسِمِ (٢)
ومن يجعلِ المعروفَ من دون عرضهِ يفِرْهُ ومن لا يتّقِ الشتمَ يُشتَمِ (٣)
ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضلهِ على قومهِ يُستغنَ عنهُ ويذممِ
ومن هابَ اسباب المنايا ينلْنهُ وان يرْقَ اسبابَ السماء بسلَّمِ
ومن يجعلِ المعروفَ في غير اهلهِ يكنْ حمدُهُ ذمًّا عليهِ ويندَمِ
ومن لم يذُدْ عن حوضهِ بسلاحهِ يهدَّمْ ومن لا يظلمِ الناس يُظلمِ
ومن يغتربْ يحسبْ عدوًّا صديقهُ ومن لا يُكرِّمْ نفسهُ لا يُكرَّمِ
ومهما تكن عند امرىءٍ من خليقةٍ وان خالها تخفى على الناس تُعلَمِ (٤)
وكاينْ ترى من صامتٍ لك معجبٍ زيادتهُ او نقصهُ في التكلُّمِ (٥)
لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادهُ فلم يبقَ الاّ صورةُ اللحم والدَّمِ

(١) تخبط خبط عشواء تسير على غير هدى . يعمر يعيش طويلاً
(٢) يصانع . يداري ويداهن . يضرّس يعضّ . المنسم خفّ الجمل وهنا للتعميم
(٣) اي من يجعل المعروف وقاية لشرفه يحفظ شرفه من ان يمسّ
(٤) الخليقة الخصلة والطبع
(٥) وكاين اي وكم . واصلها كأيّ

لبيد بن ربيعة

توفي سنة ٦٦١ م — وقيل ٦٧٥

وُلد لَبيد في الجاهلية ومات في اوائل خلافة معاوية ، وكان معروفاً بالكرم . وهو من الفرسان المعدودين والشعراء المطبوعين ، وفي شعره كما في شعر زهير ما يدلُّ على رقَّة عواطفه الدينية .

ذكروا ان النابغة رآه وهو غلام جاء مع اعمامه الى النعمان بن المنذر فتوسَّم فيه الشاعرية ، فسأل عنه فنسبوهُ فقال له يا غلام ان عينيك لعينا شاعر أفتقرض من الشعر شيئاً ؟ قال نعم يا عم . قال فانشدني . فانشدهُ قولهُ «الم توجع عن الدِمَن الخوالي» الخ . فقال يا غلام انت اشعر بني عامر ، زدني — فانشد قوله :

«طللٌ لخولة في الرسيس قديم» . فضرب بيده على جنبه وقال اذهب انت اشعر من قيس كلّها

قيل لما اسلم ترك الشعر وقال ابدلني الله بهِ سورة البقرة وآل عمران.[1]

وقصيدتهُ من افضل الشعر الجاهليّ وصفاً لحياة البداوة ومشاهد البادية . مطلعها كمطالع سائر القصائد الجاهلية—وقوفٌ على الطلول بعد ذَهاب الاحبَّة . ثم يتخلَّص منهُ الى وصف ناقته ويقابلها بحمار وحشيٍ وهو يعدو بسرعة فوق التلال وقد جدَّ به الجوع والظمأ ، او ببقرة تركت ولدها فافترسته السباع في ليلة شديدة المطر فهبَّت صباحاً واخذت تفتِّش عنه وبقيت سبع ليالٍ على هذه الحال تعدو من هنا الى هناك ، ثم تسمع وطء اقدام الصيَّادين فتهرب

---

(١) طبقات الشعراء ٤٩ . الشعر والشعراء ٥١

من امامهم فيطلق عليها الصيادون الكلاب · حينئذٍ ترتدّ على الكلاب وتطعنها بقرنيها الحادّين · ثم يرجع الى مخاطبة فتاته والى ذكر اعماله ووقائع قومه ويختم الكلام بمدح عشيرته

نخبة من معلقة لبيد

وهي ثمانية وثمانون بيتًا

عَفَتِ الديار محلُّها فمقامُها — بِمِنًى تأبَّدَ غَولُها فرجامُها[1]

دِمَنٌ تجرَّم بَعد عهد أَنيسها — حِججٌ خلونَ حلالُها وحرامُها[2]

رُزقت مرابيعَ النُّجوم وصابَها — وَدْقُ الرواعد جَودُها فرهامُها[3]

وجلا السيولُ عن الطلول كأنها — زُبُرٌ تُجدُّ متونَها اقلامُها[4]

فوقفتُ اسألها وكيف سؤالنا — صُمًّا خوالدَ ما يَبين كلامُها

بل ما تذكَّرُ من نُوارَ وقد نأت — وتقطَّعت اسبابها ورمامُها[5]

فاقطع لُبانةَ من تعرَّض وصلهُ — ولَشرُّ واصلِ خُلَّةٍ صرَّامُها[6]

وأحبُ المجاملَ بالجزيلِ وصَرمُهُ — باقٍ اذا ظلعت وزاغ قوامُها[7]

---

(١) عفا اي انمحى . منا اسم مكان . تأبد اي توحش . الغول والرجام جبلان . ومعنى البيت امحت الديار وخلت هذه الاماكن من اثار السكان

(٢) الدمن آثار الدار . تجرَّم انقطع . الحجج السنوات – اي مرَّ على هذه الدار سنون بكمالها (٣) مرابيع النجوم . اي الانواء الربيعية . الودق المطر . الجود والرهام الكثير والقليل (٤) اي وكشفت السيول عن اطلال الدار فاظهرتها بعد ستر التراب لها فكأن السيول اقلام تجدد الكتابة على الطلول

(٥) نوار اسم امرأة . الاسباب والرمام اي الحبال القوية والضعيفة ويريد هنا روابط محبتها (٦) فاقطع حاجتك ممن كان وصلة معرَّضًا للزوال فان شرَّ الاحباب من يقطع محبته عنك (٧) اي اعط من جاملك ودادك وكن مستعداً ان تقطعهُ اذا قطع مجاملته

ثم يصف ناقته كما ذكرنا سابقاً ويتخلص من ذلك الى الفخر

فبتلك اذ رقصَ اللوامعُ بالضُّحى   واجتاب اردية السراب إكامُها[١]
أقضي اللُّبانة لا أُفرّطُ ريبةً   او ان يلوم بحاجةٍ لوّامها
أَوَلم تكن تدري نوارُ بأنني   وصّال عقد حبائلٍ جذّامها[٢]
إنّا اذا التقت المجامع لم يزل   منا لِزازُ عظيمة جشّامها[٣]
مِن معشرٍ سنّت لهم آباؤهم   ولكلّ قوم سنّةٌ وإمامُها
لا يَطبعون ولا يبور فَعالهم   بل لا تميل مع الهوى احلامها[٤]
فاقنع بما قسم المليك فانما   قسمَ الخلائقَ بيننا علّامها
واذا الامانة قسّمت في معشرٍ   اوفى باوفر حظّنا قسّامها
فبنى لنا بيتاً رفيعاً سَمْكُهُ   فسما اليهِ كهلُها وغُلامها[٥]
فهمُ السُّعاةُ اذا العشيرةُ أُفظِعت   وهمُ فوارسها وهم حكّامها[٦]

---

(١) اللوامع اي اشعة الشمس . ومعنى الشطر الثاني - ولبست الآكام اردية السراب (٢) الجذّام القطاع (٣) لزاز عظيمة اي قرين الحوادث العظيمة . الجشام من يخوض الاخطار غير هياب (٤) يطبعون تتدنس اعراضهم . الاحلام العقول (٥) رفيع السمك عالي السقف

(٦) اي اذا اصاب العشيرة حادث فظيع فهم الساعون الى دفعه

النابغة الذبياني

توفي سنة ٦٠٤م

ولئن لم يذكر النابغة مع اصحاب المعلَّقات السبع المارِّ ذكرها كما رواها العلاّمة الزوزني فهو باجماع الاراء من الشعراء الثلاثة المقدَّمين ، وقد عدَّه ابن سلاّم وسواه من الطبقة الاولى : نبغ في بَلاطي الحيرة والشام واشهر ممدوحيه النعمان بن المنذر ملك الحيرة · لكن النعمان انقلب عليه حيناً لوشاية بعض اعدائه به ، فاضطُرَّ النابغة ان يهرب الى الشام ويمدح الغساسنة وبقي هناك حتى رضي عليه اميره ، فانقطع النابغة اليه وجمع من عطاياه ثروة طائلة .

ومما يدلُّك على منزلة النابغة في الشعر ما رووا من انه كانوا يضربون له قبَّة في سوق عكاظ ، ويأتي الشعراء فيتناشدون امامه ليحكم في ايِّهم افضل

اما شعرهُ فجزل متين ، ونَفَسهُ الشعري عالٍ · قال ابن قتيبة كان النابغة احسن الناس ديباجةَ شعر ، واكثرهم رونق كلام ، واجزلهم بيتاً : كأنَّ شعرهُ ليس فيه تكلُّف · وقد اشتهر بقصائده التي يعتذر فيها للنعمان ولا سيما بداليَّته التي مطلعها :

يا دار ميَّة بالعلياء فالسنَدِ ... اقوتْ وطال عليها سالف الابدِ

وقفتُ فيها أُصيلاناً اسائلها ... عيَّت جواباً وما بالربع من احدِ

وبعد وصف طلول الحبيب يصف ناقته ويشبهها بثور برّي هاجه الصيادون ، ثم يتخلَّص الى مدح النعمان والاعتذار له · ومن قوله في ذلك

ابيات يصف بها نهر الفرات في ابّان هيجانه فيقول : —

فما الفرات اذا هبَّ الرياح له ترمي غواربُهُ[١] العِبرَين بالزَّبَدِ
يمدُّهُ كلُّ وادٍ مُترعٍ لجِبٍ فيه ركامٌ من اليَنبوت والخضَدِ[٢]
يظلُّ من خوفه الملاّح معتصماً بالخيزُرانة[٣] بعد الأَين والنَّجدِ
يوماً باجود منه سيبَ نافلةٍ[٤] ولا يحولُ عطاء اليوم دون غدِ

ومن قصائده المشهورة قصيدته في عمرو بن الحارث ملك غسان قال :

كِليني لهمٍّ يا أُميمةُ ناصبِ وليلٍ أُقاسيه بطيء الكواكبِ[٥]
تطاولَ حتى قلتُ ليس بمنقضٍ وليس الذي يرعى النجوم بآيبِ[٦]
وصدرٍ اراحَ الليلُ عازبَ همِّهِ تضاعفَ فيه الهمُّ من كل جانبِ[٧]
عليَّ لعمروٍ نعمةٌ ، بعد نعمةٍ لوالدهِ ، ليست بذات عقاربِ[٨]

ومنها في مدح بني غسان

اذا ما غزَوا بالجيش حلّق فوقهم عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ
جوانحَ قد ايقنَّ انَّ قبيلهُ اذا ما التقى الجمعانِ اوّلُ غالبِ

(١) الغوارب الامواج (٢) الينبوت والخضد نباتان. اي تمدّه مياه الاودية وقد طغا عليها ما اقتلعته من نبات (٣) الخيزرانة دفة السفينة (٤) ليس الفرات في هذه الحال باكرم من النعمان (٥) اميمة اسم امرأة . ناصب اي متعب . ليل بطيء الكواكب اي طويل (٦) اراد بالذي يرعى النجوم الصبح
(٧) اراح اي ارجع . العازب البعيد او الغائب
(٨) اي عليَّ لعمرو نعمة ، بعد نعمة عليَّ لوالده ، وان هذه النعمة لا يكدرها منٌّ او اذى

لهنَّ عليهم عادةٌ قد عرفنها ... اذا عُرِّض الخطيُّ فوق الكواثب (١)

فهم يتساقونَ المنيَّةَ بينهم ... بأيديهمِ بيضٌ رقاقُ المضارب

ولا عيبَ فيهم غير انَّ سيوفهم ... بهنَّ فلولٌ من قراع الكتائب

تُخيِّرن من ازمان يومِ حليمةٍ ... الى اليوم قد جُرِّبن كل التجارب (٢)

تَقُدُّ السلوقيَّ المضاعَفَ نسجهُ ... وتوقدُ بالصفَّاح نار الحُباحب (٣)

لهم شيمةٌ لم يُعطها الله غيرهم ... من الجود، والاحلامُ غير عوازب (٤)

محلَّتهم ذاتُ الإِلهِ ودينهم ... قويمٌ فما يرجون غير العواقب (٥)

ولا يحسبونَ الخيرَ لا شرَّ بعدَهُ ... ولا يحسبون الشرَّ ضربةَ لازب (٦)

حبوتُ بها غسَّانَ اذ كنت لاحقاً ... بقوميَ اذ اعيت عليَّ مذاهبي (٧)

---

(١) الخطي اي الرماح . الكواثب ما كان امام قربوس الفرس

(٢) ويروى تُوورثنَ بدل تخيرنَ . يوم حليمة يوم مشهور بين غسان والحيرة وقد مرَّ ذكرهُ (٣) السلوقي اي الدرع . الصفاح الحجارة العراض . الحباحب حشرة تطير في الليل وفي مؤخرها مادة تضيء كالنار ويسميها العامة سراج الليل

(٤) الاحلام غير عوازب . اي عقولهم حاضرة دائماً

(٥) محلتهم مسكنهم ذات الله اي منازل انبيائه مثل الشام وبيت المقدس . ويروى مجلتهم اي كتابهم (٦) ضربة لازب اي امر لا بد منه

(٧) الهاء في بها ترجع الى القصيدة . حبا اي اعطى . اعيت عليَّ المذاهب اي ضاقت بي السبل

الاعشى

توفي سنة ٦٢٩ م

وممن يعدّ من اصحاب المعلقات ايضاً ميمون بن قيس المعروف بالاعشى واهل الكوفة يقدّمونه على الجميع[1] . وكان اعمى يطوف من مكان الى مكان ينشد اشعارهُ ويكتسبُ بها ، ولذلك سمّوه صنّاجة العرب . وهو مشهور بوصف الخمر وكان له نفوذ كبير بين القبائل شأن كل شاعر كبير في ذلك الزمان : ومما يروى من ذلك انهُ كان ذاهباً الى سوق عكاظ فمرّ على رجل خامل الذكر يقال له المحلِّق — وكان له عدّة بنات لم يتزوّجن لخمول ابيهنّ وفقره . فاكرم وفادة الاعشى ، ولم يكن له غير ناقةٍ فذبحها لضيفه وقامت بناته على خدمته . ثم ان الرجل شكا للاعشى حالهُ وعدم اقبال العرب على بناته فوعده خيراً . وجاء الاعشى الى عكاظ فانشد قصيدة عامرة في مدحِ المحلِّق . فطار اسمه بعد خموله ولم يمضِ عليه حولٌ حتى زوّجت كل بناته .

وقد ادرك الاعشى النبيّ العربي ، فوفد اليه قاصداً مدحه بقصيدة شائقة . فلما بلغ خبره قريش (وكانوا في حرب مع النبي) رصدوه على الطريق وقالوا هذا صنّاجة العرب ما مدح احداً قطّ الا رفع قدره . فلما ورد عليهم قالوا له اين اردت يا ابا بصير ؟ قال اردت صاحبكم هذا لِأُسلم . فقال له ابو سفيان سيّد قريش : هل لك في خير مما هممتَ به ؟ قال وما هو ؟ قال نحن

(١) طبقات الشعراء للجمحي ٢٦

الان في هدنة ، فتأخذ مئة من الابل وترجع الى بلدك سَنَتك هذه وتنتظر ما يصير اليه امرنا . فقال ما اكره ذلك. فقال ابو سفيان : يا معشر قريش هذا الاعشى والله لئن اتى محمّداً واتّبعه ليُضرمنّ عليكم نيران العرب بشعره . فاجمعوا له مئة من الابل — ففعلوا. فاخذها وانطلق الى بلده ، فلما كان في بعض الطريق رمى به بعيره فمات[1] . اما معلّقته فبعضهم يقول هي التي مطلعها

ودّع هرَيرة ان الركب مرتحل ... وهل تُطيق وداعاً ايها الرجلُ

وبعضهم يقول بل مطلعها « ما وقوف الكبير بالاطلال » .

ومن الأُولى قوله في وصف فتاته : —

كأنّ مِشيْتها من بيت جارتها ... مرُّ السَّحابة لا ريثٌ ولا عجلُ[2]
ليست كمن يكره الجيران طلعتَها ... ولا تراها لسرّ الجار تختتلُ
ما روضةٌ من رياض الحَزْن معشبةٌ ... خضراء جادَ عليها مُسبِلٌ هطِلُ
يضاحكُ الشّمس منها كوكبٌ شرقٌ ... موُزّرٌ بعميم النبت مكتهلُ[3]
يوماً باطيبَ منها نشرَ رائحةٍ ... ولا بأحسن منها اذ دنا الأُصلُ

وهاك بعضاً من قصيدته في مدح النبي قال : —

أَلم تغتمض عيناك ليلةَ أَرمدا ... وعادك ما عاد السليم المسهّدا[4]

---

(١) عن الاغاني (٢) مشي السحابة لا بطيئة ولا مسرعة

(٣) اي يضاحك الشمس روض مشرق قد عمه الزهر والعشب

(٤) الارمد المصاب بالرمد. السليم الذي لدغته الافعى عاد اي زار وانتاب

وما ذاك من عشق النساء وانما　تناسيتُ قبل اليومِ خُلَّةَ مَهْدَدا[١]

ولكن ارى الدهر الذي هو خائنٌ　اذا اصلحتْ كفَّاي عادَ فأفسدا

شبابٌ وشيبٌ وافتقارٌ وثروةٌ　فللّهِ هذا الدهر كيف تردَّدا

وما زلت ابغي المال مذ انا يافع　وليداً و كهلاً حينَ شبتُ وامردا

وابتذلُ العيس المراقيل تغتلي　مسافةَ ما بين النُجَير وصرخدا[٢]

الا ايُّها ذا السائلي اين يمَّمتْ　فانَّ لها في اهل يثرِبَ موعدا[٣]

فآليتُ لا ارثي لها من كلالةٍ　ولا من حفىً حتى تزورَ محمَّدا[٤]

نبيٌّ يرى ما لا ترَون وذكرهُ　اغار لعمري في البلاد وأَنجدا[٥]

متى ما تُناخي عند باب ابن هاشمٍ　تُراحي وتَلقَي من فواضلهِ يدا

له صدَقاتٌ ما تغبُّ ونائلٌ　وليس عطاء اليوم يمنعه غدا[٦]

اذا انتَ لم ترحلْ بزادٍ من التقى　ولاقيتَ بعد الموت من قد تزوَّدا

ندمتَ على ان لا تكون كمثله　فترُصِدَ للامر الذي كان ارصدا[٧]

---

(١) الخلة الصداقة . مهدد اسم فتاته . يقول ان ما اصابني من الارق لم يكن من الحب فقد تناسيته بل من فساد الدهر كما يذكر ذلك بعد

(٢) العيس لمراقيل اي النياق المسرعة . اغتلى اي اسرع . النجير وصرخد موضعان

(٣) يممت قصدت . يثرب مدينة الرسول

(٤) و (٥) كلالة تعب . اغار وأنجد اي هبط الغور وهو المكان لمنخفض ورقي النجود او الجبال ويراد به هنا سار شرقاً وغرباً

(٦) تغبّ اي تأتي يوماً وتنقطع يوماً . النائل العطاء

(٧) ارصد للامر اعدّه

سائر شعراء الجاهلية

لم ينفرد الشعراء الذين مر ذكرهم باشعار الجاهلية بل هناك من شعراء ذلك العصر عدد كبير يضيق المقام هنا حتى عن ذكرهم · ومنهم من يُعدّ من اصحاب المعلقات كعَبيد بن الابرص الاسدي ، او من طبقتهم كأُميَّة ابن الصلّت الثقفي ، وعلقمة بن العبد التميمي ، وعديّ بن زيد العِبادي · فاذا اراد احد ان يراجع اخبارهم وجدها في المطوّلات الادبية القديمة كالاغاني وجمهرة اشعار العرب — والحماسة — والعقد الفريد — وابن الاثير — وكامل المبرّد — والشعر والشعراء لابن قتيبة — وابن خلِّكان

ومن الكتب الحديثة — كتاب شعراء النصرانية لشيخو — وتاريخ آداب اللغة لزيدان — وسواهما من كتب التاريخ الادبي



الخطابة في الجاهلية

ذكرنا سابقاً زبدة ما يقال في اشعار الجاهلية وشعرائها المبرّزين · بقي علينا كلمة في النوع الثاني من الآداب العربية نعني الخَطابة ، وهي لا تقلُّ اهميّةً عن الشعر · واكثر الخطباء القدماء كانوا شعراء من طبقات متفاوتة لكنَّ الخطابة غلبت عليهم · وقد نقل لنا الرُّواة بعضاً من خطبهم ، وهي عادة قطع وجيزة من الوعظ ترسل سجعاً او ما يقاربه ، فاذا تحرَّكت بها الشِّفاه شعر القارئ بحسن رصفها ومتانة تركيبها

ومما يذكر هنا ان الخطب القديمة كانت سهلة العبارة قلما يرى المرء فيها شيئاً من وحشيّ الكلام ومستغرَبه · فهي من هذا القبيل تفضل الشعر القديم وربما وجدها الطلبة اليوم اوضح من الخطب والرسائل التي تاخَّرت عنها قرنين او ثلاثة[١]

وكان الخطيب كالشاعر زعيم القبيلة وممثّلها في الاسواق الكبرى او سفيرها الى الملوك والامراء · ولقد اشتهر في الخطابة عدد من اهل الجاهلية نذكر منهم ثلاثة كمثال للطالب

قس بن ساعدة الايادي

اشهرُ الخطباء الاقدمين وارفعهم قدراً · وهو من نجران كان مسيحياً ويضرب المثل بفصاحته ، وكان زاهداً في الدنيا · والمشهور عنه انه اول من

---

(١) والذي يظهر ان الخطب الجاهلية كالشعر الجاهلي كثير منها موضوع في الاسلام

َعلا على منبر واوَّل من قال « اما بعد » · واليك بعض خطبته المشهورة في سوق عكاظ ، ويقال ان النبي ادركه وسمعه يخطبها :

ايها النَّاس اسمعوا وعوا ، واذا سمعتم شيئاً فانتفعوا · انَّهُ من عاش مات ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آت · إنَّ في السماء لخبرا ، وإنَّ في الارض لَعِبرا · ليلٌ داج وسماءٌ ذات ابراج وارضٍ ذات فِجاج وبحار ذات امواج · مالي ارى الناس يذهبون ولا يرجعون · أَرضُوا المقام فاقاموا ام تُركوا هناك فناموا ؟ تبّاً لارباب الغفلة والامم الخالية والقرون الماضية ! يا معشر إِياد اين الآباء والاجداد ، واين المريض والعوَّاد ، واين الفراعنة الشِدّاد ؟ اين من بنى وشيَّد وزخرف ونجَّد ؟ اين من بغى وطغى وجمع فأوعى وقال انا ربكم الأَعلى ؟ أَلم يكونوا اكثر منكم اموالاً واطول منكم آجالاً ؟ طحنهم الثرى بكلكله[1] ومزَّقهم بَطوله[2] : فتلك عظامهم بالية ، وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية · كلاًّ بل هو الله الواحد المعبود ، ليس بوالدٍ ولا مولود

في الذَّاهبين الاوَّلين　　من القرون لنا بصائرْ

لمَّا رأيتُ موارداً　　للموت ليس لها مصادرْ

ورأيتُ قومي نحوها　　يمضي الاصاغر والاكابرْ

لا يرجعُ الماضي اليَّ　　ولا من الباقين غابر[3]

ايقنت اني لا مَحالة　　حيثُ صار القوم صائرْ

---

(١) الكلكل الصدر　(٢) الطول القوة والسطوة

(٣) غابر هنا بمعنى باقي

سحبان وائل

وهو من الذين يضرَب بهم المثل في الخطابة فيقال « اخطب من سَحبان وائل »، وكان على ما يظهر من وصف الواصفين له فصيحاً طلق اللسان، ومما يروى له[1]

ان الدنيا دارُ بلاغٍ والآخرة دار قرار . ايُّها الناس خذوا من دار ممرّكم لدار مقرّكم ، ولا تهتكوا استاركم عند من لا يخفى عليه اسراركم وأخرجوا الى الدنيا قلوبكم قبل ان تخرج منها ابدانكم : ففيها حييتم ولغيرها خلقتم . ان الرجل اذا هلك قال الناس ما ترك ؟ وقالت الملائكة ما قدَّم ؟

اكثم بن صيفي

هو على ما رُوي كبير الخطباء الذين اوفدهم النعمان ملك الحيرة الى كسرى . وقد ادرك الاسلام وكان يعرف بقوة الحجّة وكثرة الامثال ومن اقواله —

ان افضل الاشياء اعاليها ، واعلى الرجال ملوكها ، وافضل الملوك اعمُّها نفعاً ، وخير الازمنة اخصبها ، وافضل الخطباء اصدقها

« الصدق منجاةٌ ، والكذب مَهواة ، والشرّ لجاجة ، والحزم مركب

(١) وقد رويت لبعض الاعراب. راجع امالي القالي ١ — ٢٥٨ والعقد الفريد (باب الخطب)

صعب ، والعجز مركب وطيء . اصلاحُ فساد الرعية خيرٌ من اصلاح فساد الراعي . شرٌّ البلاد بلاد لا امير فيها . شرُّ الملوك من خانه البريء »

وكلها على هذا النحو من الحكم والامثال

. . . .

وقد تقدَّمت الخطابة في الاسلام عما كانت عليه في الجاهلية لان المسلمين اعتنوا اعتناءً خاصاً بها لحاجتهم الى الخطباء ولما كان لها من التأثير في الجهاد العظيم الذي خاضوا غماره ، وسنذكر شيئاً من خطبهم في غير هذا الفصل

. . . . .

ولا بدَّ لنا هنا من القول انه لا يصحّ التعويل على كل ما رُوي لنا من اقوال الجاهلية اذ يكثر في النُّصوص المرويّة التشويش والافتعال .

ولما كانت غايتنا في هذا الموجز ان نعرض للطالب اشهر ما ورثناه من آدابنا القديمة فنحن نجاري الرواة فيه دون ان نعمد الى ما يُعمد اليه عادةً في المطوّلات من التجريح والاستقصاء

النبي العربي

والدعوة الاسلامية

يرجع النسَّابون نسب النبيّ محمَّد بن عبدالله بن عبد المطَّلِب من بني هاشم من قبيلة قرَيش الى اسماعيل بن ابراهيم ، ويرجّحون انه ولد في السنة ٥٧١ م وهي السنة المعروفة بعام الفيل ، وذلك في آخر ملك انوشروان[١]

. . . . .

مات والدهُ وامه حامل به ، فعُهد بتربيته الى جدّهِ عبد المطَّلِب ثم الى عمهِ ابي طالب والد الامام علي . وكان اهل مكة تجاراً لهم رحلات تجارية كل سنة الى الشام والى اليمن وغيرها ، وكان فيهم سيدة اسمها خديجة بنت خويلد ، فطلبت من محمد ان يتعهَّد تجارتها فرحل الى الشام وعاد غانماً . ورغبت فيه لما رأَت من خُلقهِ وجميل صفاتهِ وعرضت عليه الزواج ففعل ، وهو في الخامسة والعشرين وخديجة في الاربعين من عمرها[٢]

وكان مبعثهُ في الاربعين من عمره اذ حرّكهُ الوحي لهداية العرب، فجاهر بعدائه لاصنامهم وصار يخطب في الناس مبيّناً لهم ضلالهم ، لكنه لم يلقَ منهم في اول الامر غير الامتهان . واول من آمن به امرأَته خديجة وابن عمه عليّ ابن ابي طالب وابو بكر الصدّيق ، ثم اسلم بعض من اصحابه . واخذ امره يظهر رويداً ، فاستاء لذلك اهل مكة ورأَوا في دعوته امتهاناً لتقاليدهم وكساداً لتجارتهم، فعزموا على الايقاع به وباصحابه . ولما اشتدَّ اذاهم اذن الرسول لمن اراد

(١) الدينوري ٧٥ (٢) الطبري ج ٢-١٧٩

بالهجرة الى الحبشة فهاجر اولاً اثنا عشر رجلاً واربع نسوة ، منهم عثمان بن عفّان ، وتبعهم غيرهم فكان جميع من هاجر الى الحبشة ٨٣ رجلاً و١٨ امرأة[١] ٠
واقام ثلاث عشرة سنة[٢] في مكة يعظ الناس ويدعوهم الى الله ، وقريش تزداد مقاومة له ٠ ولما رأى منهم ذلك هجر مكة هو وبعض اصحابه الى المدينة وذلك سنة ٦٢٢م (وهي السنة التي يبدأ منها تاريخ الاسلام الهجري) ، فلاقاه اهل المدينة بالاكرام ونصروه فسمّوا الانصار كما سُمّي من هاجر معه المهاجرين ٠ واصبحت المدينة من ذلك الحين مقرّ النبي وعاصمة خلفائه الأُول كما سيجيء ٠ ولما اشتدّ ساعده في المدينة عزم على الجهاد ضدّ المشركين ، فجهّز جيشاً صغيراً من انصاره وغزا غزوات عديدة ، اشهرها غزوة بدر[٣] التي انتصر فيها المسلمون انتصاراً باهراً ٠ ومع انهم خسروا بعد ذلك معركة أُحُد[٤] فان النّصر كان حليفهم في الوقائع الاخرى ، فعظمت هيبتهم واشتدت شوكتهم

ثم كانت غزوة مكة الكبرى ففتحها المسلمون سنة ٦٣٠ ميلادية ، وحوّل النبي الكعبة من بيت اصنام الى مسجد لله يحجُّ اليه المسلمون من اقطار المعمور ٠ وبفتح مكة تمّت له الغلبة على العرب فصاروا يفدون اليه من كل الجهات راضين بالاسلام وبما يقتضيه من واجبات

وكان منذ مبعثه يملي آيات الوحي قرآناً على اتباعه ٠ فالآيات التي املاها في المدينة (او لاهل المدينة) سُمّيت الآيات المدنية ، والتي في مكة (او لاهل مكة) سمّيت الآيات المكّيّة

ولم يكن القرآن في اوّل الامر مجموعاً في كتاب واحد ، فامر ابو بكر

---

(١) ابو الفدا ١–١١٨ (٢) الدينوري ٧٦

(٣) بدر ماء بين مكة والمدينة

(٤) أُحُد جبل قريب من المدينة

بجمعه . ولما كانت خلافة عثمان رأى اختلاف الناس في القرآت وخشي ان يحدث تغيير في الآيات ، فأمر فنُسخ من القرآن الذي كتب في ايام ابي بكر مصاحف وعهد بذلك الى اربعة من كبار الصحابة ، زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن هشام ، وقال لهم ان اختلفتم في كلمة فاكتبوها بلسان قريش (١)

والقرآن يعدُّ عند العرب مثال البلاغة ، وقد دعا الاهتمام بتفسيره الى تنظيم علوم اللغة وكانت كتابته اولاً على الرقوق اذ لم يكن الورق قد عُرف وفشا عمله بين الناس (٢)

وفي السنة ٦٣٢ م تُوفّي النبي وله من العمر ٦٣ سنة ، وكان قد عمَّم الاسلام في الجزيرة ومهَّد السبل للفتوح العربية العظيمة

. . . . .

واليك صورة الكتاب الذي يروى انه ارسله الى المقوقِس سيِّد القبط في مصر :

«من محمد رسول الله الى المقوقِس عظيم القبط»

«سلام على من اتَّبع الهدى . اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام فأسلِم تسلمْ يؤتك الله اجرك مرَّتين . يا اهل الكتاب تعالَوا الى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم ، ان لا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله . فان تولَّوا فقولوا اشهدوا بأنَّا مسلمون»

. . . . .

على ان الاجل لم يمهله ان يفتح الامصار بنفسه فقام بالامر بعده خلفاؤه

---

(١) ابو الفدا ١–١٦٧

(٢) صبح الاعشى ج ٢–٤٧٥

وبجيوشهم القليلة تمكّنوا من فتح بلاد الروم والفرس ، ونشر دعوتهم في انحاء المعمور . وقوام هذه الدعوة الايمان بالله الاحد وبرسوله ، والقيام بفروض الاسلام ونوافله . ومن فوائدها انها وحّدت يومئذٍ كلمة العرب وحوّلت افكارهم الى رابطة روحية واحدة بدل عصبيّاتهم البدويّة ونزعاتهم المتفرقة

. . . .

وقد نُقل عن الرسول العربي كثير من جوامع العلم وطرائف الحكمة كقوله في حجّة الوداع من الخطبة التي ودّع فيها امّتهُ وختم نبوّته :

« ايها الناس انما المؤمنون اخوة فلا يحلّ لامرىء مال اخيه الا عن طيب نفسه . . . فلا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم اعناق بعض ، فاني قد تركت فيكم ما ان اخذتم به لم تضلّوا : كتاب الله واهل بيتي

ايّها الناس ان ربّكم واحد ، وان اباكم واحد . كلُّكم لآدم ، وآدم من تراب . ليس لعربيٍّ على عجميّ فضلٌ الاّ بالتقوى [1] »

ومن مأثور احاديثه —

ما يكن عندي من خير فلن ادّخره عنكم . ومن يستعفف يُعفه الله ، ومن يستغن يُغنه الله ، ومن يتصبّر يصبّرهُ الله ، وما أُعطي احد عطاءً خيراً واوسع من الصبر

لَأَن يأخذ احدكم حبله ثم يغدو الى الجبل فيحتطبَ فيبيعَ فيأكلَ ويتصدّق خيرٌ له من ان يسأل الناس

---

(١) العقد الفريد ٢ باب الخطب

الخلفاء الراشدون

١٠ هـ – ٤١ هـ (٦٣٢ م – ٦٦١ م)

نعني بهم الخلفاء الاربعة الذي بُويع لهم بعد موت النبي وهم : ابو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفّان ، وعليُّ بن ابي طالب . وهم جميعاً قرشيّون من صَحابة الرسول ، ويمثّلون الحكم الشُّوروي في الاسلام لانهم كانوا يُنتخبون انتخاباً . وقد ماتوا كلهم قتلاً الاّ ابا بكر

والمأثور عن دولتهم انها كانت دولة بساطة وتقوى « يلبس امراؤُها الخشن من اللباس ويأكلون اطعمة الفقراء ، ويمشي احدهم في الاسواق راجلاً وعليه القميص الخلق المرقوع . ولم يتقلّلوا في ذلك عن فقر او عجز بل مؤاساةً لفقراء رعيَّتهم ، وكسراً للنفس عن شهواتها [1] » ، وجرياً على سنن البداوة الحقيقية .

اما عاصمتهم فكانت المدينة في الحجاز ، وفي ايامهم حدثت اكثر الفتوح . واليك لمعةً مختصرة من سيرة كلٍّ منهم

ابو بكر الصديق

خلافتهُ من ١٠ هـ – ١٣ هـ (٦٣٢ م – ٦٣٤ م)

قضى النبيُّ ولم يسمِّ خليفتهُ ، فاجتمع كبراء المسلمين وبايعوا ابا بكر (عبدالله بن ابي قحافة) وكان من سادات قريش . ولما ذاع خبر وفاة النبي

(١) الفخري ٦٦

ارتدّت طوائف من العرب، فسيّر ابو بكر البعوث لقتال اهل الردّة، وعقد الالوية لابطال المسلمين كخالد بن الوليد الملقّب بسيف الله، وشُرَحبيل بن حَسَنة، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن ابي جهل، والمهاجر بن ابي أُميّة وسواهم. وكانوا احد عشر اميراً[1] سرّحهم كلّ امير الى قوم ففازوا على المرتدّين ووطّدوا الاسلام في الجزيرة بعد ان قتلوا بضعة من زعمائهم، كمُسيلمة (في اليمامة) والاسود العنسي (في اليمن)[2] ومالك بن نويرة (بالبطائح). وكان مقتل مالكٍ هذا على ما يروي بعض المؤرخين سببَ نقمة الامام عمر بن الخطاب على خالد بن الوليد[3]، لاعتقاد الامام بعدم استحقاقهِ للقتل وبتطرّف خالد في الشدّة

ولما انتهى من اهل الردّة بعث الى فتوح الشام عمرو بن العاص يقصد فلسطين، وشرحبيل يقصد الاردن، ويزيد بن ابي سفيان ومعه اخوه معاوية الى ارض دمشق. وكان ابو عبيدة الجرّاح اميرهم[4] (وقيل غير ذلك)[5]

وبعث خالد بن الوليد اميراً الى فتح العراق ففتح الحيرة ثم جاءه الامر من الخليفة ان يمدّ جيوش الشام فسار خالد من العراق وقطع البادية الى تدمر ففتحها، ومنها سار الى ناحية الشام ففتح العرب بعضَ الحواضر فيها. ثم توالت جيوشهم الى اليرموك (وهو نهر صغير بين حوران وطبريا) لملاقاة الروم. فاستلم خالد القيادة، وكانت وقعة عظيمة على الروم انكسروا فيها شرّ كسرة. وتمكّن العرب بعدها من توطيد اقدامهم في كل البلاد السورية، فزحفوا على دمشق وحاصروها. وفي اثناء الحصار تُوفّي

---

(١) الطبري جم ١ — ١٨٨٠ (٢) بلاذري ١٠٦

(٣) بلاذري ٩٩ — الطبري جم ١ - ١٩٢٦ (٤) الدينوري ١١٧

(٥) البلاذري ١١٦

ابو بكر وبويع عمر بن الخطاب · فارسل رسولاً الى ابي عبيدة يوليِّهِ امارة الجيش ويعزل خالد بن الوليد · فكتم ابو عبيدة لحكمته الخبر حتى تمَّ فتح المدينة ، ثم تولىَّ قيادة الجيش بدل خالد[١]

اخلاقه :

اشتهر ابو بكر بالزهد والتواضع والعفة· وهو الذي وطَّد اركان الاسلام بعد ما كادت تتزعزع· قيل لما حضرتهُ الوفاة قال لعائشة ابنتهِ « منذ ولينا امر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً ، ولكننا اكلنا من جريش طعامهم ولبسنا من خشن ثيابهم ، وليس عندنا من فَيئهم الاّ هذا العبد وهذا البعير وهذه القطيفة ، فاذا متُّ فابعثي بالجميع الى عمر »

عُمر بن الخطاب

خلافته من سنة ١٣ ه الى ٣٣ ه (٦٣٤ م الى ٦٤٤م)

ويلقّبونه بالفاروق · قام بالامر بعد ابي بكر ففتح الفتوح العظيمة وهو اوَّل من سُمّي امير المؤمنين[٢] · وفي خلافته تمَّ فتح العراق على يد سعد ابن ابي وقَّاص فاتح المدائن عاصمة الفرس ، فاستولى عمر على ملك الاكاسرة · وكان ابو عبيدة اميرَ جيشه على الشام ، ففتح دمشق بمساعدة خالد وتقدم الى حمص فحماة فالمعرَّة فاللاذقية فحلب وغيرها من مدائن الشام· اما القدس فطال حصارها ولم يسلّم اهلها الا للخليفة عمر نفسه[٣] · وفتح عمرو بن العاص مصر وطرابلس الغرب وبرقة· فاتسع سلطان عمر وهابتهُ الملوك وتدفقت عليهِ الاموال والكنوز

---

(١) الفخري ٦٨ البلاذري ١٢١ (٢) ابو الفدا ١–١٥٩

(٣) ابو الفدا ١–١٦٨

اخلاقه :

اشتهر بالشدّة والعدل والقناعة باليسير وكان لا يطمع الشريف في حيفه، ولا ييأس الضعيف من عدله . قال ذات يوم وهو على منبر الخطابة « ايها الناس من رأى منكم فيَّ اعوجاجاً فليقوِّمهُ» فقام رجلٌ في وسط الجماعة وقال « والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد السيف » فقال عمر « احمد الله الذي جعل في هذه الامة العربية من يقوّم اعوجاج عمر بسيفه »

ومما يدلّك على سهره على الرعية انه جاء الى عبد الرحمن بن عَوف وهو يصلي في بيته ليلاً ، فقال له عبد الرحمن ما جاء بك يا امير المؤمنين في هذه الساعة ؟ فقال ان رفقةً نزلوا في ناحية السوق خشيت عليهم سرّاق المدينة فانطلق لنحرسهم . فاتيا السوق وقعدا على نشَزٍ من الارض يتحدثان ويحرسانهم [1]

وفي السنة ٢٣ ﻫ قتل الخليفة طعناً ، قتلهُ ابو لؤلؤة ابن فيروز غلام المغيرة بن شعبة [2] . فلما ايقن بحلول الاجل استدعى اهل الشُّورى وهم عليٌّ وعثمان وسعد بن ابي وقّاص وعبد الرحمن بن عَوف والزُبير وطلحة ، واوصاهم ان يختاروا رجلاً يولُّونه امر المسلمين ، واوصى ان يكون معهم ابنهُ عبدالله وليس لهُ من الخلافة شيء [3] ، ففعلوا كما سيجيء

وعمر اول من دوّن الدواوين فانشأ الوظائف للكتابة والماليَّة في الدولة وقد اخذ ذلك عن الفرس [4] . ولا شك انه رجل الاسلام الكبير وواضع حجر الزاوية في ذلك الملك العظيم الذي تمّ للعرب بعده

---

(١) ابو الفدا ١—١٦٠ (٢) مروج الذهب ١—٢٨٩
(٣) العقد الفريد ٣—٧٠ ابو الفدا ١ — ١٦٥ (٤) الفخري ٧٥

عثمان بن عفان

٢٣ هـ الى ٣٥ هـ (٦٤٤م ٦٥٦م)

اجتمع اصحاب الشورى وبعد جدال عنيف بايعوا عثمان بن عفّان صهر الرسول

وفي ايامه فتح معاوية قبرص واتّسعت فتوح العرب حتى دوّخوا كلّ بلاد فارس الى الهند . على انّ بعضهم اتّهم عثمان بميله الى انسبائه الامويين[١] وتسليمهم ازمّة الاحكام . فلم يرُق ذلك لاعين مناظري البيت الاموي وما زال غيظهم يزداد حتى تألّبوا عليه من مصر والكوفة والبصرة وغيرها فحصروه في دارهِ ، ثم قتلوه والقرآن بيده وهو فوق الثمانين من عمره . وبقتل عثمان ابتدأ الشقاق بين العرب ، وكان ذلك كما سيجيء من اهم الاسباب التي قضت على مجدهم السياسي

اخلاقه :

كان عثمان تقياً وَرِعاً شفوقاً على أنهُ لم يكن كعُمَر في البأس والشدّة فكان لأعوانهِ تأثير كبير عليهِ ، وقد رأيت نتيجة ذلك وما كان من نقمة العرب حتى قتلوهُ

علي بن ابي طالب

٣٥ هـ — ٤٠ هـ (٦٥٦م الى ٦٦١م)

لما قُتل عثمان اجتمع اصحاب الامر وفي مقدمتهم طلحة وبايعوا علياً وتخلّف عن مبايعته بنو أُميّة وبعضٌ من اصحاب النفوذ[٢] . فاضطرَّ عليٌّ الى

(١) ابو الفدا ١ — ١٦٨ العقد الفريد ٣ — ٧٩ (٢) ابن الاثير ج ٣ — ٥٦

مقاتلتهم وشغَلَهُ ذلك عن الاهتمام بالفتوح · وارتدَّ عن مبايعته عائشة وطلحة والزُّبير والتجأوا الى البصرة فقاتلهم عليٌّ وانتصر عليهم في واقعة الجمل المشهورة (١) التي قتل فيها طلحة والزُّبير ، فاستتبّ الامر في البصرة لعليّ

قلنا ان بني أُميَّة لم يُبايعوا عليّاً ، وكان معاوية والي الشام قد حصل على قميص عثمان الملطَّخ بالدم فجعل يعلّق القميص على المنبر ويخطب في الناس انّ قاتل عثمان انما هو عليّ ، ويحضّهم على الانتقام · فبايعهُ اهل الشام اميراً عليهم ولكنهُ عَرَف ضعف أتباعه بالنسبة الى اتباع عليٍّ ، فصار يستنبط الحيل للايقاع باصحاب الخليفة ، واستعمل المال في تفريقهم · ثم انضمّ اليه عمرو بن العاص فاشتدَّ ساعد معاوية به

واقعة صفّين

في هذه البلدة على الفرات التقى جيش عليّ بجيش معاوية ، فدارت رحى الحرب بينهما اياماً · ولما رأى معاوية الوهن في جيشه استشار ابن العاص فاشار عليه برفع المصاحف على رؤوس الرماح طلباً للهدنة ، فعلم عليٌّ ان ذلك حيلة من معاوية وابى الاَّ متابعة الحرب ، لكنّ جيشه انتقض عليه وقالوا لا نقبل الا الهدنة وتحكيم كتاب الله · فاختار عليٌّ أبا موسى الاشعري من قِبَلِهِ ، واختار معاوية ابن العاص · فاتَّفقا سرَّا على خلع عليٍّ ومعاوية وان يعلنا ذلك للجيش ، فوقف الاشعري اولاً (وقد خدعهُ عمرو) وخلع عليّاً ، وهو يحسب ان ابن العاص سيفعل فعلهُ ويخلع صاحبهُ · لكن عمرواً التفت الى الناس وقال انَّ هذا خلع صاحبهُ ، وانا اخلعه ايضاً وأُثبت صاحبي · فلما رأى عليٌّ ذلك امر بمتابعة القتال · وكان قد خرج عليه قسمٌ من جيشهِ

(١) سميت واقعة الجمل لان عائشة كانت في تلك الواقعة راكبة على جمل

لم يقبلوا بالتحكيم ، وهم الخوارج ، فشغل بهم ولم يستطع التغلّب على معاوية

وفي هذه الاثناء اخضع معاوية مصر والحجاز واليمن · ثم اجتمع ثلاثة من الخوارج واتّفقوا على قتل عليّ ومعاوية وابن العاص · فتجح قاتل عليّ ، وكان مقتلهُ في ليلة السابع عشر من رمضان من السنة الاربعين للهجرة (٦٦١م)· وفشل اللذان حاولا قتل معاوية وعمرو بن العاص

فلما قُتل علي بُويع بالخلافة لابنه الحسن· وكان يكره الحرب وقد رأى انهُ لا قِبَلَ لهُ بمحاربة معاوية ، فتنازل لهُ عن الخلافة حسماً للخلاف واصبح معاوية بذلك خليفة المسلمين

اخلاق علي :

كان من الزهد والورع والشجاعة على جانب عظيم · ومما يدلّك على شدّة استقامته وعدله أنّ اخاه عقيلاً طلب من بيت المال شيئاً لم يكن له بحقٍ فمنعهُ عليّ وقال : يا اخي ليس لك من المال شيءٌ ولكن اصبر حتى يجيء مالي وأُعطيك منه ما تريد · فلم يرضَ عقيل وفارقه وقصد معاوية ونصره على اخيه[1] · وكان ايضاً من الفرسان والخطباء المعدودين على انه لم يبلغ مبلغ معاوية في الدهاء وسياسة الناس[2]

وقبره في النجف بالعراق وهو مسجد عظيم يحجّ اليه اشياعه بالالوف كل سنة من فارس والعراق وسائر الاقطار · ومن وصاياه المأثورة — لا يرجونّ احد الاّ ربّه ولا يخافنّ الا ذنبه، ولا يستحي اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم ، واذا لم يعلم الشيء ان يتعلمه[3]

---

(١) المسعودي ٢ — ٥٤ (٢) راجع ابن الاثير ٣ — ٧٧ في وصية ابن عباس له بشان معاوية ورفض علي النصيحة (٣) العقد الفريد ٢ — ٩٧

قريش

لا نرى هنا افضل من ان نختم الكلام على العصر النبويّ والخلافة الاولى بقائمة في اهمّ فروع قريش ومن ينتسب اليها من كبار الرجال في ذلك العصر—

بنو هاشم	النبي — الامام علي — العباس عم النبي — آل البيت
« **امية**	عثمان — معاوية
« **تيم**	ابو بكر — طلحة بن عبيد الله
« **عدي**	عمر بن الخطاب
« **مخزوم**	خالد بن الوليد
« **الحرث**	ابو عبيدة
« **زهرة**	السيدة آمنة ام الرسول — سعد بن ابي وقاص — عبد الرحمن بن عوف
« **عبد العزى**	السيدة خديجة — الزبير بن العوام
« **سهم**	عمرو بن العاص

الاداب العربية

في ايام الراشدين

لما انتشر العرب وفتحوا الامصار العديدة حملوا لغتهم الى البلاد التي فتحوها فتغلّبت مع الزمن على اكثر اللغات التي احتكّت بها

وباختلاط العرب بالعجم ازداد تسرُّب الفساد الى العربية الفصحى ، وخيف اللحن في قراءة القرآن، فوضع ابو الاسود الدؤلي اصول النحو، وتبعه في ذلك نخبة من اللغويين (١)

الشعر :

يُعرف الشعراء الذين وُلدوا في الجاهلية وادركوا الاسلام بالشعراء المخضرَمين . وقد اشتهر من هؤلاء جماعة منهم لَبيدٌ صاحب المعلّقة ، وحسّان بن ثابت شاعر النبي ، والحُطَيئة ، والنابغة الجعدي ، و كعب بن زهير صاحب قصيدة «بانت سعادُ» المارّ ذكرها . ذكروا انه لما ملك معاوية اشترى بردة النبي من آل كعب بعشرين الفاً (٢) ، ثم توارثها الخلفاء بعده و كانوا يطرحونها على اكتافهم حتى اخذها التتر . ومن تلك القصيدة قوله في الرسول والصحابة

نُبّئتُ انّ رسول الله اوعدني ... والعفوُ عند رسول الله مأمولُ

مهلاً هداك الذي اعطاك نافلة الـقرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيل

لا تأخذنّي باقوال الوشاةِ ولم ... أُذنِبْ ولو كثرت فيَّ الاقاويلُ

انّ الرسول لَنورٌ يستضاء به ... وصارمٌ من سيوفِ الله مسلولُ

---

(١) هذه هي الرواية المعروفة عن اصل النحو والصرف ولعل البحث يأتينا بشيء ثابت من ذلك . ويروى ان ابا الاسود وضع ما وضعه باشارة الامام علي

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٤

في عصبةٍ من قُريشٍ قال قائلهم ببطن مكّةَ لمّا اسلموا زولوا[١]
زالو فما زال انكاسٌ ولا كُشُفٌ يوم اللقاء ولا سودٌ معازيلُ[٢]

. . . . .

ومن مشاهير هذا العصر الخنساء وهي مشهورة بالرثاء ويعدّها العلماء سيدة شواعر العرب · واكثر رثائها في اخ لها اسمه صخر ، ومن جيّد شعرها فيه قولها :

يؤرّقني التذكُّر حين أُمسي فأُصبح قد بليتُ بفرط نُكسِ[٣]
على صخرٍ وأيُّ فتى كصخرٍ ليوم كريهةٍ وطعانِ حِلسِ[٤]
فلم أَرَ مثله رُزءاً لجنٍّ ولم أَرَ مثلهُ رُزءاً لإِنسِ
يُذكّرني طلوعُ الشمس صخراً واذكرهُ لكل غروب شمسِ
ولولا كثرةُ الباكين حولي على اخوانهم لقتلتُ نفسي
ولكنْ لا ازال ارى عجولاً[٥] وباكيةً تنوحُ ليومَ نحسِ
اراها والها تبكي اخاها عشيّةَ رُزئه او غُبَّ امسِ
وما يكونَ مثل اخي ولكن أُعزّي النفس عنهُ بالتأسّي
فلا والله لا انساك حتى أُفارقَ مهجتي ويُشقَّ رمسي
فقد ودّعتُ يومَ فراقِ صخرٍ ابي حسّان لذّاتي وأُنسي
فيا لهفي عليه ولهفَ أُمي أَيصبح في الضريح وفيه يمسي

(١) زولوا اي هاجروا . (اشارة الى الهجرة مع الرسول)
(٢) انكاس ـ مقصرون عن الكرم — السود المعازيل اي العبيد الذين لا سلاح لهم فهم ليسوا اهل جهاد وحرب
(٣) عود المرض ثانية (٤) الحِلس الكبير من الناس
(٥) العجول الثكلى او الواله من النساء

ولما كان الشعراء المخضرمون عند التحقيق داخلين في طبقة الجاهليين اكتفينا بالاشارة اليهم اجتناباً لِما لا فائدة منه في هذا المقام

الخطابة :

اما الخطابة في ايام الفتوح فكان لها منزلة عظيمة لاحتياج القادة اليها يومئذٍ في الحضّ على القتال والدعوة الى الجهاد ، وهي انفس مما رُوي لنا من خطب الجاهلية واقرب الى روح الخطابة الحقيقية · ويلاحظ فيها الايجاز والبعد عن التكلّف ومتانة العبارة · واليك بعضها —

خطبة لابي بكر الصديق

الخليفة الاول

حمد الله واثنى ثم قال

ايها الناس اني قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتموني على حق فأعينوني ، وان رأيتموني على باطل فسدّدوني : اطيعوني ما اطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم · ألا إنّ اقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق منه · اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

خطبة ابي سفيان

في واقعة اليرموك[٢]

معاشرَ العرب الكرام السادة العظام ، وقد اصبحتم في ديار الأعلاج[٣] منقطعين عن الاهل والاوطان ، واللهِ لا يُنجيكم منهمُ الا الطعنُ الصائب

(١) العقد الفريد ج ٢ باب الخطب (٢) عن الواقدي ١ — ١٩٦

(٣) الاعلاج هنا يراد بها الكفار

في اعينهم ، والضَّربُ المدارَكَ في هاماتهم ، وبذلك تبلغون أرَبكم ، وتنالون الفوز من ربِّكم . واعلموا ان الصبر في مواطن اليأس مما يفرّجُ الله بهِ الهمّ وينجي به من الغمّ . فاصدُقوا فانَّ النصر ينزِل مع الصبر . فان صبرتم ملكتم امصارهم وبلادهم ، واستعبدتم ابناءَهم ونساءَهم ، وان ولَّيتم فليس بين ايديكم الاَّ مفاوزُ لا تُقطعُ الاَّ بالزاد الكثيرِ والماء الغزير ، ولا ترجعوا الى دور ولا الى قصور . فامتنعوا بسيوفكم وجاهدوا بالله حقّ جهادهِ ، ولا تموتُنَّ الاَّ وانتم مسلمون

خطبة الامام علي

يوم اغار الاعداء على الانبار[1]

اما بعدُ فانَّ الجهاد بابٌ من ابواب الجنَّة ، فمن تركهُ البسه الله ثوب الذلّ واشملهُ البلاء وألزمهُ الصَّغار . ألا واني دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وقلتُ لكم اغزوهم قبل ان يغزوكم ، فواللهِ ما غزِيَ قوم قطُّ في عُقر دارهم الا ذَلُّوا . فتواكلتم وتخاذلتم وثَقُلَ عليكم قولي فاتخذتموهُ وراءكم ظهرياً حتى شُنَّت عليكم الغارات . هذا اخو غامد[2] قد بلغت خيلهُ الانبار وازال خيلكم . فواعجباً من جدّ هؤلاء في باطلهم وفشلكم عن حقكم ! فقُبحاً لكم حين صرتم غرضاً يرمى ! يُغار عليكم ولا تغيرون وتُغزَون ولا تَغزُون . فاذا أمرتكم بالمسير اليهم في ايام الحرّ قلتم حمَّارة القيظ امهلنا حتى ينسلخَ عنا الحرّ ، واذا امرتكم بالمسير اليهم

---

(١) العقد الفريد والبيان والتبيين ١ — ١٧٠ في باب الخطب (بتصرف زهيد)

(٢) ويروى عامر وهو سفيان بن عوف الاسدي وكان قد قام على الامام علي وغزا مدينة الانبار في العراق

ضحىً في الشتاء قلتم امهلنا حتى ينسلخَ عنّاً هذا القرُّ · يا اشباه الرجال ولا رجال ، ويا احلام الاطفال[1] ، وددتُ انّ الله اخرجني من بين اظهُركم وقبضني الى رحمتهِ من بينكم ، وأني لا اعرفكم · والله حِرت وَهناً ، وورّيتم والله صدري غيظاً وجرّعتموني الموت انفاساً ، وافسدتم عليَّ رأيي بالعصيان والخذلان ، حتى قالت قريش انَّ ابن ابي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب · لله ابوهم ! وهل منهم احدٌ اشدُّ لها مِراساً واطول تجربةً مني ؟ لقد مارستها وانا ابن عشرين ، فها أناذا الآن قد نيَّفت على الستين ، ولكن لا رأيَ لمن لا يطاع

البصرة والكوفة

لعبت هاتان المدينتان دوراً مهماً في تاريخ العرب · وقد أُنشئتا حوالَي سنة ١٦ هـ (٦٣٨م) انشأُهما الفاتحون الأُول بقيادة سعد بن ابي وقاص — الأُولى على شط العرب المتكوّن من اتحاد الفرات والدجلة وهي تبعد نحو مئة ميل عن خليج العجم ، والثانية الى الجانب الغربي من الفرات على مقربة من موضع الحيرة · وكانت كلٌّ منهما في اول الامر مخيَّماً للجيوش العربية ، ولكنهما نمتا سريعاً واصبحتا بعد زمن يسير مركزين عظيمين للتجارة والعلوم العربية · وقد قام فيهما اشهر علماء النحو واللغة · وطالما اشتدَّ الخلاف بين البصريّين والكوفيّين على مسائل الصرف والاعراب فكان العلماء في سائر الاقطار طائفتين احداهما تتبع البصرة والاخرى تتبع الكوفة وتأخذ برأي علمائها ، ولا يزال اللغويّون كذلك الى اليوم ·

---

(١) احلام اي عقول

وقد الّف عبد الرحمن ابن ابي سعيد الانباري اجابة لطلب تلامذته في المدرسة النظامية ببغداد كتاباً سمّاه « الانصاف في مسائل الخلاف» جمع فيه نحواً من ١٢٠ مسألة مقابلاً فيها بين رأي البصريين ورأي الكوفيين فليراجعه من اراد. واليك منه على سبيل المثال ثلاث مسائل نثبتها دون شرح المؤلف او تعليقه .

المسألة ٩ — ذهب الكوفيون الى انه لا يجوز تقديم خبر المبتدا عليه مفرداً كان او جملة. وذهب البصريون الى انه يجوز ذلك.

المسألة ٥٤— ذهب الكوفيون الى انّ (مِن) يجوز استعمالها في الزمان فنقول مثلاً ما رايته من يومٍ (اي منذ يوم) واما البصريون فانكروا استعمالها للزمان .

المسألة ٦٥ — ذهب الكوفيون الى انه يجوز العطف على الضمير المخفوض نحو مررت بك وزيدٍ. وانكر البصريون ذلك.

. . . . .

وظلّت البصرة والكوفة اعظم مركزين للعلم حتى زهت بغداد فانتقلت الحركة العلمية اليها . والمشهور ان علم العربية كان للبصرة ورواية الشعر للكوفة[1]

---

(١) والبصرة اليوم ثغر تجاري عامر، اما الكوفة فبلدة صغيرة على مقربة من النجف، وقد شاهدنا فيها آثار جامعها القديم المشهور الذي قتل فيه الامام علي، والذي على منبره وقف الحجاج بن يوسف وقفاتهِ المشهورة

الخلافة الاموية

في الشام

٤٠ ه الى ١٣٢ ه (٦٦١ م الى ٧٥٠ م)

كلمة عامة

بنو أميَّة كما مرّ بطن من بطون قرَيش ، تولَّوا الخلافة في الشام ثمّ في الأَندلس (اسبانيا) . اما دولتهم في الشام فبقيت تسعين سنة كانت الكلمة الاولى فيها للعرب ، فمنهم امراء الجيش والكتّاب والحكّام وغيرهم من ارباب المناصب الكبرى . و كانوا يحسبون غير العرب اتباعاً لهم ، حتى انهم لم يكونوا يكنّونهم بالكُنى ، ولا يدعونهم الاّ بالاسماء والالقاب ، ولا يمشون في الصف معهم[1]

اعمالهم :

اهمّ الفتوح التي حصلت في ايامهم فتح الاندلس على يد موسى بن نُصير وطارق بن زياد . وفي ايامهم ايضاً افتُتحت سَمرقند وبلاد فَرغانة والهند وُبنيت القيروان ومدينة واسط بين البصرة والكوفة . ومن مبانيهم الجامع الاموي في دمشق ، وهو نحو ٥٥٠ قدماً طولاً في عرض ١٥٠ ، ومسجد الصخرة في القدس وهو من اجمل المباني ، وقد اقيم على انقاض هيكل سليمان القديم . اما مبانيهم في الاندلس فسيأتي الكلام عليها

(١) العقد الفريد ج ٢ — ٢٦٠

ترفهم وبذخهم

عُرِف عصر الراشدين بالزهد والبساطة والاقتصاد. فلما انتقلت الخلافة الى بني أُميَّة اخذوا يسلكون مسلكاً مغايراً لمسلك الخلفاء الأُوَل . فابتنوا القصور ، واقاموا الحرَّاس ، ولبسوا الثياب الفاخرة ، وركبوا الخيول المطهَّمة وكانوا ينفقون الاموال على انواع الملاهي . ولم يشذَّ عنهم الاَّ الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي سار في سبيل الراشدين وتحدَّاهم في سلوكهم



مسجد الصخرة في القدس

الآداب العربية في ايامهم :

كان الأُمويون شديدي الغيرة على العصبيَّة العربية ، لذلك اخذوا بناصر اللغة فنشَّطوا علماءها واجزلوا للادباء العرب العطايا . وفي ايامهم نشأت علوم النحو والصرف والحديث والقرآن . وكان للشعر عندهم منزلة كبيرة لاستعمالهم

الشعراء في اغراضهم السياسية ، فاقبل الشعراء عليهم من كل صوب و كانوا سلاح الاحزاب والعصبيّات المتنازعة ، من امويّة وعلوية وخوارج ، ومن يمنية وقيسية ، وغير ذلك

ومما يلاحظ في هذا العصر تباشير النهضة العلمية التي تنظّمت وزهت في العصر العباسي ، وسنذكر ذلك في غير هذا الفصل

اما الخطُّ فقد ذكرنا آنفاً لمعة من تاريخه ، وقد رأينا تتميماً للفائدة ان نلخّص هنا ما ذكرهُ القلقشنديّ من ذلك[1] ، وهو من الثقات في هذا الموضوع . والذي يستفاد من كلامه ان العلماء مختلفون في منشأ الخط والحركات فقد روى بعضهم ان اول من وضع النَّقط والشَّكل للمُصحف ابو الاسود الدؤَلي ، لكنه استعمل للشكل نُقطاً ترسم فوق الحروف او تحتها او امامها . وقد كان القرآن اول جمعه مجرّداً من النقط والشكل . ورووا ان نصر بن عاصم الليثي هو اول من ابتدأ بالشكل ، وذلك في ايام عبد الملك بن مروان . وهناك روايات اخرى .

ويظهر مما ذكرهُ ايضاً ان الخط عموماً كان خلواً من النقط والشكل لان حذّاق الكتبة كانوا يستعيبون الخط المنقّط او المشكّل ، ثم قُيِّد في ايام بني اميّة ، وتناوله كتّاب العصر العباسي ولا سيما ابن مُقلة ، فرقّوه وهذّبوه

الخلفاء الامويون :

هم اربعة عشر خليفة اوّلهم معاوية ، وآخرهم مروان بن محمد . وقد وضعنا

---

(١) صبح الاعشى ج ٣ ص ١٥٥ — ١٦٥

في آخر هذا الفصل جدولاً خاصاً باسمائهم وتاريخ خلافتهم اما اشهرهم فخمسة ·
واليك شيئاً من سيرتهم:

معاوية بن ابي سفيان

وابنه يزيد

هو مؤسس الدولة الأُموية وأحد دهاة السياسة ، يدلُّك على ذلك أنه تمكَّن من الفوز على آل البيت· وهو معروف بالتأني في الامور ومداراة الناس · وقد بلغ من إحكام السياسة والدهاء الغاية التي لا تدرك حتى انه تمكَّن كما مرَّ معنا من اصطناع عَقيل ابن ابي طالب اخي الامام علي فآثرهُ على اخيه ونصره [1] · وكان يهتمُّ بشؤُون الدولة اهتماماً شديداً ويقوم بامور الرعيَّة خير قيام ، وقد اجمع المؤرِّخون على شغفهِ باخبار الملوك والامراء وحرصهِ على قراءتها · وكان له داهيتان يُعينانهِ برأيهما في المشاكل وبسيفيهما في الحروب ، هما عمرو بن العاص فاتح مصر وزياد بن ابيه الذي الحقه معاوية بنسبهِ ، وكان اولاً خصمهُ فأَرضاه وملك قلبهُ

روي عن عمر بن الخطاب انهُ قال لجلسائهِ : تذكرون كسرى وقيصر ودهاءَهما وعندكم معاوية !· وقالوا مرَّ عبد الملك بن مروان بقبر معاوية فترحَّم عليهِ وقال : قبر رجلٍ كان ينطق عن علمٍ ، ويسكت عن حلمٍ ، اذا اعطى اغنى واذا حارب افنى [2] · اما نوادرهُ في الحلم والكرم والصبر على الاذى والمكروه فكثيرة ، نذكر منها الحادثة الآتية

مازح يوماً عَديّ بن حاتمٍ يؤَنِّبه لصحبتهِ علياً ، فقال له عديّ : واللهِ

---

(١) المسعودي ج٢ — ٥٤ (٢) الفخري ٩٨

ان القلوب التي ابغضناك بها لفي صدورنا ، وانّ السيوف التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا ، ولئن ادنيت الينا من الغدر شبراً لنُدنينّ اليك من الشرّ باعاً . فقال معاوية هذهِ كلمات حقٍ فاكتبوها ، واقبل عليه ولاطفهُ وتحادثا[١]

فكان معاوية عاقلاً لبيباً جيِّد السياسة حسن التدبير . قال عبدالله بن العباس «ما رأيت أليق منه بالرئاسة والملك»

ولم يمت حتى جعل الخلافة وراثةً فخلفه ابنه يزيد وهو الذي غزا جيشهُ المدينة وحاصر الكعبة ورماها بالنار[٢] لتحصُّن عبدالله بن الزُّبير بها ، وكان ينافس يزيد في الخلافة . وفي خلافته قُتل الحسين بن الامام علي في واقعة كربلاء الشهيرة وذلك سنة ٦١ هـ . ويوم كربلاء مأساة تاريخية ، والشيعة يمثّلونها كل سنة تمثيلاً مؤثِّراً ، فيندبون شهيدها ويعدّدون فضائله

عبد الملك بن مروان

رقي هذا الخليفة العرش والشقاق في الدولة ضارب اطنابهُ ، حتى كاد يخشى عليها من التمزّق . وكان عبدالله بن الزُّبير قد اشتدّ فبايعهُ اهل الحجاز واهل العراق وبعض الشام ، فصرف عبد الملك همَّهُ في اوّل الامر الى قمع الفتن ومعاقبة الفاتنين ، اعانهُ على ذلك قائدهُ المشهور الحجّاج بن يوسف الذي حاصر الكعبة ورماها بالمنجنيق[٣] كما فعل جيش يزيد من قبل ، حتى تمكّن من ابن الزبير وقتلهُ . وكان عبد الملك قد قتل مُصعباً اخا عبدالله بن

---

(١) ابن خلدون ج ٣ في اخبار معاوية

(٢) العقد الفريد ٣ — ١٤٢ واليعقوبي ٢ — ٣٠

(٣) العقد الفريد ٣ — ١٥٨

الزبير وعامله على العراق ، واهرق دماء الالوف من الزجال نخلصت الاحوال لبني أُميّة

وقد عُرف عبد الملك بميلهِ الى الشعراء والادباء وبذل المال في سبيلهم وهو اول من ضرب النقود باللغة العربية[١] ، وكانت لغة الدواوين قبله الرومية في الشام ، والفارسية في العراق ، والقبطيّة في مصر ، فبدلها بالعربية حتى اصبحت هذه اللغة السائدة في الامصار · اما اخلاقه فتظهر لك من خطبته التالية كما رويت في العقد الفريد — قال

ايها الناس اني والله ما انا بالخليفة المستضعَف (يريد عثمان بن عفان) ولا بالخليفة المداهن (اي معاوية) ، فمن قال برأسه كذا ، قلنا بسيفنا كذا

الوليد بن عبد الملك

اشتهر الوليد بولعه بالبناء فقد بنى المسجد الاموي في الشام ، وعمّر ووسّع جامع المدينة والمسجد الاقصى في القدس ، وغير ذلك من المباني العظيمة[٢] · وفي ايامه فتحت الاندلُس والهند ، فترامت اطراف السلطنة العربية من الصين شرقاً الى المحيط الاتلانتيكي غرباً ، ومن البحر الاسود شمالاً الى صعيد مصر جنوباً ·

وكان الوليد عند اهل الشام افضل خلفائهم واكثرهم فتوحاً واعظمهم نفقة في سبيل الله[٣]

---

(١) اليعقوبي ٢ ـ ٣٢٦

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ٨٧ والفخري ١١٤

(٣) العقد ٣ — ١٦٨ في اخبار الوليد

عمر بن عبد العزيز

كان عمر بن عبد العزيز من خيار الخلفاء عفيفاً زاهداً ، فسار في الرعية سيرة الخلفاء الراشدين . وهو اول من قطع السبّ عن عليّ ، وكان الامويون يسبّونه من على المنابر . قال كُثيّر عزّة يمدحه

وليتَ فلم تشتم علياً ولم تُخِفْ بريّاً ولم تتبَع مقالةَ مُجرمِ[1]

وقلتَ فصدَّقتَ الذي قلتَ بالذي فعلت فاضحى راضياً كلُّ مسلمِ

ولم يكن بابه مفتوحاً للشعراء او للمغنّين واهل المجون شأن من تقدمه من خلفاء هذه الدولة ، بل انصرف عنهم الى امثال الحسن البصري من العلماء والمتعبّدين . واخباره في المحافظة على احكام الدين كثيرة

ومن اقواله « ايها الناس انهُ لا كتاب بعد القرآن ولا نبيّ بعد محمد (صلعم) . ألا واني لست بقاضٍ ولكن منفِذٌ ، ألا واني لست بمبتدع ولكني متّبع ، الا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »

هشام بن عبد الملك

وهو احد الساسة المقدَّمين ، وكان حازماً عاقلاً حريصاً ذا دهاء وحلم وقد قام بالخلافة اتمَّ قيام

وفي ايامه بايع الشيعة بالكوفة لزيد بن علي بن الحسين ، غير ان جند هشام تغلّب عليهم وقتل زيداً ، فكان نصيبه نصيب جدّه الحسين : وفي ايامه انبثّ دعاة بني العباس في البلاد الشرقية وتحركت الشيعة خفيةً ، ولكن جنده فاز عليهم . فلما مات هشام ابتدأ حبل بني امية يضطرب ، وما زال كذلك والخلفاء يزدادون ضعفاً حتى تمزّق ملكهم وورث الخلافة بعدهم بنو العباس . وقد نصر العباسيين العجم بقيادة زعيمهم المشهور ابي مسلم الخراساني

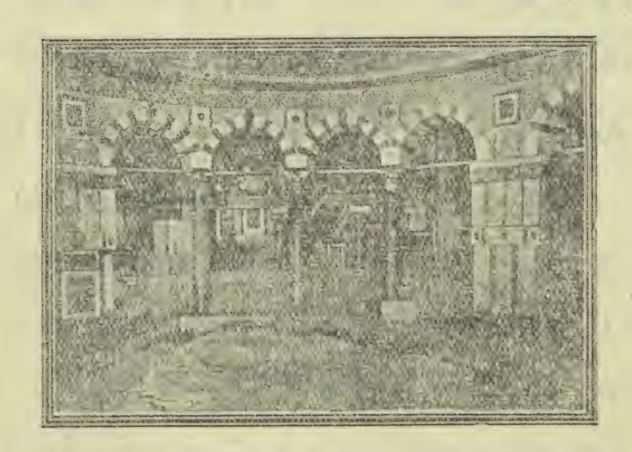
---

(١) لم تخف اي لم تظلم

بعض كبار القادة

في العصر الاموي

قُتيبة بن مسلم	فاتح سمرقند وبلاد فرغانة
موسى بن نصير	فاتح المغرب والاندلس
طارق بن زياد	فاتح الاندلس
الحجاج بن يوسف	مؤيد الدولة الاموية وحاكم العراقين
مُصعب بن الزبير	امير العراق لاخيه عبدالله الذي بويع بالحجاز
المختار	القائد الشيعي المشهور
ابو مسلم الخراساني	قاهر الامويين ومؤيد دولة بني العباس
المهلّب ابن ابي صفرة	مبيد الخوارج ومن مؤيدي الدولة الاموية



الجامع الاموي في الشام

جدول الخلفاء الامويين

في الشام

تاريخ تولّيهم الخلافة

سنة

هـ	م		هـ	م	
٤٠	٦٦١	معاوية بن ابي سفيان	١٠١	٧٢٠	يزيد بن عبد الملك
٦١	٦٨٠	يزيد (ابنه)	١٠٥	٧٢٤	هشام بن عبد الملك
٦٤	٦٨٣	معاوية بن يزيد	١٢٥	٧٤٣	الوليد بن يزيد
٦٤	٦٨٤	مروان بن الحكم	١٢٦	٧٤٤	يزيد بن الوليد
٦٥	٦٨٥	عبد الملك بن مروان	١٢٦	٧٤٤	ابرهيم بن الوليد
٨٦	٧٠٥	الوليد بن عبد الملك	١٢٦	٧٤٥	مروان بن محمد
٩٦	٧١٦	سليمان بن عبد الملك	١٣٢	٧٥٠	انقضاء الدولة الاموية في الشام
٩٩	٧١٧	عمر بن عبد العزيز			



آداب العصر الاموي

الشعر :

الشعر شعور الامة ونشيد وقائعها ، فاذا قرأت ما نظمهُ اهل عصر من العصور مما جاشت بهِ صدورهم من مديح وهجاء ووصف وحماسة وغير ذلك من ابواب الشعر ، وقفت على مجمل احوالهم وعرفت مبلغ ارتقائهم . ولقد يصدق ذلك على الشعر الأُموي . الا انه يؤخذ على شعراء ذلك العهد انهم قلّما يُرى في شعرهم ما اثاره الاسلامُ في نفسهم من عظمة الفتوح وما ولّدهُ التحاكُّ مع الامم الغريبة من المعاني الجديدة . فقد ظلُّوا على عروبيّة البادية وانصرفوا الى تحدّي من سبقهم والنسج على منوالهم ، فبدأُوا في قصائدهم بذكر الطلول ، واستوقفوا الناقة على الربوع ، وذهبوا في سائر ابواب الشعر ما ذهبت اليه الجاهلية . على انهم تقدموا اكثر من هؤلاء في الغزل والتشبيب والمهاجاة السياسية والادبية

ولقد راج الشعر في ايام الامويين رواجاً عظيماً فتغنى به الخاصُّ والعامُّ . وكان للخلفاء ولع شديد بالشعر العربي ومآربُ سياسية ، فقرّبوا الشعراء واجروا أَلسنتهم بالعطايا : فعلوا ذلك لما ذكرناه آنفاً من تفرُّق كلمة العرب يومئذٍ الى أُمويّين وعلويّين ، والى خوارج وشيعة ، وقيسيّة ويمنية . فكان الشعراء سلاح الخليفة او الامير يتقّي بهم نبال الاعداء ، ويكمّ بقصائدهم افواه المناهضين (فهم اشبه بالجرائد السياسية او الحزبيّة اليوم)

وقد ظهر من ارباب الشعر يومئذٍ جماعة كبيرة : منهم عمر بن ابي ربيعة ، والاخطل ، وجرير ، والفرزدق ، وذو الرمّة ، و كثيّر عزّة ، وجميلُ بثينة ، والكُميت ، والاحوص ، والراعي ، و كثير من شعرهم كان يغنّى لرقتهِ وعذوبتهِ ·

ولم يكن اولئك الشعراء عادةً ذوي مبادىء سياسيّة ثابتة بل كانوا يتقلبون مع الاهواء واكثر انصرافهم الى ذوي السيف او المال

واليك ترجمة الاربعة الأُول ، وشيئاً من شعرهم يمثّل لنا ادب ذلك العصر وروحه ·

عمر بن ابي ربيعة

(من بني مخزوم)

توفي سنة ٩٣ هـ (٧١٣ م)

هو شاعر قريش ، وكان ابن تاجر غنيّ من تجّار مكة ، اشتهر بالغزل والتشبيب وبلغ في ذلك غاية بعيدة · وشعره يدلّ على ميله الى المجون والمرح فقد كان يتعرّض للنساء الحواجِ ويشبِّب بهنّ[1] وانما وقاه من الاذى منزلته في قريش

وهو في اكثر شعرهِ مُدلّ بشبابه فيتراءى لك انه المحبوب المطلوب بدلاً من المحبّ المشتاق ، وذلك مغاير للمعروف من نفثات الشعراء الغزلين · على ان شعره رقيق رشيق قال فيه جرير « هذا الذي ارادته الشعراء فاخطأته » · ومنه

هيّج القلبَ مغانٍ وصِيَرْ دارساتٌ قد علاهنّ الشجر ·[2]

---

(١) ابن قتيبة ١٣٢ (٢) المغاني المنازل — الصير حظائر الدواب

ورياحُ الصَّيف قد ازرتْ بها ... تنسج التربَ فنوناً والمطر[1]
ظِلتُ فيها ذات يوم واقفاً ... اسأل المنزلَ هل فيه خبر
للَّتي قالت لأَترابٍ لها ... قطُفٍ فيهنّ انسٌ وخفر[2]
قد خلونا فتمنّينَ لنا ... اذ خلونا اليوم نُبدي ما نُسِر[3]
فعرفنَ الشوق في مهجتها ... وحَبابُ الشوق يبديهِ النظر[4]
قلن يسترضينها مُنيتُنا ... لو اتانا اليوم في سرٍّ عُمرْ
بينما يذكرنني ابصرنني ... دونَ قيد الميل يعدو بي الاغرّ[5]
قلن تعرفن الفتى ? قلن نعم ... قد عرفناه ، وهل يخفى القمر ?
ذا حبيبٌ لم يعرّج دوننا ... ساقه الحَينُ الينا والقدر
ورضابُ المسك من اثوابهِ ... مرمرَ الماء عليه فنضر[6]

ومن قوله

إرحمينا يا نُعمُ مما لقينا ... وصِلينا فأَنعمي او دعينا
واذكري العهدَ والمواثيق منّاً ... يوم آليتِ لا تُطيعين فينا[7]
فلئن كنتِ قد تغيّرتِ بعدي ... ورضيتِ الغداةَ ان تصرفينا[8]
لا تزالين آثرَ الناس عندي[9] ... فاعلمي ذاك في الهوى ما حيينا

---

(١) كانت الرياح تنسج التراب اشكالاً ثم تسقط المطر

(٢) قطف بطيئات السير . خفر حياء

(٣) اي وقفت في الدار اتذكر الفتاة التي قالت لرفيقاتها الناعمات ها قد خلونا فهلمّ نبدي في خلوتنا ما نتمناه (٤) حباب الشوق معظمه

(٥) قيد الميل مقدار الميل او هو اسم مكان . الاغر فرسه (٦) اي فتات المسك مرر عليه الماء فصار نضراً (٧) يوم اقسمت لا تطيعين قول الوشاة

(٨) رضيت ان تهجرينا غداً (٩) اثر الناس افضلهم

ولعل اشهر قصائده واجملها قصيدته الرائية التي مطلعها : —

« امن آلِ نُعمٍ انتَ غادٍ فمبكرُ »

وفيها يقول واصفاً نفسه وهو على مرتفع يراقب المكان الذي حلّت فيه عشيرة فتاته نُعم —

وليلةَ ذي دورانَ جشّمتني السُّرى ... وقد يجشمُ الهولَ المحبُّ المغرّرُ[1]
فبتُّ رقيباً للرّفاق على شفا[2] ... احاذر منهم من يطوف وانظرُ
اليهم متى يستمكن النوم منهمُ ... ولي مجلسٌ لولا اللُّبانةُ[3] اوعرُ
وبتُّ اناجي الناس اين خباؤها ... وكيف لما آتي من الامر مصدرُ[4]
فدلّ عليها القلبَ ريّاً عرفتها ... لها وهوى النفس الذي كاد يظهرُ
فلما فقدتُ الصوتَ منهم وأُطفئت ... مصابيحُ شبّتْ بالعشاء وأنورُ
وغاب قُميرٌ كنت ارجو غيوبَهِ ... وروّح رعيانٌ ونوّم سمّرُ[5]
وخُفّض عني الصوت اقبلت مشيةَ ... الحُباب[6] وشخصي خيفةَ القوم أزورُ
فحيّتُ اذ فاجأتها فتولّهت ... وكادت بمكنون التحية تجهرُ
وقالت ، وعضّت بالبنان ، فضحتني ... وانت امروءٌ ميسورُ امرك اعسرُ
فواللهِ ما ادري اتعجيلُ حاجةٍ ... سرت بك ام قد نام من كنت تحذرُ ؟
فقلتُ لها بل قادني الشوق والهوى ... اليكِ وما عينٌ من الناس تنظرُ

---

(١) ذو دوران اسم موضع . جشمتني السرى اي حملتني مشقات السرى اليك
(٢) شفا محل مشرف والرفاق الجماعة ويعني عشيرة فتاته (٣) اللبانة الغرض
(٤) كيف الرجوع اذا دخلت الى خبائها (٥) وبات الرعيان ونام المتسامرون
(٦) ولما هدأ الصوت سرت نحو الحبيبة امشي متسرّقاً كالحيّة

الاخطل

توفي سنة ٩٥هـ (٧١٥ م)

شاعر مسيحي من قبيلة تغلِب · نشأ اولاً في ظل يزيد بن معاوية ، ثم مدح عبد الملك بن مروان ، وكان شاعره الخاص · وكان ابو عبيدة يعدُّه الاول بين الشعراء الاسلاميين، ويروى عن ابي عمرو قوله ان الاخطل لو ادرك يوماً في الجاهلية لما قدَّمتُ عليه احداً[1] · وكان يشرب الخمر وله فيها اوصاف مذكورة ، ولا يجيد النظم الا اذا شرب · وكان شديد المدافعة عن الامويين فاكرمه عبد الملك وسمَّاه شاعر بني أُميَّة[2] ·واسمه مقرون ابداً باسم جرير واسم الفرزدق ، لِما كان بين هؤلاء الشعراء من المهاجاة والمساجلة · وهاك مثالاً من قصيدته المشهورة في عبد الملك بن مروان

خفَّ القطينُ[3] فراحوا منك او بكروا ... وازعجتْهم نوى في صرفها غِيَرُ

يا قاتلَ الله وصلَ الغانيات اذا ... أَيقنَّ أَنَّك ممن قد زها الكِبَرُ

اعرضن لمَّا حنا قوسي موتِّرُها[4] ... وابيضَّ بعد سواد اللمَّة الشَّعرُ

ما يرعوين الى داعٍ لحاجته ... ولا لهنَّ الى ذي شيبةٍ وطرُ

ثم يتخلص الى المديح هاجراً حسانه

الى امرئٍ لا تعرِّينا نوافله ... اظفره الله فليهنأْ به الظفرُ[5]

الخائضِ الغمر والميمون طائرُهُ ... خليفةِ الله يُستسقى به المطرُ

---

(١) الاغاني ٧–١٦٣ (٢) الاغاني ٧ — ١٦٤ و ١٦٧

(٣) القطين الاتباع واهل الدار (٤) لما حنا ظهري مقوِّمه اي لما اصبح ظهري منحنياً من الكبر (٥) تعرِّينا اي تذهب عنا — النوافل العطايا

يغشى القناطر يبنيها ويهدمها　　مسوَّمٌ فوقه الرايات والقَتَرُ[1]
وتستبين لأقوامٍ ضلالتهم　　ويستقيمُ الذي في خدّه صَعَرُ[2]
في نبعةٍ من قريشٍ يعصبون بها　　ما ان يوازى باعلى نبتها الشجرُ[3]
حُشدٌ على الحقّ عيَّافو الخنا أُنفٌ　　اذا أَلمَّت بهم مكروهةٌ صبروا
شُمسُ العداوة حتى يستقادَ لهم[4]　　واعظمُ الناس احلاماً اذا قدروا
بني أُميَّة نعماكم مجلِّلةٌ　　تمّت فلا مِنَّةٌ فيها ولا كدرُ

ومما يستجاد له قوله وهو من قبيل المواعظ

والناس همُّهمُ الحياة ولا ارى　　طولَ الحياة يزيد غيرَ خبال
واذا افتقرتَ الى الذخائر لم تجد　　ذخراً يكون كصالح الاعمال

جرير

توفي سنة ١١٠ هـ (٨٢٧ م)

شاعر مشهور من بني كليب بن يربوع ، وكان يلازم الحجّاج بن يوسف اولاً ، ثم جاء الى بَلاط عبد الملك بن مروان ومدحه ، فجعله من شعرائه المقرّبين . ولجرير شهرة واسعة بين الشعراء ، وقد كان كما ذكرنا يهاجي الاخطل والفرزدق وغيرها من الشعراء ، ولهم في ذلك نقائض كثيرة صرفوا فيها شاعريتهم القوية . وهو متقدّمٌ على الجميع برقة النسيب وسرعة الخاطر

---

(١) المسوّم المعلم بعلامة يعرف بها — القتر الغبار (٢) الصعر ميل الخد استخفافاً بالناس (٣) النبعة من اجود الشجر — يعصبون اي يطيفون
(٤) شُمس اي صعاب الخلق حتى ينقاد اليهم المعاندون

قال من قصيدة يهجو الاخطل

حيِّ الغداةَ برامةَ الاطلالا ... رسماً تقادم عهده فأحالا[١]

ان الغواديَ والسّواريَ غادرت ... للريح مخترَقاً به ومجالا

لم يُلفَ مثلُك بعد اهلك منزلاً ... فسُقيتَ من نوء السماك سجالا[٢]

ولقد عجبتُ من الديار واهلها ... والدهرِ كيف يبدّل الابدالا

ورأيت راحلةَ الصِّبا قد اقصرت ... بعد الذميل وملّت الترحالا[٣]

ثم يتخلّص من ذلك الى مهاجاة الاخطل فيقول :

اني جعلتُ ، فلن اعافي تغلباً ، ... للظالمين عقوبةً ونكالا

انسيتَ يومك بالجزيرة بعدما ... كانت عواقبه عليك وبالا

حملتْ عليك حماةُ قيسٍ خيلها ... شُعثاً عوابس تحمل الابطالا[٤]

ما زلت تحسب كلَّ شيءٍ بعدهم ... خيلاً تُشدُّ عليكم ورجالا[٥]

هل تملكون من المشاعر مشعراً ... او تنزلون من الأَراك ظلالا[٦]

فلَنحنُ اُكرمُ في المنازل منزلاً ... منكم واطول في السماء جبالا

ولو انَّ تغلب جمّعت انسابها ... يوم التفاضل لم تزِنْ مثقالا

ومن غزله قوله من مقدمة قصيدة يهجو بها الاخطل

اقول لصحبتي لما ارتحلنا ... ودمع العين منهمرٌ سجامُ

---

(١) رامة اسم مكان. الغداة اي صباحاً (٢) نوء السماك اي المطر الحادث حين ظهور نجم السماك . والعرب يضيفون الامطار الى النجوم وينسبونها اليها — والسجال مرّة بعد مرة (٣) اي قوة الشباب ضعفت وكلت . والذميل السير السريع

(٤) الشعث اي الغبر لطول السفر (٥) تشد عليكم اي تحمل عليكم

(٦) المشاعر مناسك الحج ومعالمه الظاهرة . الاراك شجر معروف

أتمضون الرُّسومَ[١] ولم تحيّوا كلامكمُ عليَّ إذَنْ حرام
بنفسي مَنْ تجنُّبُه عزيزٌ عليَّ ومن زيارته لِمام
ومن أُمسي واصبح لا اراهُ ويطرقني اذا هجع النيّام
أتنسى اذ تودّعنا سليمى بفرع بشامةٍ سُقي البشام[٢]
فلو وجد الحمام كما وجدنا بسلمانَين[٣] لاكتأب الحمام

الفرزدق

توفي سنة ١١٠ ﻫ (٧٢٩ م)

وهو شاعر تميم · ولد بالبصرة في اواخر خلافة عمر بن الخطاب ، وكان والده « غالب » من اهل الرئاسة في الجاهليَّة · ويعزو النقَّاد الاقدمون الى الفرزدق التقدّم في الفخر وسعة التصرف في اللغة ·

وبرغم مدحه للامويّين ورجالهم كان يميل الى اهل البيت العلوي ، وله في الامام زين العابدين بن علي بن الحسين قصيدة مشهورة اليك نخبتها : —

هذا الذي تعرفِ البطحاءُ وطأتهُ والبيتُ يعرفهُ والحِلُّ والحَرَمُ[٤]
هذا ابن خير عباد الله كلِّهمِ هذا التقيُّ النقيُّ الطاهر العَلَمُ
اذا رأته قريشٌ قال قائلها الى مكارم هذا ينتهي الكرَمُ
ينشقُّ نور الهدى من نور غرّته كالشمس ينجابُ عن اشراقها القتم[٥]
هذا ابن فاطمةٍ ان كنت جاهلهُ بجَدِّه انبياء الله قد خُتموا

---

(١) وفي رواية « تمرّون الرسوم ولم تعوجوا (او مررتم بالديار ولم تعوجوا) والرسوم آثار الدار (٢) البشام شجر عطِر الرائحة (٣) سلمانَين اسم مكان
(٤) البطحاء اي بطحاء مكة (٥) ينجاب ينكشف — القتم اي السواد والغبار

اللهُ شرّفه قدراً وعظّمه جرى بذاك له في لوحه القلمُ
عمَّ البريَّة بالاحسان فانقشعت عنها الغياهب والإملاق والظُّلَمُ[١]
من معشرٍ حبُّهُمْ دينٌ وبغضُهُمُ كفرٌ وقربهمُ منجىً ومعتصمُ
ان عُدَّ اهل التُّقى كانوا أَئمّتهم او قيلَ مَن خيرُ اهل الارض قيل همُ

ومن فخرياته المعروفة قصيدته الفائية التي مطلعها «عزفتَ باعشاشٍ وما كدت تعزفُ» ومنها: —

لنا العزّة القعساء والعددُ الذي عليه اذا عُدَّ الحصى يتخلَّفُ[٢]
ومنّا الذي لا ينطق الناسُ عندهُ ولكنْ هو المستأذَنُ المتنصَّفُ[٣]
ترى الناسَ ما سِرنا يسيرون خلفنا وإنْ نحنُ اومأنا الى الناس وقَّفوا
ولا عزَّ الاّ عزُّنا قاهرٌ له ويسألنا النِّصفَ الذليلُ فننصفُ

النثر والانشاء

في العصر الاموي

النثر اساليب . منه اسلوب التصنيف اي تأليف الكتب من ادبية وعلمية، ولم يصلنا منه في هذا العصر شيءٌ يذكر

ومنه الترسُّل — اي كتابة الرسائل على انواعها، وإمامه في العصر

---

(١) انقشعت انكشفت والغياهب الظلمات . والاملاق الفقر والحاجة

(٢) اي عددنا يزيد على عدد الحصى

(٣) اي منا السيد الذي يستأذنه الناس ويخدمونه

عبد الحميد بن يحيى ، وهو كما قال ابن عبد ربه اول من فتق اكمام البلاغة وسهّل طرقها[١] . ويغلب في كلامه التوازن والتبسط والرشاقة ، وقد تبعه المترسِّلون في العصور التالية فتأنَّقوا واطالوا ، وتجاوز بعضهم المدى في ذلك

وهناك الاسلوب الخطابي وهو لا يختلف في هذا العصر عما سبقه في العهد النبويّ وما تلاه من الايجاز والمتانة وبلاغة التعبير

واليك امثلة على الترسل والخطابة

قطعة من رسالة عبد الحميد الى الكتّاب[٢]

« اما بعد — حفظكم الله يا اهلَ صناعة الكتابة وحاطكم ووفّقكم وارشدكم ، فان الله عزَّ وجلَّ جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين ومن بعد الملوك المكرّمين اصنافاً ، وان كانوا في الحقيقة سواء ، وصرّفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات ، الى اسباب معاشهم وابواب ارزاقهم . فجعلكم معشرَ الكتاب في اشرف الجهات ، اهل الادب والمروّات ، والعلم والرزانة : بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم امورها ، وبنصائحكم يُصلح الله للخلق سلطانهم ، وتعمر بلدانهم . فليس واحد من اهل الصناعات كلّها احوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة ، وخصال الفضل المذكورة المعدودة ، منكم ايها الكتاب . فان الكاتب يحتاج في نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات اموره ان يكون حليماً في موضع الحلم ، فهيماً في موضع الحكم ، مقداماً في موضع الإقدام ، محجاماً في موضع الاحجام ، موءثراً للعفاف والعدل والانصاف ، كتوماً للاسرار ، قد نظر في كل فن من الفنون فاحكمه ، وان لم

---

(١) العقد الفريد ٣-٧ (٢) هي طويلة فلتراجع في صبح الاعشى ١-٥٨

بحكمه اخذ منه بمقدار ما يكتفي به» . و كلها على هذا النسق

. . . .

ومما يذكر هنا مثالاً لمنثور ذلك العصر «صفة الامام العادل» وهي رسالة الامام الحسن البصري الى الخليفة عمر بن عبد العزيز . قال منها :[1]

اعلم يا امير المؤمنين ان الله جعل الامام العادل قِوام كل مائل ، وقصدَ[2] كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوّة كل ضعيف ، ونصفةَ[3] كل مظلوم ، ومفزَعَ[4] كل ملهوف . والامامُ العدلُ يا اميرَ المؤمنين كالراعي الشفيق على إبلهِ الرفيقِ ، الذي يرتادُ[5] لها اطيبَ المرعى ويذودها[6] عن مراتع المهلكةِ ، ويحميها من السباع ، ويكنفها[7] من اذى الحرّ والقرّ[8]

والامامُ العدلُ يا امير المؤمنين كالقلب بين الجوانح[9] ، تصلح الجوانح بصلاحهِ ، وتفسدُ بفسادهِ . هو القائم بين الله وبين عبادهِ ، يسمعُ كلام الله ويُسمعهم ، وينظر الى الله ويريهم ، وينقاد الى الله ويقودُهم . فلا تكن يا امير المؤمنين فيما ملّكك الله كعبدٍ ائتمنهُ سيّدُهُ ، واستحفظهُ مالهُ وعيالهُ فبدّد المال ، وشرّد العيال ، فافقر اهلهُ ، وفرّق ماله . واعلم يا امير المؤمنين ان الله انزل الحدودَ ليزجُرَ[10] بها عن الخبائثِ والفواحشِ ، فكيف اذا اتاها من يليها ! وان الله انزل القصاصَ حياةً لعبادهِ ، فكيف اذا قتلهم من يقتصُّ لهم ! واذكر يا اميرَ المؤمنين الموت وما بعده وقلّة اشياعك عندهُ وانصارك عليهِ ، فتزوّد له ولِما بعده من الفزع الاكبر . واعلم ان لك منزلاً غير منزلك

---

(١) مختصرة من العقد الفريد ١ — ١٩ (٢) قصد استقامة
(٣) نصفة منصف (٤) مفزع ملجأ (٥) يفتّش عن
(٦) يدفعها (٧) يقيها (٨) البرد
(٩) الجوانح جوانب الصدر (١٠) زجر عن اي منع. والحدود الشرائع

الذي انت فيهِ ، يطول فيه ثواؤك ويُفارقكَ احبّاؤك : يسلمونك في قعرهِ فريداً وحيداً ، فتزوّد له ما يصحبك يومَ يفرُّ المرءُ من اخيه وأُمّهِ وأبيهِ ، وصاحبتهِ وبنيهِ .

فالآن يا اميرَ المؤمنين ، وانت في مهلٍ قبل حلول الأَجل ، وانقطاع الامل لا تحكم يا امير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلينَ ، ولا تسلّط المستكبرين على المستضعفين ، فانهم لا يرقبون في مؤمن إلاً[1] ولا ذمةً ، فتبوءَ[2] باوزارِك واوزارٍ مع اوزارك ، وتحمل اثقالك واثقالاً مع اثقالك

. . . . .

ومن الخطب المشهورة المرويّة عن هذا العصر خطبة طارق بن زياد يوم فتح الاندلس وقد عبر برجاله البحر واحرق المراكب وراءهم . واليك جلّها:[3]

ايها الناس اين المفرّ ؟ البحر من ورائكم والعدوّ امامكم ، وليس لكم والله الاّ الصدقُ والصبر . واعلموا انكم في هذه الجزيرة أَضيعُ من الأَيتام في مأدبة اللئام ، وقد استقبلكم عدوُّكم بجيشه ، واسلحتهُ واقواتهُ موفورة ، وانتم لا وَزَر لكم الاّ سيوفُكم ، ولا اقوات الا ما تستخلصونهُ من ايدي عدوِّكم . وان امتدّت بكم الايام على افتقاركم ولم تُنجزوا لكم امراً ذهب ريحكم[4] ، وتعوّضت القلوب عن رُعبها منكم الجُرأة عليكم . فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذا الطاغية[5] ، فقد القت به اليكم مدينتهُ الحصينة . وانَّ انتهاز الفرصة فيه لممكنٌ ان سمحتم

---

(١) الاّ . عهداً (٢) باء رجع . اوزار اثام (٣) نفح الطيب ١-١١٢
(٤) ريحكم اي قوتكم (٥) اي بمقاتلة هذا الملك الظالم

لانفسكم بالموت · وإني لم أحذركم امراً انا عنهُ بنجوةٍ[١] ، ولا حملتكم على خطةٍ ارخصُ متاع فيها النفوسُ — أَبدأُ بنفسي واعلموا انكم ان صبرتم على الاشقّ قليلاً استمتعتم بالارفه الأَلذّ طويلاً · فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي ، فما حظُّكم فيه باوفرَ من حظي · وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة · وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المؤمنين من الابطال عرباناً ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهاراً واختاناً ، ثقةً منهُ بارتياحكم للطعان ، واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ، ليكون حظُّهُ منكم ثوابَ الله على اعلاء كلمتهِ واظهار دينهِ بهذه الجزيرة · والله وليُّ إنجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارَين ·

واعلموا أَنّي اوّل مجيب الى ما دعوتكم اليهِ ، واني عند ملتقى الجمعين حاملٌ بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتلهُ ان شاء اللهُ تعالى · فاحملوا معي فان هلكت بعدهُ فقد كفيتم امرهُ ، ولم يعوزْكم بطلٌ عاقلٌ تُسندون امركم اليهِ ، وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلُفوني في عزيمتي هذه ، واحملوا بانفسكم عليهِ ، واكتفوا الهمّ من فتح هذه الجزيرة بقتلهِ

. . . . .

ومنها خطب الحجَّاج بن يوسف · واشهرها خطبته في مسجد الكوفة وهي مشهورة[٢] ومنها — اني والله يا اهل العراق ما يقعقَع لي بالشِّنان[٤] ، ولا يغمز جانبي كتغماز التين · ولقد فُررت[٥] عن ذكاء ، وفُتِّشت عن تجربة ، وان

---

(١) النجوة المرتفع من الارض . وانا عنه بنجوة اي انا بعيد عنه

(٢) راجعها في العقد الفريد ج٢ باب الخطب (٣) ويروى بالسنان اي لست ممّن يخوّف (٥) اي امتحنت فوجدت ذكيًا

امير المؤمنين نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها ، فوجدني امرّها عودا ، واصلبها مكسرا ، فرما كم بي لانكم طالما اوضعتم[١] في الفتنة ، واضطجعتم في مراقد الضلال . والله لاحزمنّكم حزم السَّلَمة[٢] ، ولاضربنّكم ضرب عزائب[٣] الإبل ... واني والله ما اقول الاّ وفيت . ولا اهمّ الاّ امضيت ولا اخلق[٤] الا فَريت . وان امير المؤمنين امرني باعطائكم أعطياتكم وان اوجّهكم لمحاربة عدوّكم[٥] مع المهلّب ابن ابي صُفرة . واني اقسم بالله لا اجد رجلاً تخلّف بعد اخذ عطائه بثلاثة ايام الاّ ضربت عُنقه

وهاك شيئاً من خطبة له في البصرة

ان الله كفانا موئنة الدنيا وامرنا بطلب الآخرة . فليته كفانا موئنة الآخرة وامرنا بطلب الدنيا . مالي ارى علماءكم يذهبون وجهّالكم لا يعلمون واشراركم لا يتوبون ؟ مالي اراكم تحرصون على ما كفيتم وتضيعون ما بهِ أُمرتم ؟ انّ العلم يوشك ان يُرفع ، ورفعهُ ذهاب العلماء . أَلا واني اعلم بشِراركم من البيطار بالفرس ، الذين لا يقرأُون القرآن الاّ هُجراً[٦] ، ولا يأتون الصلاة الاّ دُبرا[٧] . أَلا فاعلموا وانتم من الله على حذر ، واعلموا انكم ملاقوه ليجزي الذين اساءُوا بما عملوا ، ويجزي الذين احسنوا بالحسنى

أَلا ان من يعمل مثقال ذرّة شرّاً يرَه . واستغفر الله لي ولكم

---

(١) اوضعتم رعيتم او سرتم (٢) السلمة نوع من الشجر

(٣) عزائب الابل التي تبعد عن مراعيها (٤) خلق الجلد قدّره (فصّله) قبل ان يقطعه (٥) الخوارج (٦) هجرا فحشاً او استهزاء (٧) دبرا اي آخرها

الدولة الاموية

في الاندلس

يُراد بالاندلس هنا اسبانيا والبورتغال وقد سميّت كذلك في الارجح نسبةً الى قبائل الفندال التي احتلت في القرون الخامس للميلاد جزءًا منها عُرِف بهم ، فلما دخلها العرب اطلقوا اسم ذلك الجزء على الكل [١]

فتح الاندلس :

في السنة الخامسة من ملك الوليد بن عبد الملك وهي السنة ٩٢ هـ (٧١٠م) عبر المسلمون البحر الى اسبانيا يقودهم طارق بن زياد [٢] احد رجال موسى بن نُصَير . وكانت اسبانيا يومئذٍ في اضطراب داخلي ، وقد قام فريق من اشرافها، اهمّهم يوليان [٣] صاحب سبتة ، على الملك رودريك (ويسميه العرب لذريق) ، وارسلوا الى موسى بن نصير يستنجدونه عليهِ — والعرب يومئذٍ طامعون في فتح الاندلس . فاجابهم موسى الى ذلك وارسل طارقاً فغزا بلادهم وقهر ملكهم . فلما وصلت الاخبار الى موسى حرّكته الغيرة فأمر طارقاً بتوقيف الزحف ، وسار هو بنفسه الى اسبانيا ففتح عاصمتها طُلَيطلة (Toledo) واتمّ فتح الاندلس . وكان في نيَّته على ما يذهب اليه البعض ان يأتي المشرق عن طريق القسطنطينية [٤] . ثم جاءه الامر من الوليد ان يقدم الى الشام ، فاستخلف على

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى دائرة المعارف الاسلامية

(٢) وهو الذي سمي بوغاز جبل طارق باسمه

(٣) راجع Dozy تاريخ المسلمين في اسبانيا ، والغصن الرطيب للمقّري ١ — ١٠٩

(٤) الغصن الرطيب ١—١١٠

الاندلس ابنه وسار الى الشام بابَّهة عظيمة ، فوصلها والوليد قد مات[١]

فلما ولي سليمان الخلافة (وكان يكره موسى) عامله معاملة سيِّئة جدًّا ونهب امواله ، فمات هذا القائد العظيم ميتة اهل الفاقة والخمول

وصارت الولاة تتعاقب على الاندلس من قبل الخلفاء الامويين ثم العباسيين ، والتيَّار الاسلامي يتقدَّم نحو اوروبا[٢] ، حتى دخلها عبد الرحمن الاموي وثبَّت فيها ملكه ، فارجع الحكم لبني أميَّة . ومنه تبتدىء الدولة الاموية في الاندلس

عبد الرحمن الاول

وكان لما قام السفَّاح العباسي واعمل السيف في بني أُميَّة ان حفيداً للخليفة هشام اسمه عبد الرحمن نجا من السيف وهام على وجهه يضرب في الآفاق وحيداً شريداً لا ظهير له الا خادم يدعى بدراً ، حتى ساقه القدر الى افريقيا فنزل على اخواله من برابرة طرابلس[٣] . وكان عبد الرحمن ذا همَّةٍ ومراس طموحاً الى العلى طامعاً في الملك ، فسوَّلت له نفسه ان يغزو الأندلس ويؤسس لنفسه سلطنة هناك . وكانت سيِّئة النظام ، فبعث بخادمه بدرٍ اليها يدسُّ الدسائس ويصطنع الاحزاب . فتمكَّن بدهائه وصبره من جذب اليمنيَّة اليه وحملهم على نصرته ، وهم مضطغنون يومئذٍ على المُضريَّة لانفرادهم بالسيادة . فلما وثق عبد الرحمن بنصرتهم حمل على اسبانيا بمغاربة افريقيا وهو ابن ٢٨ سنةً ، فاستولى عليها وذلك في السنة ١٣٨ﻫ (٧٥٦م) وجعل عاصمة ملكه قُرطبة

---

(١) ابن خلدون ج ٤ – ١١٨ والمقري ١ – ١٣٢ (٢) راجع الوصف الشائق لفتوح المسلمين في فرنسا وايطاليا في تاريخ علم الادب لروحي الخالدي ٨٣ – ٩٧

(٣) ابن خلدون ٤ – ١٢١

وكان همّهُ في اوّل الامر منصرفاً الى تعزيز سلطانه وخضْد شوكة مناوئيه من العرب — ولا بدَّ له في ذلك من الحكمة والدهاء فضلاً عن الاقدام والبسالة ، لا سيما وان الاسبان كانوا يعدُّون العرب اجمالاً غزاة مغتصبين فاذا رأَوا فرصة للوثوب عليهم وثبوا . على ان ذلك لم يحل دون اماني الفاتح العظيم، فقهر الاعداء وثبَّت سلطانه ، ثم انصرف الى تعمير البلاد وترقيتها ، فازدهت في ايامه ووفرت ثروتها وراجت العلوم والمعارف فيها

قال عدوُّه ابو جعفر المنصور يوماً لاصحابه اخبروني عن صقر قريش من هو ؟ قالوا اميرُ المؤمنين (اي المنصور) الذي راض الملك وسكَّن الزلازل وحسم الادواء واباد الاعداء ! قال ما صنعتم شيئاً . قالوا فمعاوية . قال ولا هذا . قالوا فعبد الملك بن مروان . قال ولا هذا . قالوا فمن يا امير المؤمنين ؟ قال : عبد الرحمن بن معاوية الذي عبر البحر ، وقطع القفر ودخل بلداً اعجمياً منفرداً ، فمصَّر الامصار وجنَّد الاجناد ، ودوَّن الدواوين واقام ملكاً بعد انقطاعه بحسن تدبيره[1]

وكان يلقَّب بالامير وعليه جرى بنوه من بعده فلم يُدعَ احد منهم بامير المؤمنين حتى كان عبد الرحمن الناصر[2]

وخلف عبد الرحمن الاول الملقَّب بالداخل ابنه هشام،ثم الحكَم بن هشام فعبد الرحمن الثاني فابنه محمد فالمنذر بن محمد فعبدالله بن محمد . وكانت ولاية هؤلاء الامراء نحواً من ١٢٦ سنة . وفي تاريخهم كثير من الغزوات والثورات اهمّها ثورة عمر بن حفصون . وهو فارس مسلم من اصل قوطي ثار ثورة عظيمة في وجه الامويّين واستفحل امره جداً حتى كاد يخشى على الامارة الامويَّة في قرطبة منه ، ولكن مسعاه حبط اخيراً . قال نِكِلْسون : وكان رجوعه الى

---

(١) العقد الفريد ٣-٢٠١ (٢) ابن خلدون ٤-١٢٢

المسيحية سبباً في فتور الثوّار وميلهم الى الاذعان للحكومة[1]

وخلف الاميرَ عبدالله عبدُ الرحمن الناصر وعصرهُ عصر الاندلس الذهبي

عبد الرحمن الناصر :

وهو كما ذكرنا اوّل من سُمّي امير المؤمنين من بني اميّة في الاندلس . رقي العرش والاندلس مضطربة ، فسكّنها وقاتل المخالفين حتى اذعنوا . وكان كثير الجهاد والغزو الى دار الحرب ، فاوطأ المسلمين من بلاد الافرنج ما لم تطأه اقدامهم من قبل . « ومدّت اليه امم النصرانية يد الاذعان وأوفدوا اليه رسلهم وهداياهم من رومية والقسطنطينية »

ولما استفحل امره صرف نظره الى تشييد المباني والقصور — منها قصر الروضة المشهور . وقد بنى مدينة الزهراء وجعلها مركزاً له ، وانشأ فيها من المباني والمتنزّهات والحدائق والمسارح والمصانع ما يقصّر القلم دونه . ولا شكّ انه اعظم ملوك الاندلس ومن اشهر رجال الاسلام . قال دوزي : ان اعماله من قبيل المعجزات فقد اجرى الذهب في الاندلس ورفع شأن العلم فنهض بالعرب الى السِّماك الاعلى . وعن ابن خلدون ان دعوته فشت في المغرب الاقصى . وقد ذكر ابن عبد ربه وهو من معاصريه غزواته وعدّد مناقبه وقال لم يكن لها نظير[2]

وبه بلغت الاندلس العربيّة اوج المجد ، وبموته بدأت بالتقهقر كما سترى

ابنه المستنصر او الحكم الثاني

وكان محبّاً للعلوم جمّاعة للكتب على انواعها مما لم يجمعهُ احد من الملوك

---

(١) Nicholson 411 (٢) راجع سيرته في العقد الفريد ٣ — ٢٠٨ وابن خلدون ٤ — ١٤٠ وتاريخ المسلمين في اسبانيا لدوزي ٣ — ٩٠

قبلهُ . قال ابن حزم اخبرني ابنُ بكْية الخصيُّ ، وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان ، ان عدد الفهارس التي فيها اسماء الكتب كان اربعاً واربعين فهرساً ، في كل فهرس عشرون ورقة ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين[١] . فاقام المستنصر للعلم والعلماء سلطاناً ، وكان يبعث في الكتب الى الاقطار رجالاً من التجّار ويسرّب اليهم الاموال لشرائها حتى جلب منها الى الاندلس ما لم يعهدوه . وبعث في طلب كتاب الاغاني الى مصنّفهِ ابي الفرج الاصفهاني الف دينار من الذهب العين ، فبعث اليهِ بنسخة منه قبل ان يخرجهُ بالعراق

وجمع في داره الحذّاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والاجادة في التجليد ، فاوعى من ذلك كله . ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة الى ان بيع اكثرها بحصار البربر ونُهب ما بقي منها عند دخول البربر قرطبة[٢]

دولة العامريين

خلف المستنصرَ ابنُهُ هشام المؤيد ، وكان يناهز الحلم وقد استوزر له ابوه محمد بن ابي عامر . فثار لوزيره هذا رأي في الاستبداد ، فمكر باهل الدولة وضرب بين رجالها واستولى على البلاد وحَجَر على الخليفة هشام . ثم ابتنى لنفسه مدينة سمّاها الزاهرة ، وامر بان يحيى تحيّة الملوك ، ولقّب المنصور . وكان شجاعاً حكيماً ، وهو من مشاهير العرب في اسبانيا ومن اكبر قادة المسلمين . وخلفهُ ابنهُ « المظفّر » وجرى على سَنن ابيه في حجر الخليفة هشام والاستبداد بهِ — ثم اخوه « عبد الرحمن » فجرى مجرى ابيهِ واخيهِ وطلب من الخليفة ان يولّيه عهده فاجابهُ الى طلبه ، ولكن الامويين نقموا ذلك فاجتمعوا لامرهم

---

(١) ابن خلدون ٤ – ١٤٦ (٢) ابن خلدون ٤ – ١٤٦

في غيبة عبد الرحمن ببلاد الجلالقة[1] ، وقتلوا صاحب الشُّرطة وخلعوا هشاماً ثم بايعوا محمد بن هشام ولقَّبوه بالمَهدي . فتسلَّل الجند عن عبد الرحمن ولحقوا بالمهدي واعترضهُ واحد فاحزَّ رأسهُ ، وذهبت بذلك دولة العامريين

ملوك الطوائف والبربر

وفي السنة ١٠٢٣م بويع عبد الرحمن اخو المهدي ، لكنَّ رجلاً من أعقاب الخلفاء يدعى المستكفي قتله واستبدَّ بالامر . وخلفه المعتمد بالله الذي مات سنة ٤٢٨هـ (١٠٣٨م) وبه نهاية الخلافة الاموية في الاندلس

وكان ضعف الخلافة سبباً في كثرة الفتن واستقلال الامراء ، فتفرَّقت المملكة امارات عُرِفت بدول الطوائف . اشهرها (بنو عبَّاد) وعاصمتهم اشبيلية ، وهم من اوسع ملوك الطوائف اقتداراً وقد نبغ فيهم المعتمد الشهير . (وبنو جهْوَر) في قرطبة ، وبنو نصر (في غرناطه) ، وبنو هود (في سَرقسطة) وبنو ذي النون (في طُلَيطلة) ، وملوك بلنسية وغيرهم

وبقيت الاندلس كذلك الى اواخر القرن الحادي عشر للمسيح حين غشيها البربر من افريقيا . وقد عُرف من البربر دولتان كبيرتان الاولى (المرابطون) وأشهر زعمائهم يوسف بن تاشفين . وهم اهل غزو لم يكن لهم ميل الى الحضارة ، فخمدت في ايامهم المعارف واستولى على البلاد الجهل والظلام ، وقد بقيت السيادة لهم الى سنة ١١٤٧م . والثانية (الموحِّدون) وفي ايامهم زهت العلوم ، فنبغ جملة حسنة من العلماء والفلاسفة

---

(١) بلاد الجلالقة في شمالي اسبانيا

وفي النصف الاول من القرن السابع للهجرة (الثالث عشر للميلاد) اضمحلّ ملك البربر من الاندلس وتقلّص ظل الاسلام فيها ، ولم يبقَ للمسلمين الاّ غرناطة ، وملوكها بنو نصر · وقد بقيت دولتهم من سنة ١٢٣٢م — ١٤٩٢م

وهم بناة الحمراء المشهورة ، وفي ايامهم ازدهر العلم ، وقام بضعة من كبار العلماء ، اشهرهم ابن خلدون الفيلسوف المؤرخ ، ولسان الدين ابن الخطيب الاديب المشهور



ابو عبدالله آخر ملوك العرب في اسبانيا

جدول

ملوك الاندلس من بني امية

عبد الرحمن الداخل	توفي سنة	١٣٨ ه او	٧٥٦ م
هشام بن عبد الرحمن	〃 〃	١٧٢ 〃	٧٨٨
الحكم بن هشام	〃 〃	١٨٠ 〃	٧٩٦
عبد الرحمن بن الحكم	〃 〃	٢٠٦ 〃	٨٢١
محمد بن عبد الرحمن	〃 〃	٢٣٨ 〃	٨٥٢
المنذر بن محمد	〃 〃	٢٧٣ 〃	٨٨٦
عبدالله بن محمد	〃 〃	٢٧٥ 〃	٨٨٨
عبد الرحمن الناصر وهو (اول خليفة اندلسي)	〃 〃	٣٠٠ 〃	٩١٢
المستنصر	〃 〃	٣٥٠ 〃	٩٧٦
هشام (المؤيد)	〃 〃	٣٦٦ 〃	٩٧٨

ويتبع هشاماً المهدي فالمستعين فعبد الرحمن بن هشام فالمستظهر فالمستكفي فالمعتمد بالله ، وبه انتهت الخلافة الاندلسية سنة ٤٢٨ ه او ١٠٣٨ م

الاداب العربية

في الاندلس

كانت اوروبا لما دخلها العرب في ظلمات حالكة ، لذلك سهل على الفاتحين نشر تمدّنهم وآدابهم وجعل لغتهم اللغة الرسمية في اسبانيا . ولقد وجد الاسبان في التمدُّن الاسلامي يومئذٍ ما لم يكن عندهم ، فاقبلوا عليه وتشربوا مبادئه ، حتى عمَّت شكوى زعمائهم من تلك الحال . يدلُّك على ذلك ما رُوي من أنَّ أُسقف قرطبة كتب مرةً الى بعضهم شاكياً من اقبال رعيته على الآداب العربية ، قال[1] « من المؤلم انهم لم يفعلوا ذلك ليتمكّنوا من دحض مدَّعيات اعدائهم بل ليتقنوا العربية ويبرعوا فيها . فمن من الجمهور الآن يقرأ الاسفار المقدسة باللاتينية ؟ أوَّاه ! انْ تيَّار العربية قد جرف الكبير مع الصغير حتى نبذ الجميع لغة دينهم واندفعوا نحو العربية معجبين بها مفتونين بأناقتها ، وكأيٍّ منهم من يحسنها نظماً ونثراً في حين انه لا يستطيع انشاء رسالة بسيطة في اللاتينية » .

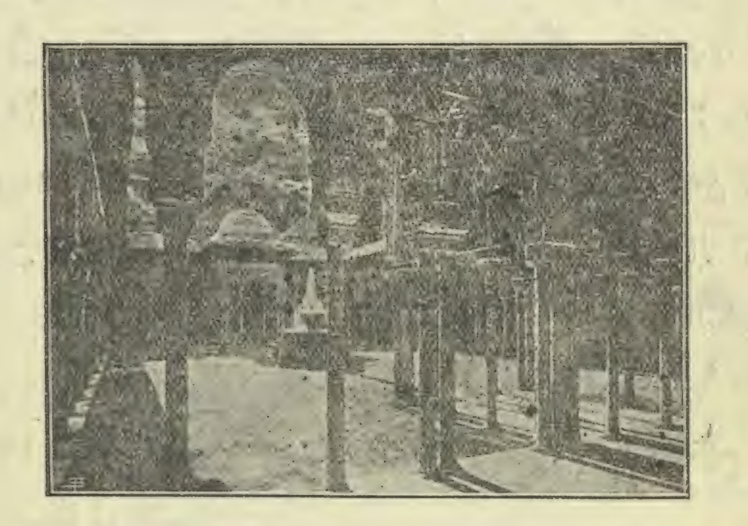
ومهما كان في شكوى الاسقف المذكور من المغالاة فلا رَيب انه كان للآداب العربية شأن كبير في اسبانيا . وقد شارك المسيحيين فيها اليهود ، فقام منهم نخبة ممن نظموا الشعر العربي وتفننوا في الآداب والعلوم . ومما لا ريب فيه ان الاسبان الذين اعتنقوا الاسلام تعرَّبوا مع الزمان فاصبحوا كالعرب انفسهم في كل احوالهم ، وكان لهم يد في النهضة العلمية العربية في اسبانيا .

---

(١) راجع نكلسون ٤١٥

مآثر العرب في الاندلس

اجمع المؤرخون من عرب وافرنج على ما كان للعرب من المآثر الغراء في اوروبا ، فقد نظّموا الاندلس ورقّوا زراعتها وصناعتها ، وانشأوا فيها المدارس الكبيرة التي كان يؤمها اهل اوروبا ، واقاموا البنايات العظيمة كجامع قرطبة ، والقصر (الكازار) في اشبيلية ، والحمراء في غرناطة ، وغير ذلك من القصور والقناطر والمعاهد[1]



قصر الحمراء

ويعرف عند الاوربيين باسم « الهمبرا » (al-Hambra) ، كان مقر بني الاحمر ملوك غرناطة ، ويعدّ انفس ما تركه العرب من الآثار في اوربا

---

(١) ومن اراد زيادة الاطلاع فليراجع ، فضلاً عما كتبه العرب انفسهم ، كتاب آثار العرب في اسبانيا (Moorish Remains ih Spain) وغيره مما كتبه اهل الفن من الاوروبيين . وليراجع تاريخ كوندي وتاريخ دوزي ودوائر المعارف وسواها

الشعر الاندلسي

لم يخرج الشعر الاندلسي عموماً عن القواعد والاصول التي وُضعت لهُ في العراق والشام ، على انه كما تغيَّر الشعر القديم في الشرق باختلاط العرب بالفرس والروم وسواهم وباخذهم باسباب الحضارة والعلوم ، كذلك طرأَ عليه في الغرب بعض التغيُّر من اختلاط العرب بالاسبان ومن وجودهم في بلاد الاندلس الجميلة٠ واكثر ما يظهر ذلك في الغزل والاشواق ووصف الرياض والجنائن مما يقتضيه جمال الطبيعة وكثرة المياه والاشجار ٠

وشعراء الاندلس معروفون برقَّتهم ورقَّة اشعارهم في هذه الاغراض ، وقد ادخلوا في الشعر العربي اساليب جديدة اهمُّها الموشَّح والزَّجل ٠ والموشح اسلوب لطيف استحسنه جميع الادباء[١] ، وهو موَّلف من مطلع لازم وادوار واليك امثلة منه[٢]

نخبة من موشح لسان الدين ابن الخطيب

ادیب الاندلس المشهور

جادكَ الغيثُ اذا الغيثُ همى　　يا زمانَ الوصل بالاندلُسِ

لم يكن وصلُكَ الا حُلُما　　في الكرى او خلسةَ المختلسِ

دور

اذ يقود الدهرُ اشتاتَ المنى　　ينقل الخطوَ على ما نرسم ،[٣]

---

(١) راجع وصفه مسهباً في مقدمة ابن خلدون ٥٤٠ وفي دائرة المعارف الاسلامية Arabia　(٢) لزيادة الاطلاع راجع كتاب العذارى المائسات للخازن

(٣) الاشتات ما تشتت . وفي رواية اخرى اسباب المنى . ونرسم اي نأمر والمعنى اذ يقود الدهر الاماني ويسير على ما نأمر ونريد

زُمراً بين فُرادى وثُنا مثلما يدعو الوفودَ الموسمُ
والحيا قد جلَّل الروضَ ثنا فثغور الروض منهُ تبسمُ (١)
وروى النعمان عن ماءِ السما كيف يروي مالكٌ عن انَسِ (٢)
فكساهُ الحسنُ ثوباً معْلما يزدهي منهُ بأبهى ملبسِ

دور

في ليالٍ كتمتْ سرَّ الهوى بالدُّجى لولا شموسُ الغُررِ (٣)
مال نجم الكاس فيها وهوى مستقيمَ السير سعدَ الاثرِ
وطرٌ ما فيه من عيب سوى انهُ مرَّ كلمح البصرِ
حين لذَّ الانسُ شيئاً او كما هجمَ الصبح هجومَ الحرسِ (٤)
غارت الشهبُ بنا او ربما أثَّرت فينا عيونُ النرجسِ

دور

يا أُهيلَ الحيِّ من وادي الغضا وبقلبي مسكنٌ انتم بهِ
ضاقَ عن وجدي بكم رحبُ الفضا لا ابالي شرقهُ من غربهِ
فاعيدوا عهدَ انسٍ قد مضى تُعتقوا عبدكم من كربهِ (٥)
واتَّقوا الله وأَحيوا مغرما يتلاشى نَفَساً في نفسِ
حبس القلبَ عليكم كرَما افترضون خراب الحبُسِ (٦)

---

(١) الحيا المطر (٢) اي شقائق النعمان (وهي الزهر المعروف) حدّثتنا عن المطر كما يحدّث الامام مالك عن ابيه انس (٣) الغرر — الطلعات البهية
(٤) ويروى حين لذ الانس مع حلو اللمى (٥) تعتقوا تحرروا. الكرب الضيق والبلاء (٦) الحبس ما يحبس في سبيل الخير

دور

ما لقلبي كلما هبَّت صَبا   عادهُ عيدٌ من الشوق جديدْ[١]
جلب الهمَّ لهُ والوصبا   فهو للاشجان في جهدٍ جهيدْ[٢]
كانَ في اللوح لهُ مكتتَبا   قولهُ « إنَّ عذابي لشديدْ »[٣]
لاعجٌ في اضلعي قد أُضرِما   فهي نار في هشيم اليبَسِ[٤]
لم يدعْ من مهجتي الا الذَّما   كبقاء الصبح بعد الغلسِ[٥]

ثم يتخلص الى مدح السلطان فيقول

سلّمي يا نفس في حكم القضا
واعبريـ الوقت برُجعى ومتاب[٦]
واتركي ذكر زمانٍ قد مضى   بين عُتبى قد تقضَّت وعتاب[٧]
واصرفي القول الى المولى الرِّضى   مُلهَم التوفيق في امِّ الكتاب[٨]
الكريمِ المنتهى والمنتمى   اسدِ السَّرج وبدر المجلسِ
ينزل النصرُ عليهِ مثلما   ينزل الوحيُ بروح القدسِ

وكل الموشَّح على هذا النسق اللطيف . ومثله اكثر الموشحات ، وهي لا تتقيد ببحر واحد او ترتيب خاص ، ولذلك يكثر التفنن فيها فتستلطفها الاذواق

---

(١) العيد ما يعتاد المرء (اي يعتريه) من هم او حزن   (٢) الوصب المرض والوجع   (٣) كان مقدَّراً له شدة العذاب   (٤) اللاعج الهوى المحرق   (٥) الغلس ظلمة اخر الليل . والذما بقية الروح   (٦) وفي رواية واعمري الوقت . برجعى اي رجوع عن الغي   (٧) العتبى الرضى   (٨) ام الكتاب هنا القرآن

نخبة من موشح لابن زمرك

في قصر بناه سلطان غرناطة

قد نُظّم الشمل اتمَّ انتظامْ   واغتنم الاحبابُ قرب الحبيبْ
واستضحك الروضُ ثغورَ الكِمام
عن مبسم الزهر البَرود الشنيب[1]
وعمّم النُورُ رؤُوسَ الربى   وجلّل النَّورُ صدور البطاح[2]
وصافح القضبَ نسيمُ الصَّبا   فالزهر يرنو عن عيونٍ وقاح
وعاود الرَّوضَ زمان الصِّبا   فقُلِّد النهرَ مكانَ الوشاح[3]
واطلع القصرُ بدورَ التمامْ   في طالع الفتح القريب الغريب
خدورها قامت مقام الغمام   فلا أُشتكى من بعدها بالمغيب

دور

يا حبّذا مغناكَ فخر القصور   بروجُهُ طالت بروج السما
ما مثله في سالفات العصور   ولا الذي شاد ابن ماء السما[4]
كم فيهِ من مِردى بهيجٍ وقور   في مرتقى الجوِّ به قد سما[5]
خليفة الله ونعمَ الامام   اتحفك الدهر بصنعٍ عجيبْ
يهنيك شملٌ قد غدا في التئام   ممهّدٍ في ظل عيش خصيبْ

دور

ما اجمل الايامَ عصرَ الشبابْ   واجملُ الاجملِ يوم اللِّقا
يا درّةَ القصر وشمسَ القبابْ   وهازمَ الاحزاب في الملتقى

---

(١) البرود الشنيب اي العذب الطيب . والكمام غطاء الزهر   (٢) النَّور الزهر
(٣) اي اصبح النهر كوشاح له   (٤) ابن ماء السماء اي المنذر ملك الحيرة
(٥) المردى الشجاع القادر . اي كم من بطل ذي بهجة وذي وقار قد نال به العلى . ولعل الصواب مرقى اي مصعد لا مردى كما هي الرواية

بشّرك الله بحسن المآبْ   متّعـك الله بطول البقا
ولا يزالُ القصر قصرُ السلام   يختال في بُرد الشباب القشيب
يتلو عليك الدهرُ في كل عام   نصرٌ من الله وفتح قريب

. . . . .

اما الزّجل فقد قال فيهِ ابن خلدون « انه لما شاع فنّ التوشيح في اهل الاندلس واخذ به الجمهور لسلاستهِ نسجت العامة من اهل الامصار على منواله من غير ان يلتزموا إعرابًا ، واستحدثوا فنًا سمُّوه بالزجل فجاءُوا به بالغرائب ، واتّسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستقبحة » . فهو من نوع الشعر العامي المعروف في مصر وسوريا وسائر الاقطار وسيأتي ذكره بعد

شعراؤهم :

ظهر في الاندلس عدد كبير من الشعراء يضيق المقام دون ذكرهم جميعًا ولذلك رأينا ان نجتزئ ببضعة من كبارهم (غير من ذكرنا من الوشّاحين) ممن يمثّلون الآداب الاندلسية وهم :

ابن هانئ :

تُوفّي ٣٦٢ ه (٩٧٢ م) . وهو من اشهر شعراء الاندلس ، شديد النفَس كثير الغلوّ في المدح ، مفرط في التشابيه والاستعارات . قال ابن خلّكان وليس بين شعراء المغرب من هو في طبقته لا من متقدّميهم ولا من متأخّريهم وهو عندهم كالمتنبئ عند المشارقة[1]

وكان كثير الانهماك بالملذّات ، متّهمًا بمذهب الفلاسفة فنقم عليه اهل اشبيلية واضطرّوهُ الى الرحيل عنها ، فاجتاز الى المغرب ومدح امراءَهُ ثم

(١) وفيات الاعيان ج ٢ — ٤

وفد على الخليفة الفاطمي المعزّ لدين الله فجعله شاعر دولته · وله فيه مدائح كثيرة تجاوز في بعضها المدى الى حدِّ قوله

ما شئتَ لا ماشاءت الاقدارُ　　فاحكم فانت الواحدُ القهارُ

ومن شعره يمدح يحيى بن غلبون

وكم جحفلٍ مَجْرٍ قرعتَ صفاته　　بصاعقةٍ ترفضُّ منها الجماجم (١)
أتتكَ بها الآساد تحت زئيرها　　فطارت بها عن جانبيك القشاعم (٢)
اتوكَ فما خرّوا الى الارض سجَّداً　　ولكنَّما كانت تخرُّ الجماجمُ
ولو حاربتكَ الشمسُ دون لقائهم　　لاعجلها جندٌ من الله هازمُ
سبقتَ المنايا واقعاً بنفوسهم　　كما وقعت قبل الخوافي القوادمُ (٣)
تقودُ الكماةَ المعلمين الى الوغى　　لهم فوق اصوات الحديد هَماهمُ (٤)
غزَوا في الدروع السَّابغات كانما　　تُديرُ عيوناً فوقهنَّ الاراقمُ (٥)
فليسَ لهم إلا الدماءَ مشاربٌ　　وليس لهم إلا النفوس مطاعمُ
يودُّون لو صيغت لهم من حفاظهم　　وإقدامهم تلك السيوف الصوارمُ
ولو طَعنتْ قبل الرماح قلوبهم　　ولو سبقت قبل الاكفِّ المعاصمُ

وقال من قصيدة في المعزِّ الفاطمي لما فتح قائده جوهر مصر

تقولُ بنو العباس هل فتحت مصرُ　　فقل لبني العبَّاس قد قُضي الامرُ
وقد جاوز الاسكندريةَ جوهرٌ　　تطالعهُ البشرى ويقدمهُ النصرُ
أفي الشمس شكٌّ انّها الشمسُ بعدما　　تجلّت عياناً ليس من دونها سترُ
وما هي الا آيةٌ بعد آيةٍ　　ونذرٌ لكم ان كان يغنيكم النذرُ

(١) الجحفل المجر الجيش العظيم الكثيف . ترفضّ اي تتفرّق . صفاة اي صخرة
(٢) القشاعم النسور الكبيرة　(٣) القوادم عشر ريشات كبيرة في مقدم الجناح . والخوافي ريشات صغيرة واقعة تحت القوادم　(٤) كماة ابطال . المعلم الذي له علامة الشجاع　(٥) الاراقم اي الافاعي والعرب تشبه زرد الدروع بعيون الاراقم

فان تتبعوه فهو مولاكم الذي   له برسول الله دونكم الفخرُ
وما ضرّ مصراً حين القت قيادها   اليهِ أمدّ النيلُ ام غالهُ جزرُ

ابن سهل :

توفي ٦٤٩ هـ (١٢٥٢م) وهو شاعر اشبيلية وكان رقيق النظم لطيف الاسلوب على انه كان كثير التدلّه في شعره الغزلي · قيل مات غرقاً وهو في الاربعين · وله موشحات واشعار كثيرة منها الموشح المشهور الذي مطلعهُ

هل درى ظبي الحمى أنْ قد حمى   قلبَ صبٍّ حلّهُ عن مَكنسِ
فهو في نارٍ وخفقٍ مثلما   لعبت ريح الصبا بالقبس

وعلى منواله نسج ابن الخطيب موشحه الآنف الذكر[1]. ومن رقيق شعره وهو مما يغنّى به

سل في الظلامَ اخاكَ البدر عن سَهَري
تدري النجوم كما تدري الورى خبري
أَبيت اهتِفُ بالشكوى واشرب من
دمعي وأَنشق ريّاً ذكركِ العطرِ[2]
حتى يُخيّل اني شاربٌ ثملٌ   بين الرياض وبين الكأس والوترِ
مَنْ لي به اختلفت فيه الملاحة اذ   اومت الى غيرهِ إيماءَ مختصرِ[3]
معطّلٌ فالحلى منهُ محلاَّةٌ   تَغنى الدراري عن التقليد بالدُّررِ[4]
بخدِّهِ لفؤادي نسبةٌ عجباً   كلاهما ابداً يدمى من النظرِ[5]

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٥٤٤   (٢) ريا اي رائحة طيبة   (٣) من لي بهذا الجميل الذي كثرت معاني الجمال فيه في حين ان غيره لم ينل منه الا شيئاً يسيراً جداً
(٤) معطل اي متجرد من الحلى . يريد بذلك ان حبيبه خال من الحلي فهو كالنجوم التي تستغني عن التزين بالدرر   (٥) اي ان بين خده وقلبي علاقة اذ كلاهما يحمر من النظر ، فخده من الخجل وقلبي من دماء الجراح فيه

وخالهُ نقطةٌ من غنج مقلتهِ | اتى بها الحسنُ من آياته الكُبرَ
جاءت من العين نحو الخدّ زائرةً | وراقها الوِردُ فاستغنت عن الصَدَرِ (١)

ابن زيدون :

توفي ٤٦٣ ﻫ (١٠٧١م) . وهو الملقَّب ببحتريّ المغرب لحسن ديباجتهِ ووضوح معانيهِ . احب ولاَّدة ابنة الخليفة المستكفي واحبته ولهُ فيها قصائد غُرر . وولاَّدة هذه ممن عُرِفنَ بالشعر والادب ، وكانت بعد موت ابيها تعقد مجالس للبحث والنقد يحضرها نخبة الشعراء والادباء

على ان حبهُ لم يكسبه غير العناء والشقاء ، فقد سجن من اجل ذلك ، ثم اضطرَّ الى هجر قرطبة والالتحاق بالمعتضد صاحب اشبيلية ، فكان عنده كوزير . ولما طال به الامر وقد يئس من لقياها ، بعث اليها بقصيدة يستديم عهدها ويؤكد ودّها ، وهي قصيدة رشيقة قال فيها

اضحى التَّنائي بديلاً من تدانينا | وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بِنتم وبِنَّا فما ابتلَّت جوانحنا (٢) | شوقاً اليكم ولا جفَّت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا | يقضي علينا الاسى لولا تأسّينا
حالت لبينكمُ ايامنا فغدت | سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
اذ جانبُ العيش طلقٌ من تألُّفنا | ومورد اللهو صافٍ من تصافينا
واذ هصرنا غصون الانس دانيةً | قطوفُها فجنينا منها ما شينا (٣)
ليسقِ عهدَكمُ عهدُ السرور فما | كنتم لارواحنا الا رياحينا

---

(١) راقها الورود الى الخد فاستغنت عن الرجوع (٢) ابتلت جوانحنا اي شفيت صدورنا (٣) واذ هزنا غصون الانس واملناها الينا لنجني ثمارها

ان الزمان الذي ما زال يضحكنا   أُنساً بقربكمُ قد عاد يبكينا
غِيظَ العدى من تساقينا الهوى فدعوا   بان نغصّ فقال الدهر آمينا
وقد نكون ولا يُخشى تفرّقنا   فاليومَ نحن ولا يُرجى تلاقينا
لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم   رأياً ولم نتقلّد غيرهُ دينا
لا تحسبوا نأيكم عنّا يغيّرنا   ان طالَ ، ما غيّرَ النأيُ المحبينا
والله ما طلبتْ اهواؤُنا بدلاً   منكم ولا انصرفت عنكم امانينا
فيا نسيمَ الصبا بلّغْ تحيّتنا   من لو على البعد حيّ كان يحيينا

. . . . .

يا روضةً طالما اجنت لواحظنا   ورداً جلاه الصِّبا غضاً ونسرينا
لسنا نسمّيكِ اجلالاً وتكرمةً   وقدرُكِ المعتلى عن ذاك يغنينا
يا جنّةَ الخلد أُبدلنا بسلسلها   والكوثرِ العذب زُقّوماً وغسلينا[1]
كأننا لم نبتْ والوصلُ ثالثنا   والسعدُ قد غضّ من اجفان واشينا
دومي على العهد ما دمنا محافظةً   فالحرُّ من دان انصافاً كما دينا
ان كان قد عزّ في الدنيا اللقاء ففي   مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا
عليكِ مني سلام الله ما بقيت   صبابةٌ منكِ نُخفيها فتخفينا

. . . .

---

(١) السلسل الماء العذب – الكوثر نهر في الجنة – زقوم ثمر مر الطعم – الغسلين الماء الخارج من جلود اهل النار ومن لحومهم

ومن شعراء الاندلس المشهورين ابن خفاجة شاعر شرق الاندلس وهو من المولعين بوصف الطبيعة وله في ذلك اقوال غاية في الجودة

ومنهم ابن عبدون وله قصيدة مشهورة في رثاء بني الافطس وذهاب دولتهم ومطلعها : —

الدهر يفجع بعد العين بالاثر ... وما البكاء على الاشباح والصُّوَر

ويسوق الكلام في ذلك واصفاً الليالي وتصرفاتها وكيف هوت بكبار الدول وعظماء الرجال الى ان يقول في اواخرها

مَن للجلال الذي غضّت مهابتهُ ... قلوبنا وعيونَ الانجم الزُّهُرِ
اين الإباء الذي ارسَوا قواعدهُ ... على دعائمَ من عزٍّ ومن ظفَرِ
اين الوفاء الذي اصفوا شرائعه ... فلم يرد احدٌ منهم على كدرِ
على الفضائل ، الاّ الصبر ، بعدهم ... سلامُ مرتقبٍ للاجر منتظرِ
يرجو «عسى» وله في اختها طمع ... والدهر ذو عقبٍ شتّى وذو غِيَرِ

. . . . .

ومنهم ابن عبد ربه ، وابن بقيٍّ ، وابن زهير ، والاعمى الطليطلي ، وابن قُزمان . وهذا الاخير هو الذي عمد الى الزجل فنظم فيه وحاول رفعه الى مرتبة الادب . على ان الاوساط الادبيّة قلما حفلت او اعترفت به كفن من فنون الشعر ، فكان ولا يزال يعدّ من اوضاع العامة . والذي يراجع الازجال القديمة والحديثة يرى فيها ما يراه من بدائع الصور المحرّكة للنفوس والتي لولا «عاميتّها» لوضعت في اعلى مراتب البلاغة[١]

---

(١) راجع فن الزجل وعروض البلد في مقدمة ابن خلدون الفصل الاخير

النثر والانشاء :

الدولة الاندلسية معاصرة للخلافة العباسية وقد نشأ فيها جماعة كبيرة من ادباء مترسِّلين ضارعوا معاصريهم من اهل الشرق ، الاَّ ان نسقهم في الكتابة واحد ، فلا بأس من دمجهم مع زملائهم من العصر العباسي.

اما الفلسفة والعلوم فقد زهت جداً في الاندلس فكانت اسبانيا العربية محجَّة الادباء والعلماء والفلاسفة يقصدها الطلبة من اوروبا والمشرق

ولولا خوفنا من الخروج عن غرض هذا الكتاب لافردنا للحركة العلمية بين عرب اسبانيا باباً كبيراً ، ولكن ذلك نتركه للمطوّلات ونجتزىء هنا بذكر بعض الاعلام المشهورين من علمائهم ومنهم —

ابو عبدالله الغرناطي	في تاريخ العلوم
الشريف الادريسي	في الجغرافيا
ابن بَطوطة	في الجغرافيا
ابن رُشد	في الفلسفة والطب
ابو الحسن علي	في الطبيعيات
ابن البيطار	في النبات
ابن زُهر	في الطب
ابن العربي	في التصوّف

وممن نبغ في الاندلس وفي المغرب ابن خلدون المؤرّخ المشهور. ومما يذكر له ان مقدَّمته هي اول كتاب مستقلّ ظهر في فلسفة العمران ، وقد نقله الافرنج فيما نقلوه وكان رائدَ الكتب التي ظهرت بعد ذلك في هذا الباب

الخلافة العباسية

في بغداد

١٣٢ هـ الى ٦٥٦ هـ (٧٥٠م الى ١٢٥٨ م)

عصر الزهو السياسي

لما سقط الامويون في الشام انتقلت الخلافة الى بني العباس ، وهم عائلة شريفة يرجع نسبها الى العبَّاس عم الرسول · ونظراً لاعتماد العباسيين الموالي في خلافتهم كان لهؤلاء نفوذ كبير في البلاط العباسي ، وما زال هذا النفوذ يزداد حتى استفحل جداً بعد عصر المتوكِّل · فاصبح الخلفاء آلات في ايدي المتنفِّذين من العجم والاتراك ، وكان ذلك سبباً من اسباب انحلال الخلافة العباسية

على ان القرن العباسي الاول كان عصر تقدُّم في العمران ، وملوكه الأُول من اشهر الخلفاء واقدرهم · واليك ترجمة بعضهم

ابو العباس السفاح

١٣٢هـ — ١٣٦هـ (٧٥٠م — ٧٥٤م)

هو مؤسّس الدولة العباسية وكان سديد الرأي صادق العزم لكنهُ كان سفَّاكاً شديد البطش شأنَ اكثر مؤسسي الدول ، فقد اباد بني أُميَّة بحد السيف ، لم ينجُ منهم غير عبد الرحمن الذي أَسَّس الدولة الاموية في الاندلس · والسفَّاح اول من اتخذ الوزراء في الاسلام

ابو جعفر المنصور

١٣٦هـ — ١٥٨ هـ (٧٥٤م — ٧٧٦م)

وهو باني بغداد وناقل كرسي الخلافة اليها · وكان مهيباً شديد البطش محباً للعلوم والفلسفة[١] ، وفي ايامه بدأت النهضة الادبية الكبرى · ولما حجّ اوصى ابنهُ قال — « اوصيك بأهل بيتك ان تُظهر كرامتهم فانّ عزَّك عزُّهم وما اظنُّك تفعل · وانظرْ مواليك وأحسن اليهم واستكثر منهم فانهم مادّتك لشدةٍ ان نزلت بك ، وما اظنك تفعل · واياك ان تُدخل النساء في امرك ، وأظنّك ستفعل · هذه وصيتي اليك والله خليفتي عليك[٢] » ·

وكان بلاطهُ فخماً ولما مات ترك وراءهُ ثروة واسعة قدّرها بعضهم بمئة وخمسين مليون ريال ، وكان بعيداً عن اللهو والشرب

المهدي بن المنصور

١٥٨هـ — ١٦٩هـ (٧٧٦م — ٧٨٦م)

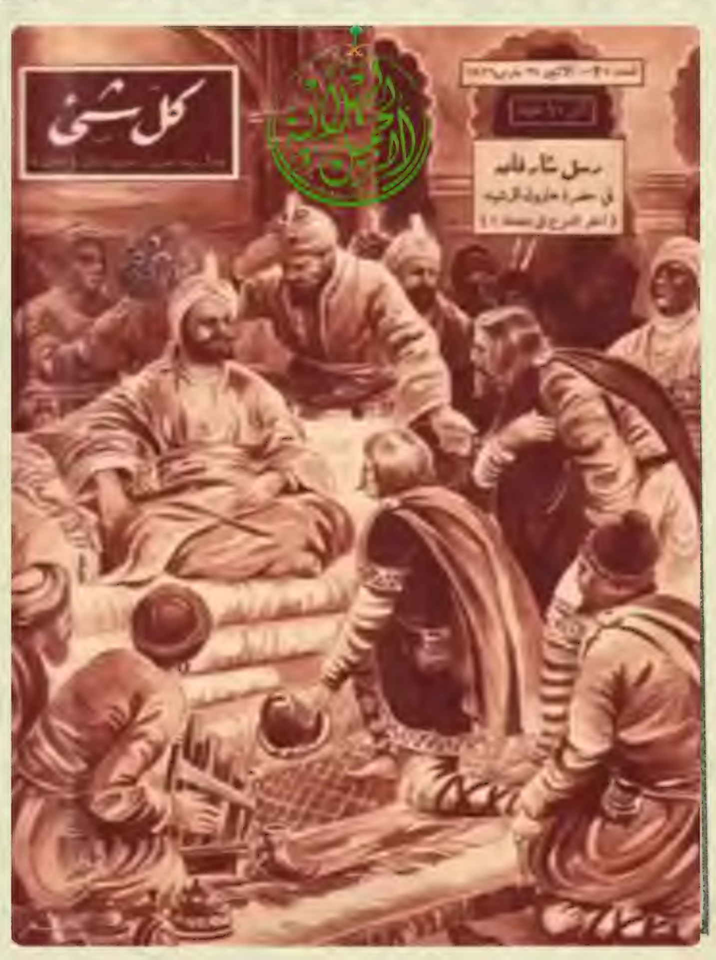
في ايامهِ شبّت بعض الثورات الداخلية اعظمها ثورة المقنَّع ، وهو رجل ادّعى النبوءة وكان يقتنع فسمّي المقنَّع · لكن المهدي تمكّن من اخماد تلك الثورات وحاصر المقنَّع حتى حملهُ على الانتحار ، ويقال ان المقنع قتل جميع نسائه قبل ان ينتحر · وسيَّر المهدي جيشاً الى القسطنطينية وعلى عرش الروم يومئذٍ ايريني امرأة الملك لاوُن ، فخافت وطلبت الصلح على ان تدفع له فدية سنوية فرجع عنها · وفي السنة ٧٨٦ م مات المهدي مسموماً بيد جارية من جواريه · وكان كأبيه الاّ في جمع الاموال

(١) ابن العبري ٢٣٥   (٢) ابن العبري ٢١٢

الهادي بن المهدي

١٦٩هـ — ١٧٠هـ (٧٨٦م — ٧٨٧م)

ملك سنتين وتتبَّع الزنادقة (وهم الفرس الذين كانوا يتظاهرون بالاسلام ويضمرون المجوسيَّة او الكفر) فقتل منهم جماعة وتوفّي وهو في السادسة والعشرين. ويقال ان والدته نقمت عليه لغرض في نفسها ومهَّدت السبيل لموته



هرون الرشيد
ورسل شارلمان في حضرته

هرون الرشيد

١٧٠ ﻫ الى ١٩٣ ﻫ (٧٨٧م الى ٨١٠ م)

وهو اشهر الخلفاء واكثرهم ذكراً في القصص والنوادر ولا سيما في قصص الف ليلة وليلة · وكان ميالاً الى العلوم فناصر رجالها واشتهر في ايامه وزراؤه البرامكة ، وهم من العجم وأشهرهم يحيى وجعفر والربيع · وكان الرشيد يكرمهم في بدء الامر ويثق بهم ثقة كبرى ، ثم نقم عليهم فقتلهم وأباد آل برمك · وكانوا من اشهر الناس في السخاء وحسن الادارة ، وقد شقَّ موتهم على جميع من عرف اخلاقهم ومزاياهم ، فندبهم الشعراء ولا يزال الناس الى الآن يضربون الامثال بكرمهم وفضلهم

وفي ايام الرشيد اتّسعت التجارة وكثرت الاموال وزهت العلوم والمعارف · ولا ريب ان الخلافة الاسلامية وصلت في ايامه الى اوج مجدها · فعصر الرشيد هو العصر الذهبي في تاريخ العرب والاسلام

ولما مات اوصى بالامر بعده لولديه الامين ، والمأمون لكن الامين غُلب على امره واستقرَّت الخلافة لاخيه ، وكان اهل خراسان قد بايعوه بعد موت الرشيد رأساً[(١)]

المأمون

١٩٦ — ٢١٨ (٨١٣ م — ٨٣٤ م)

هو فيلسوف الخلفاء وعالمهم وكان كثير الميل الى مناصرة العلم والعلماء ، فوصل العلم في ايامه الى ابعد غاية · ومن مآثره انه استجاد مهرة التراجمة وكلّفهم ترجمة الكتب الفلسفية والعلمية ، فتُرجمت له من اليونانية على غاية ما امكن[(٢)] ، ثم «حرّض الناس على قراءتها ورغّبهم في تعليمها وبنى المرصد

(١) المسعودي ٢—٢٢٤ (٢) ابن العبري ٢٣٦

ووضع فيه الآلات ، وكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويلتذُّ بمذاكرتهم » فنبغ منهم في ايامه الفلكيّون والرياضيّون والفلاسفة وغيرهم . وكان المأمون يقول بخلق القرآن ويجادل العلماء [1] ، وله في الفلسفة اراءٌ حسنة . وفي ايامه فتحت كريت وصقلِيّة (سيسيليا) وجنوبي ايطاليا ، وكان بلاطهُ كبلاط ابيهِ في غاية الأُبَّهة والفخامة

المعتصم بن الرشيد

٢١٨ — ٢٢٧ (٨٣٤ م — ٨٤٣ م)

كان شديد البأس عظيم القوّة موفّقاً في حروبه ، وكان يقول في القرآن قول المأمون ويجلد من لا يقول ذلك ، حتى انهُ لم يختش ان يجلد الامام احمد بن حنبل ويزجّهُ في السجن [2] . ومن اعمالهِ انه حارب الروم وفتح عمورية ، وهو الفتح الذي انشد فيه ابو تمام قصيدته المشهورة « السيف اصدق انباءً من الكتب » . وبنى بقرب بغداد مدينة سامرّا (او سُرَّ من رأى) واسكن فيها الفتيان الاتراك الذين انشأ منهم جيشاً خاصاً لهُ . ولهؤلاء الاتراك دور كبير في تاريخ هذه الدولة كما سيجيء

الواثق بن المعتصم

٢٢٧ — ٢٣٢ (٨٤٣ م — ٨٤٨ م)

في ايامه غزا المسلمون صقلِيّة ايضاً وفتحوا مدينة مسينا [3] . وكان محباً للنظر في العلم مكرماً لاهله مبغضاً للتقليد ، ميالاً الى الإشراف على علوم الناس وآرائهم ممن تقدَّم وتأخّر من الفلاسفة والمتطبّبين [4] ، ومذهبه في اكثر اموره مذهب عمّهِ المأمون

---

(١) السيوطي . تاريخ الخلفاء ١٢٣ اليعقوبي ٢ — ٥٧١

(٢) تاريخ الخلفاء ١٣٣ (٣) ابن العبري ٢٤٤ (٤) مروج الذهب ٢—٢٥٨

المتوكل بن المعتصم

٢٣٢ — ٢٤٧ (٨٤٨ م — ٨٦٢ م)

ذكر بعضهم انه حدثت في ايامهِ زلازل شديدة في الشام وخراسان واليمن. ولما وُلي الامر أَمر بهدم قبر الحسين بن علي بن ابي طالب ، وان يُبذر ويسقى موضعهُ ويمنع الناس من اتيانهِ [١]. ومما يذكر له انهُ اخرج احمد بن حنبل من السجن ووصلهُ ، وأمر بترك الجدل في القرآن ، وانّ الذمّة بريئة ممن يقول بخلق او بغير خلق.

وفي ايامه غزا الروم مصر ، وثار الارمن فاخضعهم. وكان مولعاً بالبناء ، بنى قصوراً انفق عليها اموالاً عظاماً [٢]. وقد مات قتلاً بيد باغر التركي ، فهو اول خليفة قتلهُ الاتراك. ومن ذلك الحين يبتدىء نفوذهم الفعّال في الدولة ، وتأْخذ الخلافة العباسية بالتقهقر

عصور الضعف والانحلال العباسي

الخلفاء العباسيون الذين تولّوا الخلافة في بغداد سبعة وثلاثون خليفة. وقد ذكرنا اشهرهم وهم العشرة الاول الذين كان عصرهم عصر الخلافة الذهبي. اما الباقون فكانوا في الغالب آلات بايدي جندهم او الامراء المتنفّذين في دولتهم ، وقد مرّ عليهم ثلاثة ادوار سياسية

الدور العسكري :

وفيه كان النفوذ الاكبر لامراء الجند التركي الذي كان المعتصم قد انشأهُ وجعلهُ حرساً للخليفة ، فاصبحوا لضعف الخلفاء الآمرين الناهين واصبح الخلفاء آلات يتلاعبون بهم كما يشاءُون. وقد امتدّ هذا الدور الى ظهور بني بويه واستيلائهم على بغداد وذلك سنة ٣٢٠ هـ (١٠٥٧ م)

---

(١) تاريخ الخلفاء ١٣٩ وابن العبري ٢٤٧ (٢) اليعقوبي ٦٠٠

الدور الفارسي (البويهي)

وفيه كان النفوذ لبني بويه امراء فارس ، ويمتد الى استيلاء الاتراك السلاجقة على بغداد في السنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م)

الدور السلجوقي :

ظهر السلاجقة في تركستان ثم اكتسحوا الاقاليم الشرقية واستولوا على بغداد . وفي إبَّان مجدهم كانت سيادتهم على كل البلاد الشرقية (ما عدا مصر) من الاناضول الى الهند . وظلوا اصحاب النفوذ في الخلافة العباسية حتى كانت غارات المغول واستيلاؤهم على بغداد ، وقتلُهم المستعصم آخر الخلفاء العباسيين ، وذلك في السنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨ م)

وكان من نتائج ضعف الخلافة في بغداد تجزّؤ الدولة وانحلالها الى امارات مستقلة لا تعترف للخليفة الاّ بالسيادة الدينية . وقد كان لبعض امرائها يدٌ تذكر في خدمة الآداب العربية والعطف على اربابها . ومن هذه الامارات او الدول

السامانية :

وهي فارسية وفي ظلها نشأ ابن سينا

الحمدانية :

في حلب وما بين النهرين وهي عربية ، واشهر امرائها سيف الدولة ممدوح المتنبي الذي كان بلاطه محجّة الشعراء والعلماء

البويهية :

وهي فارسية وقد مرّ معنا خبر استيلائها على بغداد . واول من ظهر امره

منهم عماد الدولة في خلافة الراضي ، وقد سأل الراضي ان يُقطعه اعمال فارس فيحمل الى دار الخلافة ثمانمئة الف الف درهم ، فاقطعه . ولكن لم يدفع [١] .
ومن مشاهيرهم عضُد الدولة الذي قصده المتنبيء ومدحه ، ولعلّه اعظمهم



تاريخ التمدن الاسلامي

الايوبية :

اشتهر منها السلطان صلاح الدين ، والمؤرخ ابو الفدا . وهي كردية الاصل لكن امراءها تعرّبوا وناصروا اللغة العربية وادابها . وكان حول صلاح الدين حلقة من الادباء لا تقلّ عن حلقة سيف الدولة في حلب .

. . . . .

---

(١) الفخري ٢٥٢

الخلافة الفاطمية

٢٩٥هـ - ٥٦٢هـ (٩٠٩م - ١١٧١م)

وهي من اهمّ الدول التي نشأت في العصر العباسي وملوكها اكبر اعداء العباسيين ، فقد زاحموهم على السيادة وعلى الخلافة

وهم ينتسبون الى السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي وزوجة الامام علي بن ابي طالب

اما مؤسّس هذه الخلافة فرجل اسمه ابو محمد عُبيد الله ، كان في الشام في ايام الخليفة المكتفي ينادي في الناس ان الحق في الخلافة لنسل علي من فاطمة ، وكان يدّعي ذلك النسب الشريف(١) . فلما طلبهُ الخليفة هرب الى الحجاز ، ثم جاء الى مصر فالمغرب . واخذ يبثّ دعوته هناك ، فاستمال اليهِ اهل المغرب حتى بايعوهُ اميراً عليهم ، فلقّب نفسهُ بالمهديّ ِ وعظم امره جداً

وعدد خلفاء هذه الدولة اربعة عشر ، اشهرهم المُعزّ لدين الله وهو الخليفة الرابع : ملك سنة ٣٤٣هـ (٩٥٥م) وكان من اعظم الملوك . وفي ايامه انتقلت الخلافة الفاطمية من القيروان الى مصر . وكان على جيشه قائده المشهور جوهر ، وهو الذي فتح مصر واختطّ مدينة القاهرة فانتقل الخليفة اليها ، ووضع اساس الجامع الازهر الذي اصبح بعدئذٍ مركز العلوم الاسلامية

وما زالت الخلافة في الفاطميين حتى تولاها آخرهم العاضد . وفي ايامهِ كانت مصر حزبين كبيرين ، فاستنجد احدهما نور الدين الكردي امير الشام

---

(١) هذا ما رأينا عليه بضعة من المؤرخين على ان ابن خلدون قد دحض ذلك في مقدمته١٩ وذهب الى انهم صريحو النسب صادقو الدعوة ، وكذلك ابن الاثير وابن الطقطقي

فارسل قوّة الى مصر واخضعها · ثم غزا الصليبيون مصر وطردوا جيش نور الدين منها · ولكن جيش نور الدين عاد فتغلّب على مصر بقيادة اسد الدين شيركوه الذي حكمها كوزير للعاضد الفاطمي ونائب عن امير الشام · وكان قد صحبه ابن اخيه صلاح الدين ، فلما تُوفّي شيركوه استوزره العاضد فلم يلبث ان استبدّ بالامر ، ثم امر بخلع الخليفة الفاطمي وبالخطبة لبني العباس

وبصلاح الدين تبتدىء الدولة الايوبية · ولهذا الملك ولاخيه العادل وقائع مشهورة مع الصليبيين ، ولا سيما مع ملك الانكليز ريتشرد الملقب بقلب الاسد



الكتابة والانشاء

في العصر العباسي

كان الانشاء في الجاهلية وصدر الاسلام محصوراً في بعض الخطب والعظات وبعض المراسلات . فلما جاء العصر الاموي كان العرب قد فتحوا كثيراً من الفتوح ، فنشأ في الدولة ، فضلاً عن الخطب ، فن الرسائل لاحتياج الخلفاء والامراء اليه . وكانت الرسائل غالباً مختصرة مفيدة . اما في العصر العباسي فان نموّ الحضارة والسلطان أثَّر في الانشاء تأثيراً ظاهراً فزادهُ تأنُّقاً . وبنقل العلوم اليونانية وغيرها الى اللغة العربية اتَّسعت لغة الكتابة ودخل فيها كثير من الالفاظ الجديدة[1] .

واذا القينا نظرة على الاسلوب الكتابي في الصدر الاول من العصر العباسي رأينا العبارات فيه اميل الى التوازن مع عدم التقيّد بالسجع

وكان عبدالله بن المقفَّع إمام الكتابة في صدر هذا العصر واسلوبهُ كما يظهر في كتاب كليلة ودمنة اسلوب مرسل متين وهو يعدُّ عند الكثيرين مثال الكتابة البليغة . ومما يذكر ان ابن المقفَّع فارسيّ الاصل نشأ في البصرة في ايام المنصور العباسي فبرع باللغة العربية وآدابها وكان عريقاً بالفارسية عارفاً بآدابها فسهل عليهِ ذلك نقل ما نقلهُ الى العربية

وهاك مثالاً من انشائه :

« ما الإخوانُ ولا الأعوانُ ولا الاصدقاء إلاَّ بالمال . ووجدتُ مَنْ لا مالَ لهُ ، إذا اراد أمراً قعدَ بهِ العُدْمُ[2] عما يُريدهُ ، كالماء الذي يبقى

---

(١) راجع كتاب شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل للخفاجي ، وكتاب تاريخ اللغة العربية لزيدان (٢) العدم الفقر

في الاوديةِ من مطرِ الشتاء ، لا يمرُّ الى نهرٍ ولا يجري الى مكان الى ان يفسد وينشفَ ولا يُنتفعَ بهِ

ووجدتُ الفقرَ رأسَ كلِّ بلاء ، وجالباً الى صاحبهِ كلَّ مقت ، ومعدِنَ النميمةِ . ووجدت الرجلَ اذا افتقر اتّهمهُ من كان له موءتمناً ، واساءَ بهِ الظنَّ من كان يظنُّ بهِ حسناً . فالموتُ اهون من الحاجةِ التي تُحوِجُ صاحبها الى المسألة ، ولا سيما مسألةِ الاشحَّاء واللئام . فإنَّ الكريمَ ، لو كُلِّفَ ان يُدخلَ يده في فم الافعى فيُخرجَ منه سمًّا فيبتلعهُ ، كان اهونَ عليهِ واحبَّ اليهِ من مسألةِ البخيلِ اللئيمِ »

ومن طبقتهِ في الانشاء الجاحظ صاحب الموءلفات المشهورة [1] . ويظهر في اسلوبهِ الترسّلي حرصه على اتزان الجمل ، فعباراته عادة قطع صغيرة على نسق السجع ولكن بدون قافية ، كقوله :

الكتابُ نعمْ الذُّخرُ والعُقدَة ، والجليس والعُمدة ، ونعمَ المشتغلُ والحرفةَ ، ونعم الانيسُ ساعة الوحدة . والكتاب وِعاء مُلِئَ علماً ، وظرفٌ حُشي ظرفاً ، واناءٌ شحنَ مزاحاً . إن شئتَ كان اعيى من باقل ، وإن شئتَ كان ابلغَ من سَحبْان وائل ، وان شئتَ سرَّتك نوادِرُه ، وشجتكَ مواعظهُ . ومن لك بواعظٍ مُلْهٍ ، وبناسكٍ فاتك ، وناطقٍ اخرَس ؟ ومن لكَ بشيءٍ يجمعُ الاولِ والآخرِ ، والناقص والوافِرِ ، والشاهدَ والغائبِ ، والرفيع والوضيع ، والغثَّ والسمين ؟

وبعدُ فما رأيتُ بستاناً يُحمَلُ في رُدْن ، وروضةً تُنقْلُ في حجرْ ، ينطقُ عن الموتى ويترجمُ عن الاحياء . ومنْ لكَ بموءنسٍ لا ينام إلا

---

(١) راجع وصف اسلوبه وموءلفاته في «تطور الاساليب النثرية» للموءلف ، وفي كتاب ادب الجاحظ للسندوبي ، والجاحظ لخليل مردم

بنومك ولا ينطق الا بما تهوى ، آمَنَ مِنَ الارض، وا كتمَ للسرِّ من صاحب السر ، واحفظَ للوديعة من صاحب الوديعة »

. . . .

ومن مشاهير الكتاب ابن العميد والصاحب بن عبّاد والصابي والثعالبي والتوحيدي والقاضي الفاضل وعماد الدين الاصبهاني ، ومصنّفاتهم معروفة . ومنهم اصحاب المقامات كبديع الزمان الهمذاني ، والحريري ، واضرابهما

والمقامات عادةً قصص او حكايات قصيرة مسجّعة ، وليست في الحقيقة الا خزانة الفاظ وعبارات لغوية ومصطلحات ادبية . وقد فشا السجع في اواخر الدولة العباسية ، و كثر القائمون بهِ حتى اصبحت الكتابة ثقيلة ، واصبح التأنّق في البديع والتسجيع هو الغاية من الرسائل والانشاء

على ان لغة التصنيف عموماً (اي لغة الكتب) لم تتقيّد هذا التقيُّد ، فقد نشأَ جملة من كبار المصنِّفين ممن اعتمدوا النثر المرسل الخالي من التكلُّف والتعقيد ، فوضعوا الكتب الانتقادية والتاريخية والعلمية ، وعملوا على احياء الانشاء بما توخَّوه من السهولة والرشاقة ، ولو راجعت مصنّفاتهم لما وجدتها تختلف في اسلوبها المطلق عن اساليب التصنيف في عصرنا الحاضر

الشعر في العصر العباسي

عرف هذا العصر بعصر النهضة العلمية ، ففيه كثر احتكاك العرب بسواهم من الامم، وفيه اصبحت اللغة العربية لغة الادب والسياسة في اكثر العالم الاسلامي ، فتعرَّب كثير من غير العرب ، وادخلوا الى الاداب العربية افكاراً جديدة ، فلا جرم اذا لبس الشعر فيه حللاً قشيبة

ومما لا ريب فيه ان اعاظم شعراء العرب ومفكّريهم نبغوا في هذا العصر، وقد كانوا في الغالب ابعد غاية واوسع نظراً في الحياة واسباب الحضارة من الشعراء الذين سبقوهم . واذا كان الشعر الجاهلي شعر الحياة البدوية وما تمثّل من اخلاق وسجايا ووقائع ، وكان الشعر الاموي شعر المنافسات العصبية والغرّات الغزلية ، فان الشعر العباسي شعر التأنق العمراني ، وفي بعض مناحيه مظهر التقدُّم الفكري .

على ان الشعر يتبع غالباً عَظَمة الامة ومجدها ، لذلك نرى الحياة الشعرية تميل الى السكون بعد القرن الرابع الهجري (العاشر للميلاد) ، فيقلُّ النوابغ رويداً رويداً ، حتى تتلاشى الخلافة في بغداد ويجتاح المغول المشرق فينحصر الشعر العربي في مراكز خاصة ، ثم يتولاّه خمول عام في العصر العثماني الى ان يهبَّ هبّته الجديدة

نخبة الشعراء في العصر العباسي

نشأ في هذا العصر طائفة كبيرة من الشعراء نثبت هنا بضعة منهم مع امثلة من اقوالهم : —[1]

ابو العتاهية

١٣٠ ه الى ٢١١ ه (٧٤٨ م الى ٨٢٧ م)

نشأ هذا الشاعر في الكوفة . قيل كان في صغرهِ يبيع الجرار ، ولكنهُ كان ميالاً الى الادب مطبوعاً على الشعر ، فعكف على النظم حتى اصبح من المقدّمين فيهِ ونال الجوائز الوافرة . وفي اول امرهِ شغف بحبّ جارية

---

(١) للتوسع في دراستهم ونقد شعرهم راجع كتاب امراء الشعر العربي في العصر العباسي للمؤلف

للمهدي اسمها عُتبة فنظم فيها كثيراً من قصائد الغزل ، ثم تحوّل عن ذلك في شعرهِ الى الزهد والارشاد ، ولهُ في هذا الباب مواقف شهيرة . وكثير من شعرهِ في الوجود والحياة الحاضرة ينمّ على يأسهِ وتشاؤمهِ . من اقوالهِ المشهورة قصيدتهُ البائية التي يقول فيها .

لِدُوا للموت وابنو للخرابِ ... فكلّكمُ يصيرُ الى تبابِ [1]

لمن نبني ونحنُ الى ترابٍ ... نصيرُ كما خُلقنا من ترابِ

أَلا يا موتُ لم ارَ منكَ بدًّا ... أتيتَ وما تَحيفُ [2] وما تحابي

كأنكَ قد هجمتَ على مشيبي ... كما هجمَ المشيبُ على الشبابِ

وإنكَ يا زمان لذُو صرُوف ... وانكَ يا زمانُ لذو انقلابِ

أَراك وان طُليتَ بكل وجهٍ ... كحُلمِ النوم او ظلِّ السحابِ

او الامسِ الذي ولىَّ ذهاباً ... وليسَ يعودُ او لمعِ السراب [3]

وهذا الخَلقُ منكَ على وفاةٍ ... وأَرجلهم جميعاً في الرِّكابِ

ومهما دمتُ في الدنيا حريصاً ... فاني لا أُوَفَّقُ للصوابِ

سأُسأل عن امورٍ كنتُ فيها ... فما عذري هناك وما جوابي

هما امرانِ يوضح عنهما لي ... كتابي حين انظرُ في كتابي

فإمَّا ان أُخلَّدَ في نعيمٍ ... وإمَّا ان أُخلَّدَ في عذابِ

---

(١) تباب . هلاك (٢) تحيف . تظلم

(٣) السراب ما يرى عن بعد كانه ماء وهو ليس بماء

ابو نواس

حوالى ١٤٥ هـ – ١٩٩ هـ (٧٦٣ م – ٨١٤ م)

واسمهُ الحسن بن هانىء · شاعر كبير المنزلة في الشعر ، لكنه اسرف في الخمر والخلاعة ، وفيهما صرف شاعريته

نشأ ابو نواس بالبصرة ثم رحل منها الى الكوفة وبغداد فاخذ العلم من علماء العصر ، وكان فصيحاً كثير النوادر راوية للاشعار متضلّعاً من العلوم · وهو نديم الامين بن هرون الرشيد والفضل بن الربيع ، وقد اشتهر بين العامة والخاصة بنوادرهِ الهزليّةولا سيما بولعه بالخمر · وله في الخمر والمجون قصائد عديدة كثير منها خارج عن حدود الادب · على ان ديوانهُ جامع لكل ابواب الشعر واهمّها طبعاً الخمريّات · وقد اجمع النقدة على جعلهِ في مقدّمة المُجيدين فيها

اما نظمهُ فطبيعيّ بعيد عن التكلف ، يشفّ عن قريحة وقّادة ومعرفة واسعة · فمن خمرياته قولهُ :

دع عنكَ لومي فانّ اللوم إغراءُ ... وداوني بالتي كانت هي الداءُ

صفراء لا تنزل الاحزانُ ساحتها ... لو مسّها حجرٌ مسّتهُ سرّاءُ[1]

رقّتْ عن الماء حتى ما يلائمها ... لطافةً وجفا عن شكلها الماءُ

فلو مزجتَ بها نوراً لمازجها ... حتى تولّد انوارٌ واضواءُ

دارت على فتيةٍ دار الزمان بهم ... فما يصيبهمُ إلا بما شاءُوا

لتلكَ ابكي ولا ابكي لمنزلةٍ ... كانت تحلُّ بها هندٌ واسماءُ

فقل لمن يدّعي في العلم فلسفةً ... حفظت شيئًا وغابت عنك اشياءُ

لا تحظر العفوَ ان كنتَ امرءاً احرِجاً ... فان حظرَكهُ في الدين ازراءُ[2]

---

(١) اي لو مسها الحجر لشعر بسرور (٢) اي ان منعك للعفو احتقار للدين

ومن لطائفه المجونية

الراح شيءٌ عجيبٌ انت شاربه فاشرب وان حمّلتك الراح اوزارا
يا من يلوم على حمراءَ صافيةٍ صِرْ في الجنان ودعني اسكن النارا

ومن مديحه قوله في الامين بن هرون الرشيد :

يا دارُ ما فَعلتْ بكِ الايامُ ضامتكِ والايام ليسَ تضامُ
عَرِمَ الزمان على الذين عهدتهم بكِ قاطنين وللزمانُ عُرامُ(١)
ولقد نهزت مع الغُواة بدلوِهم وأَسمتُ سرح اللهو حيث اساموا(٢)
وبلغتُ ما بلغَ امرؤٌ بشبابهِ فاذا عصارةُ كلّ ذاكَ إِثامُ
وتجشّمتْ بي هولَ كلَّ تنوفةٍ هوجاءُ فيها جرأَةٌ إِقدامُ(٣)
تذَرُ المطيَّ وراءها فكأَنها صفٌّ تقدمهنَّ وهي إِمامُ(٤)
واذ المطيُّ بنا بلغنَ محمداً فظهورهنَّ على الرجالِ حرامُ
قرّبننا من خيرَ من وطئ الحصى فلها علينا حرمةٌ وذِمامُ
رُفع الحجاب لنا فلاحَ لناظرٍ قمرٌ تقطّعُ دونهُ الاوهامُ
ملكٌ اذا علقتْ يداكَ بحبلهِ لا يعتريكَ البؤس والاعدامُ(٥)
فالبهو مشتملٌ ببدر خلافةٍ لبسَ الشبابَ بنورهِ الاسلامُ
انّ الذي يُرضي الاله بهديهِ ملكٌ تردّى المُلكَ وهو غلامُ
ملكٌ اذا اعتسر الامورُ مضى به رأيٌ يفلُّ السيف وهو حسامُ
داوى به اللهُ القلوبَ من العمى حتى افقنَ وما بهنَّ سقامُ

(١) عرم اشتد . العرام الشدة (٢) نهز بالدلو اي ضرب بها في الماء — اسام سرح اللهو اي ارسله وارعاه (٣) تنوفة اي فلاة واسعة — الهوجاء الناقة السريعة (٤) تذر اي تترك . المطي الخيول (٥) الاعدام الفقر

ابو تمام

حوالى ١٩٠ هـ - ٢٣١ هـ (٨٠٧ م - ٨٤٣ م)

واسمهُ حبيب بن أَوس · وُلد في جاسم بالشام وكان ابوه نصرانياً ، فلما بلغ الشاعر سن الشباب اسلم ثم تركَ بيت والدهِ ورحل الى مصر وصار يخدم في المسجد ، وهناك ظهر ادبهُ · وكان من الذكاء وقوَّة الذاكرة على جانب عظيم فلفت انظار الخاصة اليهِ ·

وقادته مطامعه الى تجشُّم الاسفار فقصد مشاهير اهل زمانه · ثمَّ قرَّبه الخليفة المعتصم ، واخذت شهرته تعلو حتى اصبحت اشعارهُ على أَلسنة الخاصّ والعامّ · وكان مع علوِّ كعبه في الشعر وحسن غوصه على المعاني ، كثير الشغف بالبديع من طباق وجناس ، كثير الاغراق في استعمال الفخم والغريب من الالفاظ ، ولوعاً بكل ما ينظم ، حتى كان قلما يمسّه بتهذيب · وفي ذلك يقول احد العلماء[1] — « الحقُّ يقال ان ابا تمام شاعر واسع الخيال دقيق التصوُّر بعيد مرامي النظر ، وأُقدّر انه لو عاش حتى بلغ الخمسين او الستين ، ولم يمنعهُ الانهماك في الشهوات من ترتيب محفوظاتهِ ومدركاته ، فاطَّرح منها ما حقهُ ان يطرح وابقى منها ما هو جديرٌ بالبقاء ، لو عاش حتى فعل كل ذلك لكان شعرهُ لا يتعلَّق بهِ متعلق ، ولَبذَّ على الارجح الشعراء قاطبةً ، حتى ابا الطيب المتنبي »

ولابي تمام فضل على الشعر العربي لجمعهِ كثيراً من اشعار العرب القدماء في كتابه المعروف بالحماسة · اما قصائدهُ المعدودة فكثيرة ، وله كثير من

---

(١) من سلسلة مقالات للاستاذ جبر ضومط في مجلة الكلية مجلد ٥

الابيات الحكمية والامثال . ومن غرر قصائده مرثاته في محمد بن حميد الطوسي واليك جلّها

كذا فليجلّ الخطبُ وليفدحِ الامرُ
فليس لعينٍ لم يفض ماؤها عذرُ[1]

توفيت الامال بعد محمدٍ
وأصبح في شغلٍ عن السَّفَرِ السَّفْرُ[2]

وما كان الا مال من قلَّ مالهُ
وذخراً لمن امسى وليس له ذخرُ

وما كان يدري مجتدي جودِ كفهِ
اذا ما استهلَّت انهُ خُلِقَ العسرُ[3]

فتىً كلما فاضت عيونُ قبيلةٍ
دماً ضحكت عنهُ الاحاديث والذكر

فتىً مات بين الطعن والضرب ميتةً
تقوم مقامَ النصر ان فاتهُ النصرُ

وقد كان فوتُ الموتِ سهلاً فردَّهُ
اليه الحِفاظُ المرُّ والخلقُ الوعرُ[4]

ونفسٌ تعافُ العارَ حتى كأنما
هو الكفرُ يومَ الروع او دونهُ الكفرُ[5]

فأثبت في مستنقعِ الموت رجلهُ
وقال لها من تحت اخمَصكِ الحشرُ[6]

---

(١) فليجل فليعظم . الخطب المصيبة . يفدح بثقل (٢) السفر المسافرون

(٣) المجتدي طالب العطاء (٤) الحفاظ الدفاع عن المحارم . الوعر الصعب الشديد

(٥) تعاف تكره – الروع الخوف او الحرب (٦) الاخمص باطن القدم – الحشر القيامة . اي ان الخلود عن طريق الاستشهاد في الحرب

غدا غدوةً والحمدُ نسجُ ردائهِ فلم ينصرف الا واكفانهُ الاجرُ
كأنَّ بني نبهانَ يومَ وفاتهِ نجومُ سماءٍ خرَّ من بينها البدرُ
يُعزَّونَ عن ثاوٍ تُعزَّي به العلى
ويبكي عليه البأسُ والجودُ والشعرُ (١)
وأنَّى لهم صبرٌ عليه وقد مضى الى الموت حتي استُشهدا هو والصبرُ
فتىً كان عذبَ الروح لا من غضاضةٍ
ولكنَّ كبراً أن يقالَ به كبرُ (٢)
أمن بعد طيِّ الحادثات محمداً يكونُ لاثوابِ الندى ابداً نشرُ ؟
مضى طاهرَ الاثواب لم تبق روضةٌ غداةَ ثوى الاَّ اشتهت انها قبرُ
ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى ويغمر صَرفَ الدهر نائلُهُ الغمرُ (٣)
عليك سلامُ الله وقفاً فانني رأيتُ الكريمَ الحرَّ ليسَ لهُ عمرُ

. . . . .

ومما يستجاد له قوله في مطلع بائيته المشهورة التي انشدها يوم فتح المعتصم عمورية :

السيف اصدق انباءً من الكتب في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعبِ
بيض الصفائح لاسود الصحائف في متونهنَّ جلاء الشك والريَبِ
والعلم في شُهب الارماح لامعةً بين الخميسين لا في السبعة الشهبِ (٤)

والقصيدة كلها من هذا الطراز العالي فلتراجع

---

(١) ثاوٍ ماكث في القبر (٢) الغضاضة المذلة — الكبر الكبرياء

(٣) الثرى الارض . يغمر يستر . صرف الدهر حوادثه . النائل العطاء . الغمر الكثير (٤) الخميسين الجيشين . اي ان العلم الحقيقي هو استعمال الرماح في الحرب لا معرفة الافلاك والنجوم

وقوله من قصيدة يذكر مطامع نفسه وبعد همته

اذا المرء لم تستخلص الحزمَ نفسه
فذروتُه للحـادثات وغاربه[١]
ذريني واهوالَ الزمان أُفانها[٢]
فاهواله العظمى تليها رغائبه
ألم تعلمي ان الزّماع على السُّرى[٣]
اخو النجح عند الحادثات وصاحبه
دعيني على اخلاقيَ الصُمّ للتي
هي الوَفرُ او سِربٌ ترنّ نوادبُه[٤]

ومثل ذلك قوله في السفر سعياً وراء المجد

وطول مُقام المرء في الحيّ مخلق
لديباجتيهِ[٥] فاغترب تتجدّدِ
فانّي رأيت الشمس زيدت محبةً
الى الناس أنْ ليست عليهم بسرمدِ

---

(١) اذا المرء لم يكن حازماً تغلبت عليه الحوادث (٢) افانها اي اغالبها فاما ان تفنيني او افنيها (٣) الزماع على السرى الخ اي ان قاصد السفر هو الذي ينجح (٤) اتركيني على اخلاقي الشديدة فاما ان انال الوفر والغنى واما ان اموت فتندبني النوادب (٥) يراد بديباجتيه هنا نفسه وجسده او حلمه وشرفه. ومخلق مبلٍ او مفسد

البحتري

٢٠٦هـ-٢٨٤هـ (٨٢٢ م -٨٩٨م)

وُلد هذا الشاعر بمنبج (بين الفرات وحلب) وفيها نشأ ، ثم خرج الى العراق واقام ببغداد دهراً طويلاً يمدح خلفاءها وامراءها . وفي اواخر عمره عاد الى الشام فمنبج حيث قضى نحبه

وهو على رأي الجمهور شاعر فصيح العبارة حسن الاسلوب وقد سُمّي شعرهُ بسلاسل الذهب لأناقته وحسن ديباجته . وكان البحتري على ما ذكروه من اقبح الناس انشاداً . ومهما يكن من ذلك فهو بلا شك احد شعراء العربية المقدّمين ، لا تقلّ منزلتهُ في نظر العلماء عن منزلة ابي تمام والمتنبي . وبعضهم يفضّل اسلوبهُ على اسلوبهما ، ولا سيما في الاوصاف . قال ابن الاثير « انهُ اراد ان يشعر فغنّى ، ورقي بديباجة لفظهِ الى الدرجة العليا »

وللبحتري كتاب حماسة على مثال حماسة ابي تمّام جمع فيه كثيراً من اشعار العرب . اما ديوانه فمشهور ويكفي للدلالة على منزلتهِ ان ابا العلاء المعرّي اهتمّ بشرحهِ كما اهتمّ بشرح المتنبي . وقد عرف البحتري بجودة الوصف وهاك بعضاً من رائيته المشهورة في الخليفة المتوكل يهنئه بعيد الفطر

بالبرّ صمتَ وانتَ افضل صائمٍ	وبسنّةِ الله الرَّضية تُفطرُ
فانعمْ بيوم الفطر عيناً انهُ	يومٌ أغرُّ من الزّمان مشهّرُ
اظهرْتَ عزَّ الملك فيه بجحفلٍ	لجبٍ يُحاطُ الدّين فيه وينصرُ (١)
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدتْ	عُدَداً يسيرُ بها العديد الاكثرُ
فالخيل تصهل والفوارس تدّعي	والبيض تلمعُ والأسنة تزهَرُ

(١) الجحفل اللجب اي الجيش الكثيف

والارض خاشعةٌ تميد بثقلها والجوُّ معتكرُ الجوانب اغبرُ
والشمس مائعةٌ (١) توقَّدُ في الضحى طوراً ويطفئها العجاج الاكدرُ
حتى طلعتَ بضوء وجهك فانجلى ذاكَ الدُّجى وانجابَ ذاكَ العِثْيرُ (٢)
فافتنَّ فيك الناظرون فاصبعٌ يوما اليك بها وعينٌ تنظرُ (٣)
يجِدون رُؤيتك التي فازوا بها من انعُمِ الله التي لا تُكفَرُ
ذكروا بطلعتكَ النبيَّ فهلّلوا لما طلعتَ من الصفوف وكبّروا
حتى انتهيتَ الى المصلّى لابساً نور الهدى يبدو عليك ويظهرُ
ومشيتَ مِشية خاشعٍ متواضعٍ لله لا يُزهى ولا يتكبّرُ
فلو أنّ مشتاقاً تكلّفَ فوق ما في وُسعهِ لسعى اليك المِنبرُ
أبديتَ من فصل الخطاب بحكمةٍ تُنبي عن الحقّ المبين وتخبرُ
ووقفتَ في بُردِ النبيّ مذكّراً بالله تُنذِرُ تارةً وتبشّرُ

ومن اوصافه قوله من قصيدة في بركة بناها المتوكل

تنصبُّ فيها وفودُ الماء معجلةً كالخيل خارجةً من حبل مُجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلةً من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصَّبا ابدت لها حُبكاً مثلَ الجواشن مصقولاً حواشيها (٤)
فحاجب الشمس احياناً يضاحكها وريّق الغيث احياناً يباكيها
اذا النجوم تراءَت في جوانبها ليلاً حسبتَ سماءً رُكّبتْ فيها
تغنى بساتينها القصوى برؤيتها عن السحائب منحلاً عزاليها (٥)
كأنها حين لجّتْ في تدفقها يدُ الخليفة لما سال واديها

---

(١) اي طالعة . والعجاج الغبار (٢) العثير غبار الحرب (٣) افتن اخذ في فنون من الكلام، وفي رواية ورنا اليك (٤) اي اذا مر عليها النسيم جعدت وجهها فاصبحت كانها الدروع المصقولة الحواشي (٥) وانحلت عزالي السحاب اي هطل المطر بشدة

المتنبي

(٣٠٣هـ — ٣٥٤هـ (٩١٦م — ٩٦٦م)

لم يكد ينتهي القرن التاسع للميلاد حتى كانت الخلافة العباسية قد بدأت بالانحلال ، فاخذ كبار الامراء يستقلُّون بماراتهم . من هؤلاء الملوك المستقلين بنو حمدان امراء حلب ، واشهرهم سيف الدولة الذي خلَّد المتنبئ اسمه باشعاره

نشأ المتنبي في الكوفة ثم قدم الشام حيث درس فنون الادب ومهر فيها وقد لُقب بالمتنبيء لانه على ما قيل ادّعى النبوءة[1] . ولكن صاحب حمص خرج اليه فاسرهُ وحبسهُ ثم اطلقهُ ، فصار يتردد في اقطار الشام حتى اتَّصل بالامير سيف الدولة . وكان هذا الامير غيوراً على الادب محبّاً للشعر فاكرم المتنبي وقرَّبهُ ، على ان الايام لم تبق على صفائها مع شاعرنا فتغيَّر عليه اميره ، وكان ذلك سبباً في رحيلهِ الى مصر حيث مدح اميرها كافور الاخشيدي . ولمَّا لم ينل منه ما كان يطمح اليه من الولاية هجاه وهرب الى العراق . وبعد ان اقام فيها مدة قصد فارس ومدح ابن العميد وعضُد الدولة فاجزل هذا الامير عطاءه ، ثم قفل راجعاً الى العراق . وفيما هو على الطريق عرض له فاتك الاسدي بجماعة من اصحابه ، ومع المتنبي جماعة من اصحابهِ ، فاقتتلا وقُتل المتنبي وابنه وغلامه

اما شعره فاشهر من ان يوصف وديوانه مع ما فيه من المآخذ اللفظية ابلغ الدواوين وافخمها . وقد عُرف شعرهُ كما عُرف شعر ابي تمّام بالمتانة ودقة الاشارة ، حتى قلما يستطيع احد غير الاديب ان يرى مراميه البعيدة او يفطن

---

(١) كذا عن ابن خلكان وعن اكثر المؤرخين على ان المرجح انه سُمي المتنبيء لغير هذا السبب . راجع كتابنا امراء الشعر العربي في العصر العباسي

للروابط الخفية التي تربط اياتها بعضها ببعض · و كأنما تشعر بكبر نفسه في كل قصيدة من قصائده فتهتزّ لما يتجلّى فيها من عواطف الرجولية المقرونة بالحكم العالية · ومما يدلّك على تأثيره في نفوس الادباء اهتمامهم الكبير بديوانه حتى شرحهُ نحو اربعين عالماً ، منهم ابو العلاء المعرّي الذي سمّى شرحه معجز احمد · وللمتنبيء اكثر من مئتي بيتٍ جارية على السنة العامة والخاصة مجرى الامثال · واليك مثالاً من شعرهِ الذي يشفّ عن طبعهِ

قال اول اتصاله بكافور يذكر فراقه لحلب وينوّه برغائب نفسه :

فراقٌ ومن فارقتُ غيرُ مذمَّمِ — وأَمٌّ ومن يمَّمتُ خيرُ ميمَّمِ (١)

وما منزلُ اللذَّاتِ عندي بمنزلٍ — اذا لم أُبجَّلْ عندهُ واكرَّمِ

سجيَّةُ نفسٍ ما تزال مُليحةً — منَ الضيمِ مرميًّا بها كلُّ مَخرمِ (٢)

رحلتُ فكم باكٍ باجفانِ شادنٍ — عليَّ وكم باكٍ باجفانِ ضيغمِ (٣)

فلو كانَ ما بي من حبيبٍ مقنَّعٍ — عذرتُ ولكن من حبيبٍ معمَّمِ (٤)

رمى واتَّقى رميي ومن دون ما اتَّقى — هوًى كاسرٌ كفّي وقوسي وأسهمي (٥)

. . . . .

اذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءت ظنونُهُ — وصدَّق ما يعتادهُ من توهُّمِ

---

(١) يقصد بالفراق هنا فراقه لسيف الدولة — ويريد بالميمم كافوراً

(٢) مليحة خائفة — المخرم الطريق في الجبل . اي تلك طبيعة نفسي تخاف الذلّ فاقذف بها في كل مكان هرباً منه (٣) الشادن ولد الغزال — الضيغم الاسد . والمراد ان الحسان والابطال بكوا على فراقه (٤) اي لو كان ما اشكو من الغدر بي من امرأة لعذرتها ولكنه من رجل (اي سيف الدولة) (٥) يريد ان سيف الدولة عامله بالاساءة ولكن حبه له منعه من مكافأته على الاساءة بالهجو

وعادى محبيه بقول عُداته وأصبح في ليلٍ من الشكّ مظلمِ
أُصادق نفسَ المرءِ من قبل جسمه واعرفها في فعله والتكلّمِ
واحلمُ عن خِلّي وأَعلمُ انهُ متى أَجزِه حلماً على الجهل يندَمِ
وان بذلَ الانسانُ لي جود عابسٍ جزَيتُ بجودِ التاركِ المتبسّمِ
وما كل هاوٍ للجميل بفاعل ولا كلُّ فعَّالٍ له بمتمِّمِ

. . . .

أَبا المسك[١] ارجو منك نصراً على العدى
وآمل عزًّا يخضب البيض بالدَّمِ[٢]
ويوماً يغيظ الحاسدين وحالةً أُقيم الشقا فيها مقام التنعّمِ
ولم ارجُ الا اهلَ ذاكَ ومن يرِدْ مواطرَ من غير السحائب يظلمِ[٣]
فلو لم تكن في مصر ما سرت نحوها بقلب المشوق المستهام المتيّمِ
قد اخترتك الاملاكَ فاختر لهم بنا
حديثاً وقد حكّمت رأيك فاحكمِ[٤]
فأَحسنُ وجهٍ في الورى وجه محسنٍ وأَيمن كفٍّ فيهم كفُّ منعمِ[٥]
واشرفهم من كان اشرف همّةً واكثر إِقداماً على كل معُظمِ
لمن تطلبُ الدنيا اذا لم تُرد بها سرورَ محبٍّ او مساءَة مجرمِ

ومن غرره المشهورة قوله في الفخر

سيعلم الجمع ممن ضمَّ مجلسنا بأنّني خير من تسعى به قدمُ

---

(١) ابو المسك اي كافور (٢) البيض اي السيوف
(٣) اي انت اهل لرجائي وما انا في رجائي كمن يرجو المطر من غير السحاب
(٤) اي قد اخترتك من بين الملوك فاحسن مكافاتي امدحك فتتحدث بك وبي الملوك في مجالسهم (٥) ايمن اي اكثر بركة

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي | واسمعتْ كلماتي من به صممُ
الخيل والليل والبيداء تعرفني | والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وفي بُعد المطامع —

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه | ومر كوبُه رجلاه والثوب جلدهُ
ولـكنّ قلباً بين جنبيّ ما له | مدىً ينتهي بي في مُرادٍ أَحدّهُ

وفي وصف البدويات

ما اوجهُ الحضر المستحسناتُ به | كاوجه البدويّات الرعابيبِ
حسن الحضارة مجلوب بتطريةٍ | وفي البداوة حسن غير مجلوب
اين المعيز من الآرام[1] ناظرةً | وغير ناظرة في الحسن والطيب
افدي ظباء فلاةٍ ما عرفن بها | مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ومن هوى كلّ من ليست مموّهةً[2] | تر كت لون مشيبي غير مخضوب

وفي الحمّى التي كانت تراجعهُ

وزائرتي كأنّ بها حياءً | فليس تزور الا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا | فعافتها وباتت في عظامي[3]
يضيق الجلد عن نَفَسي وعنها | فتوسعه بانواع السقام
كأَنّ الصبح يطردها فتجري | مدامعها باربعةٍ سجام[4]
أُراقب وقتها من غير شوقٍ | مراقبة المشوق المستهام
ويصدق وعدها والصدق شرٌّ | اذا القاك في الكُرَب العظام

وغرر المتنبي اكثر من ان يحصرها موجز في الادب فلتراجع في ديوانه

---

(١) يقصد بالمعيز الحضريات . والآرام البدويات (٢) ومن حبي لكل من لا تتص
(٣) المطارف اردية الخز . والحشايا الفرش
(٤) اشارة الى انخفاض الحرارة صباحاً واقتران ذلك بسيلان العرق من الجسم

ابو فراس

٣٢٠ هـ — ٣٥٧هـ (٩٣٢ م —٩٦٩م)

هو ابن عمِّ الامير سيف الدولة الحمداني ممدوحِ المتنبّي ، وله في الشعر مقام رفيع — اوّلاً لجودة نظمه وثانياً لكونه من بيت الإمارة. فلا عجب أن نرى كبار الادباء يقرّون له بالتقدم ويذكرونه بالتعظيم حتى قال الصاحب بن عبّاد فيه « بُدىء الشعر بملك (اي امرىء القيس) وختم بملك» (اي ابي فراس) وكان ابو فراس فارساً شجاعاً حارب بجانب سيف الدولة في عدّة معارك وقد اسرته الروم مرّتين · فاقام في المرّة الثانية مأسوراً نحو اربع سنوات نظم في اثنائها قصائده الرقيقة المعروفة بالروميّات

وقد اجمع النقّاد على انه يجمع في شعره بين السهولة والمتانة ودقّة التعبير عن شعور النفس · ويبرز فيه الفخر والحماسة والتنويه بمكارم الاخلاق — وله كثير من غرر القصائد من اشهرها رائيّته التي مطلعها —

اراك عصيَّ الدمع شيمتُكَ الصبرُ
اما للهوى نهيٌ عليكَ ولا امرُ
نعم انا مشتاق وعنديَ لوعةٌ ولكنَّ مثلي لا يُذاع له سرٌّ

ومنها :

معلِّلتي بالوصلِ والموتُ دونه اذا متُّ ظمآناً فلا نزل القطرُ[1]

(١) القطر المطر

تسائلني من انت وهي عليمةٌ وهل بفتى مثلي على حاله نُكرُ !
فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى قتيلكِ . قالت ايّهم فهمُ كُثرُ ؟
فقلتُ لها لو شئت لم تتعنّتي ولم تسألي عنّي وعندكَ بي خُبرُ
ولا كان للاحزان عندي مسلكٌ الى القلب لكنّ الهوى للبلا جسرُ
فقالت لقد أزرى بك الدهر بعدنا فقلت معاذَ اللهِ ! بل انتِ لا الدهرُ

ومن فخره الحماسي قوله من قصيدة يصف فيها بطش سيف الدولة بعشائر نزار

لنا الجبلُ المطلُّ على نزارٍ حللنا المجـد منهُ والهضابا
ولما ثار سيف الدين ثرنا كما هيَّجتَ آساداً غضابا
دعانا والاسنّةُ مُشرعاتٌ فكنّا عند دعوته الجوابا
فلمّا اشتدت الهيجاء كنّا اشدَّ مخالباً واحدَّ نابا
وامنع جانباً واعزَّ جارا واوفر ذمّةً واقلَّ عابا

ومن اقواله المشهورة — :

غيري يغيّرهُ الفَعال الجافي
ويحول عن شِيم الكريم الوافي
لا ارتضي ودّاً اذا هو لم يدُمْ
عند الجفاء وقلّة الانصافِ
انّ الغنيّ هو الغنيُّ بنفسه
ولو أنَّهُ عاري المناكب حافِ
ويعاف لي طبعَ الحريص أُبوّتي
ومروءتي وقناعتي وعفافي
ومكارمي عدد النجوم ومنزلي بيتُ الكرام ومنزل الاضيافِ

الشريف الرضي

(٣٥٩ هـ — ٤٠٦ هـ (٩٧١م — ١٠١٦م)

وهو من الاشراف يرجع نسبه الى الامام الحسين بن علي وقد اجمع الجمهور على انه اشعر قريش . وشعرهُ رشيق يدلّ على شاعرية فيَّاضة ، يجمع بين السلاسة والفخامة وتبرز فيه الانفة وعزّة النسب

ومن اشهر قصائده مرثاتهُ في الكاتب المشهور ابي اسحق الصابئ ومنها

اعلمتَ من حملوا على الاعوادِ أرايت كيف خبا ضياءُ النادي
جبلٌ هوى لو خرَّ بالبحر اغتدى من وقعهِ متتابعَ الأزبادِ
ما كنتُ أعلمُ قبل وضعك في الثرى
انَّ الثَّرى يعلو على الاطوادِ
بُعداً ليومِكَ في الزمان فانهُ أقذى العيونَ وفتَّ في الاعضاد[1]
لا ينفدُ الدمعُ الذي يُبكى به إنَّ القلوبَ له منَ الامدادِ
سوَّدتَ ما بين الفضاء وناظري وغسلتَ من عينيَّ كلَّ سَوادِ
ما كنتُ أَحسبُ أنْ تضنَّ بلفظةٍ
لتقومَ بعدكَ لي مقامَ الزادِ
يا ليتَ أَني ما قنيتكَ صاحباً كم قُنيةٍ جلبت أسىً لفؤادي
بردُ القلوب بمن تحبُّ لقاءهُ مما يجرُّ حرارةَ الاكبادِ

وله ديوان كبير فيه كثير من الغرر . وكان الشاعر نقيباً للاشراف وعالمًا من علماء الادب والدين .

---

(١) فت في الاعضاد اي اوهن القوى

ابو العلاء المعري

٣٦٣ هـ — ٤٤٩ هـ (٩٧٣م — ١٠٥٨ م)

كوكب وضّاء من كواكب الادب النيّرة ، ولشخصيته تأثير على ادباء العصور التالية

ولد ابو العلاء في المعرّة بجوار حلب ، ولم يتمّ الثالثة من عمره حتى اصابه الجُدري فكفّ بصره وهو طفل . ولكن حافظته كانت قوية جداً ، فتعلّم اللغة والادب بالسّماع وفاق اهل زمانه . ومما مكّن العلم فيه انهُ رحل في طلبه فزار كثيراً من مدن الشام وتعلّم فيها فلسفة اليونان ، ثم زار بغداد واطّلع هناك على فلسفة الهنود والفرس . وبعد ان قضى من طلب العلم والفلسفة وطرهُ رجع الى المعرّة حيث لزم بيتهُ فعاش عيشة الزهد والتقشّف وصرف همهُ الى التأليف والنظم

ولأبي العلاء منزلة سامية في تاريخ الآداب العربية ، وهو شاعر مفكّر قرن الشعر بالفلسفة والتأمل ، ولم يخشَ ان ينتقد عادات جيله وعقائدهم الدينية والاجتماعية ، ولذلك نقم عليهِ كثير من اهل الدين وحسبوه كافراً مضلِّلاً [(١)]

ومما يذكر لابي العلاء أنفتهُ من استجداء الامراء ، فكان شعرهُ مرآة نفسه الكبيرة ، يشعر قارئهُ بتلك القوّة الغريبة التي لا توجد الاّ في النوابغ . نعم ان اكثر شعره مستقى من منابع اليأس والتشاؤم ، ولكنّ في تشاؤمهِ جلالاً يرفع قدرهُ . ولعلّ عماهُ واحوالهُ كانت من الاسباب التي حوّلت نفسه الى الجهة السوداء من الحياة . واشهر دواوينه « لزوم ما لا يلزم » وهو مجموعة ما نظمهُ من الشعر الانتقادي بعد ان لزم العزلة في المعرة ، وفيه تظهر

---

(١) للتوسع في دراسة حياته وشعره راجع امراء الشعر العربي للمؤلف

نفسه تمام الظهور · وله ديوان سِقط الزَّند ، وفيه اكثر ما نظمه قبل ذلك

اما رسائلهُ فاكثرها من السجع المتكلَّف ، ولكن مضمونها ادب وحكمة · واليك نخبة من قصيدته المشهورة التي بلغت الدرجة العليا من الجمال الشعري ، وهي من شعره في سقط الزند ، قالها يرثي صديقاً له من الفقهاء

غيرُ مُجدٍ في ملَّتي واعتقادي نوحُ باكٍ ولا ترنُّم شادِ[1]
وشبيهٌ صوتُ النعيِّ اذا قِيـ ـسَ بصوتِ البشير في كل نادِ[2]
صاحِ هذي قبورنا تملأُ الرحبَ فاين القبورُ من عهدِ عادِ
خفِّف الوطء ما اظنُّ اديم الار ض الاَّ من هذه الاجسادِ
سر إن اسطعت في الهواء رويداً لا اختيالاً على رُفات العبادِ[3]
رُبَّ لحد قد صار لحداً مراراً ضاحكٍ من تزاحم الاضدادِ
ودفينٍ على بقايا دفينٍ في طويل الازمان والآبادِ
تعبٌ كلها الحياة فما اعجـ ـبُ الاَّ من راغبٍ في ازديادِ
انَّ حزناً في ساعة الموتِ اضعا فُ سرورٍ في ساعة الميلادِ
خُلِق الناسُ للبقاء فضلَّت امَّةٌ يحسبونهم للنَّفادِ
انما يُنقلون من دارِ اعمالٍ الى دار شقوةٍ او رشادِ
ضجعةُ الموتِ رقدةٌ يستريح الجسـ ـمُ فيها والعيش مثل السُّهادِ

. . . . .

زُحلٌ اشرف الكواكب داراً من لقاء الردى على ميعادِ
ولِنار المرّيخِ من حدَثان الدهـ ـر مُطفٍ وان علت باتقادِ[4]

---

(١) مجدٍ . نافع (٢) النعي الذي ينعي الموتى (٣) الرفات ما بلي من العظام وغيرها
(٤) زحل والمريخ كوكبان . حدثان الدهر حوادثه وصروفه

والثريّا رهينة بافتراق الشمل حتى تُعدّ في الافراد[١]
كلُّ بيتٍ للهدم ما تبتني الورقاءُ والسيّد الرفيع العمادِ[٢]
بان امر الالهِ واختلفَ الناس فداعٍ الى ضلالٍ وهادِ
والذي حارت البريّة فيهِ حيوانٌ مستحدثٌ من جمادِ
واللبيبُ اللبيب من ليس يغترُّ بكونٍ مصيره للفسادِ

ومن لزومياته قوله في بعض اهل الرياء من رجال الدين

رُويدَكَ قد غُررتَ وانت حرٌّ | بصاحب حيلة يعظ النساءَ
يحرّم فيكمُ الصهباءَ[٣] صبحاً | ويشربها على عمدٍ مساءَ
يقول لكم غدوتُ بلا كساءٍ | وفي لذّاتها رهن الكساءَ[٤]
اذا فعل الفتى ما عنه يَنهى | فمن جهتينِ لا جهةٍ اساءَ

وقوله في حكّام زمانه واهل السياسة فيه

يسوسون الامور بغير عقلٍ | فيُنفذ امرهم ويقال ساسه
فافٍّ من الحياة وافٍّ مني | ومن زمنٍ رئاسته خساسه

ومن اقواله في الدنيا —

لبيبُ القوم تألفهُ الرزايا | ويأمر بالرّشاد فلا يطاعُ
فلا تأملْ من الدنيا صلاحاً | فذاك هو الذي لا يستطاعُ

وفي الدين —

سبّح وصلِّ وطُف بمكّة زائراً | سبعين لا سبعاً فلست بناسكِ
جهلَ الديانةَ من اذا عرضتْ له | اطماعهُ لم يُلفَ بالمتماسكِ[٥]

---

(١) الثريا مجموع كواكب (٢) الورقاء الحمامة
(٣) الصهباء الخمر (٤) يتظاهر بالفقر وهو قد رهن ثيابه ليشتري خمراً
(٥) اي انما صاحب الدين من يستطيع ان يكبح نفسه عن شهواته

ابن الفارض

٥٧٦ هـ — ٦٣٢ هـ (١١٨١م — ١٢٣٥ م)

لشهرة ابن الفارض في العالم العربي مصدران رئيسيان. الاول انه اكبر شاعر متصوّف نشأ بين العرب ، والثاني انّ طريقته في استعمال انواع البديع والتلاعب بالالفاظ فريدة لا يجاريه فيها الا قلائل . اما ديوانه فصغير الحجم لكن شعره رقيق جداً : يشعر القارىء عند قراءته بلطف ناظمه ، وبخفة روحه وهيامه الى ابعد غاية

نبغ ابن الفارض بمصر وفيها توفّي . وكان قد رحل الى مكة فاقام فيها مدة يهيم في اوديتها وجبالها ، فساعده ذلك على نظم شعره الروحي الحبي. واشهر قصائده القصيدة المعروفة بالتائية الكبرى وهي طويلة تنيف على ٧٠٠ بيت . على ان اكثر شعرهِ مشهور يتغنّى به الخاصّ والعام . ولشاعرنا منزلة كبيرة بين الصوفية ، وهم يفسِّرون شعره الغزلي تفسيراً رمزياً

من امثلة شعره قوله :

قلبي يحدّثني بأنك متلفي روحي فداكَ عرفتَ ام لم تعرِفِ
لم اقضِ حقَّ هواكَ إن كنتُ الذي
لم اقضِ فيه اسىً ومثلي من يَفي[1]
مالي سوى روحي، وباذلُ نفسهِ في حب من يهواه ليس بمسرفِ
يا مانعي طيبَ المنامِ ومانحي ثوبَ السقام بهِ ووجدي المتلفِ

---

(١) اقضي الثانية اي اموت

عطفاً على رَمَقي وما ابقيتَ لي　　من جسميَ المضنى وقلبي المدنفِ[1]

وأُسأل نجومَ الليل هل زارَ الكرى
　　جفني وكيفَ يزورُ مَن لم يعرفِ

إن لم يكن وصلٌ لديكَ فعِدْ بهِ
　　أملي وماطل ان وعدتَ ولا تفي

أَهفُو لانفاسِ النسيمِ تَعِلَّةً
　　ولوجهِ مَن نَقَلَت شذاه تشوُّفي[2]

فلعلَّ نار جوانحي بهبوبها　　ان تنطفي، واودُّ ان لا تنطفي

يا اهل ودّي انتمُ املي ومن　　نادا كُمُ يا اهل ودّي قد كفي

عودوا لما كنتم عليه من الوفا　　كرَماً فاني ذلك الخلُّ الوفي

وحياتِكم وحياتكم قسماً وفي　　عمري بغير حياتكم لم احلفِ

لو ان روحي في يدي ووهبتها　　لمبشِّري بقدومكم لم أُنصفِ

لا تحسبوني في الهوى متصنّعاً　　كلَفي بكم خلقٌ بغير تكلّفِ[3]

اخفيت حبّكم فاخفاني اسىً　　حتى لعمري كدت عني اختفي

وكتمته عني فلو ابديته　　لوجدته اخفى من اللطف الخفي

قل للعذول اطلتَ لومي طامعاً　　انّ الملام عن الهوى مستوقفي

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى　　فاذا عشقتَ فبعد ذلك عنِّفِ

برح الخفاء بحبِّ من لو في الدجى
　　سفر اللثام لقلت يا بدر اختفي[4]

---

(١) المدنف شديد المرض

(٢) التشوف حب الاستطلاع وهو مبتدا خبره لوجه — الشذا الرائحة الذكية

(٣) الكلف فرط المحبة — التكلف التصنع　(٤) سفر اللثام اي كشف البرقع

لو قال تيهاً قف على جمر الغضا لوقفتُ ممتثلاً ولم اتوقّفِ
كملتْ محاسنه فلو اهدى السنا للبدر عند تمامهِ لم يُخسفِ
وعلى تفنّن واصفيهِ بحسنهِ يفنى الزمان وفيه ما لم يوصفِ

ومن لطائفه قوله من قصيدة —

ما بين مُعترك الاحداق والمُهجِ انا القتيل بلا اثمٍ ولا حَرَجِ
تبارك الله ما احلى شمائلهُ فكم اماتت واحيت فيه من مهجِ
تراه ان غاب عني كلُّ جارحةٍ في كلّ معنىً لطيفٍ رائقٍ بهجِ
في نغمة العود والناي الرّخيم اذا تآلفا بين الحانٍ من الهزجِ
وفي مسارح غزلان الخمائل في بَرد الأَصائل والاصباح في البلَجِ (١)
وفي مساحب اذيال النسيم اذا اهدى اليّ سُحيراً اطيب الأَرَجِ
وفي التثامي ثغر الكأس مرتشفاً ريقَ المُدامة في مستنزهٍ فرِجِ
لم ادر ما غربة الاوطان وهو معي وخاطري اين كنا غير منزعجِ

ومن كبار الشعراء في العصر العباسي

العباس بن الاحنف (توفي ١٩٢ ﻫ) واكثر شعره من رقيق الغزل

مسلم بن الوليد (٢٠٨) وقد عرف بتأنقه البديعي ويقال ان ابا تمام حذا حذوه في ذلك

ابن الرومي (٢٨٣) وهو مشهور بدقّة احساسه وتقصّيه للمعاني وطول نفَسه

مؤيد الدين الطغرائي (٥١٣) وهو صاحب القصيدة المعروفة بلاميّة العجم ومطلعها « اصالة الرأي صانتني عن الخطل »

---

(١) طلعة الفجر

ومنها البيت المشهور —

وانما رجل الدنيا وواحدها   من لا يعوّلُ في الدنيا على رجلِ

ابن الساعاتي (٦٠٤) وقد ظهر ديوانه حديثاً . وهو من المتقدمين في الصناعة البديعية وجودة النظم

ابن سناء الملك (٦٠٨) وهو من الذين اولعوا بنظم الموشحات ولعله اول من عُني بادخال هذا الفن الى الشرق

ابن النبيه (٦١٩) وله ديوان صغير من لطيف الشعر اكثره في الملك الاشرف الايوبي

بهاء الدين زهير (٦٥٦) ويمتاز شعره برقة النسيب وخفة الروح .

وممن ادركوا هذا العصر

البوصيري (٦٩٥) وهو صاحب البردة الشهيرة في مدح الرسول

أمن تذكُّرِ جيرانٍ بذي سلَمِ   مزجت دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

ومنها

والنفس كالطفل ان تُهمله شبَّ على   حبِّ الرضاع وان تفطمهُ ينفطمِ

فاصرفْ هواها وحاذر ان تولّيهُ   ان الهوى ما تولّى يُصمِ او يصِمِ

وراعها وهي في الاعمال سائمةٌ   وان هي استحلَتِ المرعى فلا تسمِ

كم حسّنتْ لذّةً للمرء قاتلةً   من حيث لم يدر ان السُّم في الدَّسمِ

واخشَ الدسائس من جوع ومن شبَعٍ   فربَّ مخمصةٍ شرٌّ من التُّخمِ[1]

واستفرغ الدمعَ من عينٍ قد امتلأت   من المحارمِ والزم حِميةَ الندمِ

وهناك كثيرون من هذه الطبقة التي حفظت اشعارها وحظي اصحابها بشهرة واسعة في العالم العربي

(١) المخمصة خلاء البطن بسبب الجوع

من سقوط الخلافة في بغداد

الى النهضة الحديثة

اي من منتصف القرن السابع الهجري (الثالث عشر) الى اوائل القرن الثالث عشر (التاسع عشر)

العالم الاسلامي عموماً واللغة العربية

ذكرنا آنفاً انه في منتصف القرن السابع للهجرة (٦٥٦) انحلّت الخلافة العباسية في بغداد ، واستولى المغول على العراق وعلى كل البلاد الواقعة بينه وبين الهند . فانتقلت الخلافة العباسية الى مصر ، وكانت تحت رعاية المماليك الذين حكموا مصر والشام بعد الدولة الايوبية ، وظلت هناك رئاسةً دينية لا حول سياسيٌ لها حتى انتحلها العثمانيون . اما العرب فلم يبق بايديهم الاّ امارة غرناطة في اسبانيا وبعض الامارات في بلاد العرب وفي شمالي افريقيا ، فضعف شأنهم وذهبت عصبيّتهم وسيادتهم ، وتقلّص ظل لغتهم وآدابهم من اكثر الممالك التي كانت خاضعة لهم ، حتى كادت تنحصر في مصر وسوريا وعاصمتهما يومئذٍ القاهرة

ويرجع الفضل في بقاء العربية زاهية في مصر وسوريا الى الجامع الازهر والى انّ الدول الاعجمية التي حكمتها (الايوبية فالمماليك) مالت الى لغة البلاد فتعرّبت وناصرت ارباب العلم والادب . فنبغ منهم تحت رعايتها عدد كبير من اصحاب الموسوعات الادبية والتاريخية ، كابي الفدا وابن خلّكان والسيوطي والدميري والمقّري والنويري والمقريزي والفيروزبادي والقلقشندي وسواهم

ولما ظهر العثمانيون وفتحوا مصر في القرن العاشر الهجري (السادس عشر للميلاد) كان العالم الاسلامي يتنازعه ثلاثة عناصر ، المغول ما وراء فارس الى الهند ، والفرس في فارس والعراق ، والترك في البلاد الاسلامية المتاخمة لبحر الروم . ومع ان البلاد التي استولى عليها الاتراك العثمانيون في آسيا وافريقيا كان اكثرها عربياً فانهم لم يفعلوا فعل الايوبيين والمماليك في مصر وسوريا بل حافظوا على لغتهم وجعلوا لها في الدولة المقام الاعلى ، فاخذت العربية تتراجع تدريجياً حتى بلغت قُبيل نهضتها في القرن الماضي منتهى الضعف والانحطاط

الشعر

ومن الطبيعي في مثل تلك الحال ان لا يخصب العالم العربي بالقرائح الشعرية المبدعة . فكلما ابتعدنا عن عهد العباسيين وانحدرنا مع الزمان رأينا انوار الابتكار الادبي تتضاءل . وما ذلك الا لان الادب قلما يزهو في امة ذهب مجدها وار كنت الى المسكنة والخضوع ، اللهم الا ان يكون لها حافز من امل يدعوها الى الحياة بعد الموت والمجد بعد المذلة . ولم يكن هذا الحافز شديداً في عصور الانحطاط السياسي ، فليس من الغريب ان يفقد الشعر رواءه ويصبح همّ الادباء الحَوم حول النكات البيانية . نعم لا ينكر انه قام فيهم ادباء مُجيدون كصفي الدين الحلّي وابن نباتة المصري وابن معتوق وسواهم ، ولكن الشعر عموماً لم يكن غير نظم «تقليدي» شديد التأنق — إما تزلفاً لارباب القوة والجاه ، او بثّاً لشعور ديني مستسلم لاحكام الله

ونكتفي هنا بامثلة من شعر صفيّ الدين وابن معتوق

صفيّ الدين الحلّي

٦٧٧ هـ — ٧٥٠ هـ (١٢٧٨م — ١٣٥٠م)

وُلد هذا الشاعر في الحلة على الفرات واتصل بآل أُرتق امراء ماردين ثم انتقل الى بغداد وتوفي فيها . وكان شاعر عصره على الاطلاق يتأنق في نظمهِ جداً وقد عُرف برشاقة الاسلوب والبعد عن تكلُّف الحوشيّ من الالفاظ . اما ديوانه فكبير متنوّع المواضيع وقد التزم فيهِ كثيراً من انواع البديع . ولم يكن يستجدي بشعره : قال « كنت عاهدت نفسي ان لا امدح كريماً ولا أَهجو لئيماً وذلك للتنزّه عن التشبُّه بذوي السؤال » . واشهر مديحه في النبي وآلهِ ، وله مدائح مشهورة في الملك المنصور امير ماردين والناصر ملك مصر . والحق يقال ان شعره يدلُّ على طبع سليم وشاعريّة قويّة

ومن جميل شعره تخميسه لقصيدة السموأل — قال في مطلعها :

قبيحٌ بمن ضاقت عن الرزق ارضهُ وطول الفلا رحبٌ لديه وعرضهُ
ولم يبلُ سربالَ الدُّجى فيه ركضهُ اذا المرءُ لم يدنس من اللُّؤم عِرضهُ
فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ

اذا المرءُ لم يحجبْ عن العين نومَها ويُغلي من النفس النفيسة سومها
أُضيع ولم تأمن معاليهِ لومها وان هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس الى حسن الثناء سبيلُ

وعصبةِ غدرٍ ارغمتْها جدودُنا فباتت ومنها ضدُّنا وحسودنا
اذا عجزَت عن فعل كيدٍ يكيدنا تعيِّرُنا أنَّا قليلٌ عديدنا
فقلتُ لها انَّ الكرام قليلُ

رفعنا على هام السِّماكِ محلَّنا فلا ملكٌ الا تفيَّأ ظلَّنا
وقد خاف جيشُ الاكثرين اقلَّنا وما قلَّ من كانت بقاياهُ مثلَنا
شبابٌ تسامى للعلى وكهولُ

يوازي الجبالَ الراسياتِ وقارُنا وتُبنى على هام المجرَّةِ دارنا
ويأمنُ من صرف الزمان جوارنا وما ضرَّنا أنا قليلٌ وجارنا
عزيزٌ وجار الاكثرين ذليلُ

ومن حكمه قوله من قصيدة مشهورة :

لا يمتطي المجدَ من لم يركبِ الخطرا ولا ينال العلى من قدَّم الحذرا
ومن اراد العلى عفواً بلا تعبٍ قضى ولم يقضِ من ادراكها وطرا
لا يُبلَغ السؤلُ الاَّ بعد مؤلمةٍ ولا تتمُّ المنى الاَّ لمن صبرا
وأحزم الناس من لو مات من ظمإٍ لايقرب الوِردَ حتى يعرف الصدَرا[1]
واغزر الناس عقلاً من اذا نظرتْ عيناه امرأً غدا بالغيرِ معتبرا
ولا ينال العلى إلا فتىً شرُفت اخلاقهُ فاطاع الدهرُ ما أمرا

ومما يستجاد من فخره قوله :

سل الرماحَ العوالي عن معالينا واستشهد البيضَ هل خاب الرجا فينا
وسائل العُرْبَ والاتراكَ ما فعلتْ في ارض قبر عُبيد الله ايدينا
لقد سعينا فلم تضعف عزائُمنا عمَّا نرومُ ولا خابت مساعينا
يا يومَ وقعةِ زوراء العراقِ وقد دِنَّا الاعادي كما كانوا يدينونا
بضُمَّرٍ ما ربطناها مسوَّمةً الا لنغزو بها من بات يغزونا[2]

---

(١) الورد ورود الماء والصدر الرجوع عنه
(٢) الضمر الخيول الضامرة . المسومة المعلمة وهي الكريمة

وفتية ان نقُلْ أَصغوا مسامعهم لقولنـا او دعوناهم اجابونا
قومٌ اذا استُخصموا كانوا فراعنةً يوماً وان حُكّموا كانوا موازينا
تدرّعوا العقل جلباباً وان حميت نار الوغى خِلتهم فيها مجانينا
ان الزرازير لما قام قائمها توهّمت انها صارت شواهينا
ظنّت تأبِّي البزاةِ الشهبِ عن جزعٍ وما درت انه قد كان تهوينا[1]
ذلّوا باسيافنا طول الزمان فمذ تحكّموا اظهروا احقادهم فينا
لم يغُنهم مالنا عن نهب انفسنا كأنهم في امانٍ من تقاضينا
اخلوا المساجد من اشياخنا وبغوا حتى حملنا فاخلينا الدّواوينا
ثم انثنينا وقد ظلّتْ صوارمنا تميس عُجباً وتهتزُّ القنا لينا
وللدّماء على اثوابنا علقٌ بنشره عن عبير المسك يغُنينا
إنّا لقومٌ ابتْ أَخلاقنا شرفاً ان نبتدي بالاذى من ليس يؤذينا
بيضٌ صنائعنا سودٌ وقائعنا خضرٌ مرابعنا حمرٌ مواضينا
لا يظهر العجزُ منا دون نيلِ مُنى ولو رأينا المنايا في امانينا

ابن معتوق

شهاب الدين الموسوي من اهل البصرة وهو من المولعين بالصناعة الشعرية وطول المقدّمات الغزلية . واكثر شعره في مدح السيد علي خان بن كمال الموسوي ، وله ديوان معروف جمعه ابنه وقد طبع مراراً . وكانت وفاته ١٠٨٧ هـ وله من العمر ٦٢ سنة

---

(١) تأبي امتناع . تهوين عدم مبالاة

ومن شعره قوله من قصيدة يمدح احد الوزراء ويهنئه بفتح حصن منيع :

هذا الحمى يا فتى فانزِل بحومتهِ ... واخضع هنالك تعظيماً لحرمتهِ
لله حيٌّ اذا اوتادُهُ ضُربت ... يودُّها الصبُّ لو كانت بمهجتهِ
بجِزعهِ كم قضت من مهجةٍ جزَعاً ... وكم هوت كبدٌ حرَّى بحرّتهِ[1]
ربُّ الحسامِ وذاتِ الجفنِ فيهِ سوىً ... كلٌّ غدا الحتف مقروناً بضربته
أَللهَ يا اهلَ هذا الحيّ في دنِفٍ ... يُجيب رجعَ اغانيكم برنّتهِ
ضيفٌ ألمَّ كإلمامِ الخيالِ بكم ... إليكمُ حملتهُ ريحُ زفرتهِ
صبٌّ غريق الهوى في لُجّ مدمعهِ ... فأين نُوحُ رضاكم من سفينتهِ[2]
يكاد قلبي اذا مرَّ النسيمُ بكم ... عليه في النار يحمَى من حميّتهِ
يا حبّذا غرُّ ايامٍ بنا سلفَتْ ... على منىً ولياليِنا بجمرتهِ
اوقات أُنسٍ كست وجه الزمان سنىً ... كأنما هنَّ اقمارٌ بظلمتهِ
كم نشّقتنا رياحينَ الوصالِ بهِ ... يدُ الرضا وسقتنا كأسَ بهجتهِ
كأنَّ لطف صَباها في اصائلها ... لطفُ الوزيرِ حُسينٍ في رعيّتهِ
فزنا بها وأَمنَّا كل حادثةٍ ... كانما نحنُ في ايام دولتهِ
مضت وللآن عندي ليس يفضلها ... شيءٌ من الدهر إلا يوم نصرته
يومٌ به اعين الاعداء باكيةٌ ... والسيفُ يبسمُ مخضوباً بعزّته
والحتفُ يترع كاسات النجيع به ... والرمح يهتزُّ نشواناً بخمرتهِ
فتحٌ تراهُ المعالي نور اعينها ... ويكتسي المجد فيه يومُ زينتهِ
اذا الرواة اتوا في ذكره سطعت ... مجامرُ النّدِ من الفاظ قصّتهِ
لا زلت يا ابن عليّ ركن بيت علاً ... تهوي الوجوه سجوداً نحو كعبتهِ

---

(١) الجزع منعطف الوادي او محلة القوم . والحرة ارض ذات حجارة سوداء

(٢) اشارة الى فلك نوح والطوفان . وهو يشبه دمعه بالطوفان ورضاهم بالفلك

النهضة العلمية الحديثة

ان الروح العلمية التي ايقظت اوربا من سبات القرون المظلمة فكانت اساس مدنيتهم الحاضرة لم تؤثّر على حياة الاداب العربية قبل القرن التاسع عشر : فبعد ان كان العرب في ايام العباسيين اساتذة اوربا وحاملي نور العلوم القديمة اليها اخذوا بالتأخّر ، ولم يلبثوا ان غشيهم ظلام دامس لم يخرجوا منه حتى اضاء عليهم نور التمدن الحديث ، فحرّك هممهم واثار عزائمهم فاندفعوا الى مناهل العلم يروون منها نفوسهم



محمد علي باشا

بدأت هذه النهضة اولاً بحملة نابوليون على مصر التي حملت معها للشرق جراثيم الحياة العلمية الحديثة ، وثانياً بارتقاء محمد علي باشا [illegible] مصر : فان

ذلك الامير فتح لاهل مملكته سبل المعارف والحضارة ، اذ انشأ في البلاد المدارس المنظَّمة ، وبعث الى اوروبا بالبعوث العلمية التي كانت بعدئذٍ اساس النهضة الحديثة

ثم اخذ اهل الغرب بتأسيس المنشئات العلمية في سوريا ومصر ، فتنبّهت الافكار وكثر الاقبال على الادب ، ونشأ على اثر ذلك عدد كبير من امراء الاقلام وابطال العلم وخطباء المنابر . وما اشبه هذه النهضة بالنهضة الادبية في صدر العصر العباسي يوم احتكّ العرب بالعلوم اليونانية والفارسية وغيرها فنبغ منهم قادة الافكار في القرون الوسطى . ومن مميّزات هذه النهضة الحديثة انتشار المدارس الراقية والجمعيات والمطابع والصحف العربية ، وشيوع تعلم اللغات الاجنبية ، وانصراف الافكار الى المبادىء الدستورية والحرية الفكرية ، والى ترقية المرأة وحسبانها ركناً مهماً في العمران

ومن مظاهرها الحديثة في القرن العشرين تحوُّل الفكر الادبي الى وجوب التمحيص والانتقاد وعدم التقيّد باساليب السلف واوضاعهم ، واتجاه الشعر الى مواضيع خيالية واساليب مبتكرة لم تعهد من قبل . ولا شك ان الانتقاد (التمحيص العلمي) والتحوّل الشعري وان كانا حديثي العهد سيُصبحان من اكبر الظواهر الادبية في الاجيال التالية

ولما كانت هذه النهضة تقضي بذاتها كتاباً مفرداً رأينا ان نقف في هذا الكتاب عند هذه الغاية ، فانما هو توطئة عامة للطلاب والادباء ، ونكتفي الآن بكلمة في ادب القرنين الاخيرين وبامثلة من وجهتيه النثرية والشعرية .

الادب العربي

في القرن التاسع عشر

من يراجع النصوص العربية في العصر العثماني يتحقق ما اشرنا اليه سابقاً من ان الضعف الادبي بلغ معظمه في القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد ، وتعدَّاهما حتى كاد يبلغ منتصف القرن التاسع عشر[1] . ويظهر ذلك الضعف على احد وجهين

١ — تكلُّف السجع والبديع محاكاةً لكبار المترسِّلين السابقين

٢ — الركاكة الانشائية بل الاسفاف الى دركات العاميّة

فلما اخذ العالم العربي يستيقظ من سباته الاجتماعي والفكري ، اخذ الأدب يستيقظ ايضاً . على ان يقظته كانت تدريجيَّة ، واول درجاتها التخلص من الركاكة التي غشيت النظم والنثر . فضُبطت قواعد اللغة وعُمّمت في معاهد العلم — ولعل ذلك اهمُّ ما قام به روّاد النهضة الحديثة

وفي اواخر القرن التاسع عشر خطوا خطوة اخرى في سبيل الاصلاح فاخذوا يتحرّرون من قيود الصناعة البديعيّة ، وكان للصحافة والطباعة والمعاهد العصرية يدٌ تذكر في ذلك . نعم ان تحرّرهم لم يكن ثورةً مفاجئة ، ولكنه كان على بطئه توطئة صالحة لنهضة القرن العشرين

وقد نبغ في القرن التاسع عشر عشرات من العلماء والادباء نذكر منهم —

بطرس كرامة	توفي	١٨٥١ م
الشهاب الالوسي	«	١٨٥٢

---

(١) راجع ذلك مطولاً في كتابنا « تطور الاساليب النثرية »

عبد الباقي العمري	توفي	١٨٦٢
ناصيف اليازجي	〃	١٨٧١
بطرس البستاني	〃	١٨٨٣
سليم البستاني	〃	١٨٨٤
اديب اسحق	〃	١٨٨٥
فارس الشدياق	〃	١٨٨٧
عبدالله فكري	〃	١٨٨٩
يوسف الاسير	〃	١٨٩٠
ابراهيم الاحدب	〃	١٨٩١
عبدالله نديم	〃	١٨٩٦
نجيب حداد	〃	١٨٩٩

ومحن ادركوا مطلع القرن العشرين

سامي البارودي	توفي	١٩٠٤
ابراهيم اليازجي	〃	١٩٠٦
ابراهيم المويلحي	〃	١٩٠٦
خليل الخوري	〃	١٩٠٨

واكثر هؤلاء الادباء ممن ملكوا ناصيتي النظم والنثر على السواء وهاك امثلة لثلاثة من مشاهيرهم

التردد

لاديب اسحق

اذا كنت ذا رأي فكن فيه مُقدِما   فانَّ فساد الرأي ان تترددّا

ووالِ الزمانَ اذا والاكَ ، وخذ منهُ ما اعطاكَ : فهوَ ملولٌ يألف الصدّ وبخيلٌ لا يأنف الرد . وانتهز فُرَصَ الحوادث فالعمر وان طال ، اقصرُ من ان يسع المطال . واعتبر بالذين يقتلون الايامَ ، بين الإحجام والإقدام ، ويؤجّلون للغد ما امكن بالامس الى ان يمتنعَ الامكان ، بما يحول دونه من مصاعب الزمان : كيف تلاشت احوالهم ، وساءَ مآلهم ، فصاروا الى الضعف بعد القوّة والهرَم بعد الفتوّة ، والخمول بعد النباهة ، والخسف بعد الوجاهة ، حتى عاد مجدُهم صغارا ومُسخ فضلهم عارا

وانظر الى الذين يُنيطون الاقوال باطراف الاعمال ، ويستلبون الاوقات من مخالب الآفات ، وينتهزون الفرص كيفما سنحت ، ويدخلون ابواب السعي متى فتحت : هل زلّت بهم الاقدام ، ام ندموا على الإقدام ، ام اسفوا كما يأسفُ المهملون ، ام خُسفوا كما خُسف المترددون ؟

اوَما تراهم في ذُروةِ المجد ، وربوة النعمة ، وعقوة[1] الحرّية ، لا يبلغ شأوَهم الساعونَ ، ولا يمسُّهم الشقاء ، ولا ينالهم الظالمون بسوء . فهم القادرون اذا رغبوا ، والمدركون اذا طلبوا ، والعالمون اذا نطقوا ، والسابقون اذا لحقوا . تبتسم الحياة لشيوخهم ، كما يبتسم الموت لفتياننا ، ويروق الوجود لفقرائهم ، كما يروق الغنى لاغنيائنا ، حتى كأنَّ الزمان عاهدهم على الراحة ، وواعدهم باستمرار الهناء ، كما واثقنا على الجهد واستقرار البلاء

(١) العقوة اي الساحة

قصيدة محمود سامي البارودي

يصف بها سكان كريت حين خرجوا عن طاعة السلطان ويتشوق الى مصر

اخذ الكرى بمعاقد الاجفانِ وهفا السُّرى بأَعنَّة الفرسانَ
والليل منشور الذَّوائب ضاربٌ فوق المتالع والربى بجِرانِ (١)
لا تستبين العين في ظلمائه الاَّ اشتعال اسنَّة المرَّان (٢)
تسري به ما بين لجَّة فتنة تسمو غواربُها على الطوفانِ (٣)
قومٌ ابي الشيطان الاَّ خُسرهم فتسلَّلوا من طاعة السلطان
ملأُوا الفضاء فما يبين لناظرٍ غير التماع البيض والخرصان (٤)
فالبدر اكدرُ والسماء مريضة والبحر اشكلُ والرماح دواني (٥)
والخيل واقفة على ارسانها لِطراد يوم كريهة ورهان
وضعوا السلاح الى الصباح واقبلوا يتـكلَّمون بالسن النيران
حتى اذا ما الصبح اسفر وارتمت عيناـي بين ربى وبين مَجان (٦)
فاذا الجبـال اسنَّة واذا الوها د أعنَّة والمـاء احمر قانِ
فتوجَّستْ فرط الركاب ولم تـكن لتهابَ فامتنعت على الأَرسان
فزعت فرجَّعت الحنين وانما تحنانها شجن من الاشجان
ذكرت مواردها بمصر واين من ماء بمصر منازل الرومان
والنفس لاهية وان هي صادفت خلفاً باول صاحب ومكان
فسقى السماءُ محلَّةً ومقامة في مصر كلَّ مرنَّةٍ مرنان (٧)
حتى تعود الارض بعد ذبولها شتَّى النماء كثيرة الالوان

---

(١) المتالع مسائل الماء في الجبال . ضارب بجران اي مستقر . والذوائب خصل الشعر
(٢) المرَّان الرماح (٣) الغوارب اعالي الموج (٤) الخرصان الرماح
(٥) الاشكال ما يخالط بياضه احمرار يريد به هنا لون الدم (٦) المجانىء الحفر
(٧) اي كل سحابة ذا صوت

بلدٌ خلعت بها عذار شبيبتي — وطرحت في يُمنى الغرام عناني
فصعيدُها احوى النبات وسرحها — أَلْمى الظلال وزهرها متداني[1]
فارقتها طلباً لما هو كائن — والمرء طوع تقلُّب الازمان
حمل الزمان عليّ ما لم أجنهِ — ان الاماثل عُرضةُ الحدثان
نقموا عليَّ وقد فتكت شجاعتي — ان الشجاعة حلية الفتيان
فليهنأ الدهرُ الغيور برحلتي — عن مصر ولتهدأْ صروف زماني

ومما قاله في منفاه بجزيرة سيلان (سرنديب)

ردُّوا عليَّ الصِّبا في عصريَ الخالي — وهل يعود سواد اللمَّة البالي
ماضٍ من العيش ما لاحت مخائله — بصفحة الفكر الاّ هاج بلبالي
لم يدر من بات مسروراً بلذَّته — انّي بنار الاسى من هجره صالي[2]
يا غاضبين علينا هل الى عدَةٍ — بالوصل يومٌ اناغي فيه اقبالي
لم اجنِ في الحب ذنباً استحق به — عتباً ولكنها تحريف اقوال
ومن اطاع رواة السوء نفّرهُ — عن الصديق سماعُ القيل والقال
لا عيب فيَّ سوى حرّيةٍ ملكت — اعنّتي عن قبول الذلّ بالمال
تبعت خطة آبائي فسرت بها — على وتيرة آدابٍ وآسال[3]
فما يمر خيال الغدر في خلَدي — ولا تلوح سمات الشر في خالي
قلبي سليمٌ ونفسي حرّة ويدي — مأْمونة ولساني غير ختّال
لكنني في زمان عشت مغترباً — في اهله حين قلّت فيه امثالي
حلبت شطريه من يسرٍ ومعسرة — وذقت طعميه من خصب وإِمحال
فما اسفت لبؤس بعد مقدرةٍ — ولا فرحت بوَفر بعد اقلال

(١) الاحوى الاخضر . والالمى المائل الى السواد (٢) صالي محترق
(٣) يقال على آسال من ابيه اي على علامات واخلاق

عفافةٌ نزَّهت نفسي فما عاقت بلَوثةٍ من غبار الذمِّ اذيالي
فاليوم لا رسَني طوعُ القياد ولا قلبي الى زهرة الدنيا بميّال
لم يبق لي أربٌ في الدهر اطلبهُ الاّ صحابة حرٍّ صادق الخال[1]
واين ادركُ ما ابغيه من وطرٍ والصدق في الدهر اعيا كلَّ محتال
لا في سرنديبَ لي إلفٌ اجاذبه فضلَ الحديث ولا خلٌّ فيرعى لي
ابيت منفرداً في رأس شاهقة مثل القطاميّ فوق المربأ العالي[2]
شوقٌ ونأي وتبريح ومعتبة يا للحميَّةِ من غدري واهمالي
اصبحت لا استطيع الثوب اسحبهُ وقد اكون وضا في الدرع سربالي
ولا تكاد يدي تجري شبَا قلمي وكان طوعَ بناني كلُّ عسّال[3]
فان يكن جفَّ عودي بعد نضرته فالدهرُ مصدر إِدبارٍ واقبال
راجعت فهرس آثاري فما لمحت بصيرتي فيه ما يُزري باعمالي
فكيف ينكر قومي فضل بادرتي وقد سرَت حِكمي فيهم وامثالي
انا ابن قولي وحسبي في الفخار به وان غدوت كريم العمّ والخال
فانظر لقولي تجد نفسي مصوَّرة في صفحتيه فقولي خطُّ تمثال

(١) الخال ما نتوسم به الخير (٢) المربأ المحل العالي الذي يقف فيه طائر كالقطامي (الصقر) وامثاله (٣) شبا القلم حده . والعسال الرمح

من قصيدة للشيخ ناصيف اليازجي

في فؤاد باشا الوزير العثماني المشهور يوم قدومه الى سوريا على اثر حوادث السنة الستين في لبنان

هذا فؤادُ المُلْكِ ادرك قُطرنا بالشام يُصلحُ بالرشادِ فسادَهُ
نادى منادي العرش يوم قدومهِ أَليومَ قد رحمَ الالهُ عبادهُ
وعدَ الالهُ لكلِّ كربٍ فرجةً واللهُ ليس بمخلفٍ ميعادهُ
مولًى يؤدِّب عبدهُ بجراحهِ لكن يهيِّئ قبل ذاكَ ضمادَهُ
طُبعَ الانامُ على الخصام سجيَّةً في كلِّ شعبٍ وارثًا اجدادهُ
لا يستبيحُ الوحشُ قتلَ نظيره والإِنس يقتلُ تارةً اولاده
قدمَ الوزيرُ وقد تضرَّمتِ اللظى في الارض اذ أورى الفسادُ زنادهُ
فأفاضَ لُجَّتهُ على اركانها فوراً فأطفأ جمرَها وابادهُ
خطْبٌ شديدٌ قد تلقَّاه القضا باشدَّ منه هادماً ما شاده
قد كان موصوداً على أقفالهِ واليومَ فكَّ محمَّدٌ أَرصادهُ
يقظانُ يستقصي الامورَ بنظرةٍ تطوي وتنشرُ شرقنا وبلادهُ
عمَّ البلاءُ رجالهُ وعيالهُ وجبالهُ ورمالهُ ووِهادهُ[1]
فاتاه من اعطى الامانَ لخائفٍ واخاف من كان الامان وسادهُ
أَلقى على نار الضغينةِ بَردهُ وعلى العُراةِ بُرودهُ ومهادهُ
قد أَصبحت كلُّ البلاد عيالهُ إذ كان يرزُقُ كلَّها إمدادهُ
هذا امين الدولة الراعي الذي جعل الصيانةَ حجَّهُ وجهادهُ
اعطاه معنٌ حلمهُ لكنه لم يُعطِ معناً حزمَهُ ورشاده
لك ينبغي الشِّعر الذي لا ينبغي لسواك يا من قد رفعتَ عمادهُ

---

(١) الضمير راجع الى الشرق

هيَّجتَ لي شوقاً اليه وكنتُ قد أهملتهُ لمَّا رأيت كسادهُ
قد قلَّ من انشدتهُ شعراً فلم اندم عليه محرّماً إنشادهُ
حتى اتيتَ فقالَ لي مضمارُهُ نَبِّهْ يراعكَ أَنْ يُجِدَّ طرادهُ

وقال من قصيدة يرثي بها الامير حيدر ابي اللمع

المرءُ في الدنيا خيالٌ قد سرى والعيش مثلُ الحلم في سِنةِ الكرى
والناس ركبٌ قد اناخَ بمنزلٍ فبنى على الطرُق المدائنَ والقرى
لا مرحباً ان جاءتِ الدنيا ولا اسفاً اذا ولَّتْ وما الدنيا ترى؟
هي كالسَّراب يزيدُ مهجةَ واردٍ ظَمأً ويملأُ مقلتيهِ منظرا
غرَّارةٌ يسبي الحكيمَ خداعُها مكراً ويُطغي الفيلسوفَ الاكبرا
عشنا كأنا لم نعش ونموت عن كثَبٍ كأنَّا لم نكن بين الورى
نبكي ونضحك للمنيَّةِ والمنى وكلاهما عَبثٌ يدورُ مكرَّرا
بتنا ننادي حيدراً ويحي وما يجُدي اذا بتنا ننادي حيدرا؟
هذا الاميرُ قضى فسالت أَكبدٌ ومدامعٌ وجرى القضاء بما جرى
لم تحمهِ البيضُ الصَّوارم والقنا والشوسُ والجُرد السَّلاهب والذُّرى[1]
هـذا الذي كنَّا نعيش بظلِّهِ قد صار تحت ظلالِ رمسٍ اقفرا
قامت تشيّعهُ الرجال مشخَّصاً ومضت تشيّعه القلوب مصوَّرا
اولى العبادِ برحمةٍ من لم يكن عرفَ المظالمَ في العبادِ ولا درى
ويلاهُ من هذي الحياة فانها كالظل تحتَ الشمس يمشي القهقرى
ان الحياة هي الشبابُ وان تزد نقصت كلفظٍ بالزيادة صغرا
نرجو من الدنيا الدوام ونفسُها لحُطامها مما يباعُ ويشترى
دُوَلٌ واجيالٌ تمرُّ وتنقضي فيها وتبقى الكائنات كما ترى

(١) الشوس الشجعان . الجرد السلاهب الخيول الطويلة

الادب في القرن العشرين

يمتاز هذا القرن (ولم نطوِ منه بعد غير ثلثه الاول) بثلاث مزايا ادبية

١ — بالتحرّر من قيود الصناعة البديعيّة ، وباحياء الاسلوب البسيط المعروف بالسهل الممتنع

٢ — بمحاولة الخروج عن المواضيع القديمة واستيحاء الخيال من الطبيعة وروح الحضارة

٣ — محاولة التفنُّن في اساليب النظم والنثر تفنناً تبرز فيه الشخصيات الادبية بروزاً اوضح واشدّ

ومن العبث ان نحاول في هذا الموجز الالمام بكل من نبغ في نهضتنا الاخيرة من مترسّلين وشعراء ونقّاد وعلماء ، فنترك ذلك للمطوّلات ونجتزىء بعرض بعض النّماذج المشهود لها

وقد اخترناها لادباء مشهورين تُوفُّوا في هذا القرن او بلغوا به آخر مراحلهم الادبية



ايها الاخ العامل

من مقال لولي الدين يكن ، وهو تركي الاصل ولكنه عربي القلم والادب وقد عرف بنزعته الى الحرية . ويمتاز اسلوبه بقصر العبارات وتواثب المعاني :

لبّيك إلفاً ۰ هذا يمين الاخاء امدّه اليك ، فان كنت خاطب ودٍّ فالود لك ، وان كنت شاكي ظلم فيراعي لسانك ، وبياني ترجمانك ، وانا وحياتي

دَريئة[1] لك من المخاوف · لعمري لقد استنجدت بواهن القوى ، منعقد اللسان أَسير العجز ، حليف الجهل · فاذا كان يغنيك شيءٌ من هذه الخلاّت فبالصدق الذي لا ادّخر سواهُ ، وبالفؤاد الذي لم تستأسرهُ بغية وان عزّت ولم يفزعهُ هول وان جلّ

ان بين الحيطان السُّود تحت سحب الدخان ، امام النار التي يذكيها الكير الزافر ، وتحت اعماق من الارض ذَرعُها ثلاثمئة ذراع او اكثر ، لرجالاً شُعث النواصي غبر الوجوه ، نبا عن اجسادهم النعيم ، واجفلت عنهم السعادة ، يخدمون بني الانسان كأن لم يكونوا من بني الانسان · اذا جاء عيد سرّهم منهُ قطعة لحم يأكلونها مع اطفالهم ، وجرعة من خمر يشربونها معهم · تُقام الافراح وتزيّن البلدان ، ويزدلف الناس الى الناس تفرُّجاً وتنزهاً ، وهم في ظلماتهم غارقون · وقد ينفجر غاز فيتطايرون في اثناء لهيبهِ ، ويدهم سيلٌ فيغيبون في جائشات غواربه[2] ، وليس لاهلهم من حامٍ ، ولا لبنيهم من آوٍ فيكفيهم حسرات الفراق ، ولوعات الهموم

يا نوّاب الامة ! يسألكم خلاّق الامة ماذا تريدون بالامة ? هنيئاً لكم من الجاه والحسب والذكر ما نلتم · بلى ! هذه الالسن تزيدكم منها بقدر ما تطلبون · ولكن انظروا الى حاجة البلاد فانيلوها حاجتها ، ولا تُذهبوا هذه القصور بالذهب الوهّاج ، وتنطقوا بين حجراتها بما يخجلكم غداً

العمال ينتظرون ، ورجال القلم من اخوانهم ينتظرون ، فاذا جرتم عن مَهيَع[4] الرشاد قلنا وفعلوا ، وصحنا وفزعوا · ونحن لكم ابقى ، وانتم في حاجة الينا

---

(١) الدريئة هنا بمعنى السّتر (٢) اي امواجه المائجة (٤) المهيع الطريق

الغد

لمصطفى المنفلوطي وهو احد امراء البيان ويمتاز بجودة الفاظه واتزان عباراته وولعه بالصور المجازية في تراكيبه

الغدُ بحرٌ خِضمٌّ زاخرٌ يعُبُّ عبابهُ[١] ، وتصطخبُ امواجهُ ، فما يدريكَ إن يحمل في جوفهِ الدرّ والجوهر ، او الموتَ الاحمر

الغدُ صدرٌ مملوءٌ بالاسرار الغزار . تحوم حولهُ البصائر ، وتتسقّطهُ[٢] العقول ، وتستدرجهُ الانظار ، فلا يبوحُ بسرٍّ من اسرارهِ الاَّ اذا جادت الصخرة بالماء الزلال

كأني بالغد وهو كامنٌ في مكمنهِ ، رابض في مجثمهِ ، متلفِّع بفضل إزاره[٣] ، ينظر الى آمالنا واماننا نظرات الهزء والسخرية ، ويبتسمُ ابتسامات الاستخفاف والازدراء

يقول في نفسهِ لو علم هذا الجامعُ أَنَّهُ يجمع للوارث ، وهذا الباني انهُ يبني للخراب ، وهذا الوالد انه يلد للموت ، ما جمع الجامع ، ولا بنى الباني ولا ولد الوالد

ذلَّلَ الانسان كلَّ عقبة في هذا العالم ، فاتخذ نفقاً[٤] في الارض ، وصعد بسلَّم الى السماء ، وعقد ما بين المشرق والمغرب باسباب من حديد وخيوط من نحاس[٥]

---

(١) يعب عبابه يرتفع موجه (٢) تسقّط الخبر اخذه شيئاً فشيئاً

(٣) تلفع اي تلحَّف او تغطى (٤) النفق السرب ينتهي بمخرج . يشير الى نفق القطارات الحديدية في بطن الارض (٥) الاسباب الحبال وكل ما يوصل بين الشيئين — يشير الى اتصال العلائق بين اقطار الارض بواسطة قضبان الحديد واسلاك الكهرباء

انتقل بعقلهِ الى العالم العلويّ ، فعاش في كواكبه ، وعرف اغوارَها وانجادها ، وسهولها وبطاحها وعامرَها ورَطبها ويابسها

وضع المقاييسَ لمعرفة ابعاد النجوم ومسافات الاشعّة ، والموازين لوزن كرة الارض مجموعةً ومتفرقةً

غاص في البحار فعرَف اعماقها ، وفحص تربتها ، وازعج سكانها ، ونبش دفائنها وسلبها كنوزها ، وغلبها على لآلئها وجواهرها

نفذَ من بين الاحجار والآكام[1] الى القرون الخالية ، فرأى اصحابها وعرف كيف يعيشون ، واين يسكنون ، وماذا يأكلون ويشربون

تسرَّب من منافذ الحواسِّ الظاهرة الى الحواس الباطنة ، فعرف النفوس وطبائعها ، والعقول ومذاهبها ، والمدارك ومراكزها ، حتى كاد يسمع حديث النفس ودبيب المنى

اخترق بذكائهِ كلَّ حجاب وفتح كل باب ، ولكنهُ سقط امام باب الغد عاجزاً مقهوراً لا يجرأُ على فتحهِ ، بل لا يجسر على قرعهِ ، لانه باب الله. والله لا يُطلع على غيبهِ احداً



(١) يشير الى ما وقف عليه العلماء من الحقائق التاريخية بعد الاطلاع على الآثار الجيولوجية

العبودية

من مقالة لجبران خليل جبران

وقد كان زعيم ادباء المهجر ويمتاز باسلوبه الخيالي الحرّ وهو اسلوب دمث الالفاظ حسن الجرس تكثر فيه الرموز والاشارات

ها قد مرّ سبعة الاف سنة على ولادتي الاولى ، وللآن لم ارَ غير العبيد المستسلمين والسجناء المكبّلين

قد جبت مشارق الارض ومغاربها ، وطُفت في ظلام الحياة ونورها وشاهدت مواكبِ الامم والشعوب سائرة من الكهوف الى الصُّروح ولكنني لم ارَ للآن غير رقابٍ منحنية تحت الاثقال ، وسواعد موثقة بالسلاسل ، وركب جاثية امام الاصنام

اتّبعت الانسان من بابل الى باريس ، ومن نينوى الى نيويورك ، ورأيت آثار قيوده مطبوعةً على الرمال بجانب آثار اقدامه ، وسمعت الاودية والغابات تردّد صدى الاجيال والقرون

دخلت القصور والمعاهد والهياكل ، ووقفت حذاءَ العروش والمذابح والمنابر ، فرأيت العامل عبداً للتاجر ، والتاجر عبداً للجنديّ ، والجنديّ عبداً للحاكم ، والحاكم عبداً للملك ، والملك عبداً للكاهن[1]

اتّبعت الاجيال من ضفاف الكنج الى شاطئ الفرات الى مصبّ النيل الى جبال سينا الى ساحات اثينا الى كنائس رومة الى ازقّة القسطنطينية الى بنايات لندن ، فرأيت العبودية تسير في كل مكان في موكب العظمة

---

(١) هذا يصدق في بلاد دون بلاد

والجلال، والناس ينحرون الفتيان والعذارى على مذابحها ويدعونها آلهة، ثم يسكبون الخمور والطيوب على قدميها ويدعونها ملكاً، ثم يحرقون البخور امام تماثيلها ويدعونها نبياً، ثم يخرّون ساجدين لديها ويدعونها شريعة، ثم يتحاربون ويتقاتلون من اجلها ويدعونها وطنيةً، ثم يستسلمون الى مشيئتها ويدعونها ظلّ الله على الارض، ثم يحرقون منازلهم ويهدمون مبانيهم بارادتها ويدعونها اخاء ومساواة، ثم يجدّون ويجاهدون في سبيلها ويدعونها مالاً وتجارة

وله من مقال موضوعه ايتها الارض

ما اكرمكِ ايتها الارض وما اطول اناتكِ . ما اشدَّ حنانكِ على ابنائك المنصرفين عن حقيقتهم الى اوهامهم، الضائعين بين ما بلغوا اليه وقصّروا عنه

نحن نضجُّ وانت تضحكين . نحن نجدِّف وانت تباركين . نحن ننجّس وانت تقدّسين . نحن نهجع ولا نحلم، وانت تحلمين في سهركِ السرمدي . نحن نكلِّم صدركِ بالسيوف، وانتِ تغمرين كِلامنا[1] بالزيت والبلسم . نحن نستودعك الجيَف، وانتِ تملأين بيادرنا بالاغمار[2] ومعاصرنا بالعناقيد . نحن نصبغ وجهك بالدم، وانتِ تغسلين وجوهنا بالكوثر[3] . نحن نتناول عناصركِ لنصنع منها المدافع والقذائف، وانتِ تتناولين عناصرنا وتكوّنين منها الورود والزّنابق

---

(١) نكلم اي نجرح والكلام الجروح

(٢) الاغمار حزم القمح

(٣) الكوثر نهر في الجنة ويراد به هنا الماء العذب

في الشعر

شعراء القرن العشرين طبقتان — طبقة بدأت حياتها الشعرية في اواخر القرن الماضي ولكنها توعرعت واكتملت في هذا القرن، وطبقة نشأت في القرن العشرين ولا تزال في غمراته

وقد اشتهر من الطبقة الاولى جماعة كبيرة نخصُّ منهم بالذكر خمسة — : احمد شوقي، وحافظ ابراهيم، وخليل مطران، وجميل الزهاوي، ومعروف الرصافي، وسنعرض للقارىء نماذج من منظومهم. ومن مشاهير هذه الطبقة سليمان البستاني وقد اشتهر بنقله الياذة هوميروس نظماً الى العربية

اما الطبقة الجديدة فنتركها لغير هذا الموجز، وانما نذكرُ من منظومها هنا قطعتين تمثّلان حركة التجدّد في الشعر العربي الحديث [1]

. . . . .

والحق يقال ان الشعراء الحديثين قد جروا شوطاً بعيداً في مضمار التطور. واذا كان الجمال الفني قائماً على سموّ الخيال وانّقاد العواطف، وسلاسة الاسلوب، وصدق التعبير عن الحياة والطبيعة، فليس من المغالاة ان نقول ان في ادبنا «الحي» كثيراً من عناصر التفوّق، وانَّ في روحه واسلوبه ما يحملنا على التفاؤل بمستقبل ادبي فائق الازدهار

---

(١) وقد اخترنا هاتين القطعتين لشاعرين من شعراء المهجر احدهما من اميركا الشمالية والآخر من اميركا الجنوبية . على ان لشعرائنا المعاصرين في الاقطار العربية وفي المهاجر كثيراً من مثل هذه النفثات الرائعة . ولقد يسوغ لنا ان نعد بعضها من روائع الشعر في كل الاجيال

على قبر توتنخ امون [1]

لاحمد شوقي (توفي ١٩٣٢) وكان يلقب بامير الشعراء

قفي يا أُختَ (يوشع) [2] خبِّرينا … احاديث القرون الغابرينا

وقصّي من مصارعهم علينا … ومن دولاتهم ما تعلمينا

فمثلك من روى الاخبار طرًّا … ومن نَسبَ القبائل اجمعينا [3]

أأُمَّ المالكين بني (أمونٍ) … ليهنكِ انهم نزعوا (امونا) [4]

فكانوا الشُّهبَ حين الارض ليلٌ … وحين الناسُ جِدُّ مضلَّلينا

مشت بمنارهم في الارض (روما) … ومن انوارهم قبست (أثينا)

ملوكُ الدهرِ بالوادي اقاموا … على (وادي الملوك [5]) محجَّبينا

فربَّ مصفَّدٍ منهم وكانت … تساق له الملوك مصفَّدينا

تقيَّدَ في التراب بغير قيد … وحلَّ على جوانبه رهينا

تعالى الله كان السحرُ فيهم … أليسوا للحجارة مُنطِقينا

غدَوا يبغون ما يبقى وراحوا … وراءَ الآبدات مخلَّدينا

اذا عمدوا لمأثرة اعدُّوا … لها الاتقان والخُلُق المتينا

وليس الخلد مرتبة تُلقَّى … وتؤخذ من شفاه الجاهلينا

ولكن منتهى هممٍ كبارٍ … اذا ذهبت مصادرها بقينا

وسرُّ العبقريَّة حين يسري … فينتظم الصنائع والفنونا

وآثار الرجال اذا تناهت … الى التاريخ خيرِ الحاكمينا

---

(١) توتنخ امون فرعون قديم اكتشف قبره حديثاً وكان حديث العالم لكثرة ما وجد فيه من التحف والنفائس (٢) اخت يوشع اي الشمس . ويوشع هو يوشع بن نون (٣) نسب القبائل ذكر انسابهم (٤) نزعوه اي شابهوه . وبنو امون ملوك مصر نسبة الى امون معبودهم (٥) الوادي اي مصر ، ووادي الملوك محل مدافن الفراعنة قرب الاقصر

واخذُكَ من فمِ الدنيا ثناءً وتركك في مسامعها طنينا
فغالي[1] في بنيكِ الصيد غالي فقد حُبَّ الغلوّ الى بنينا
شباب قُنَّعٌ لا خير فيهم وبورك في الشباب الطامحينا
فناجيهم بعرشٍ كان صنواً لعرشك في شبيبته سنينا
وكان العزُّ حليتَه وكانت قوائمه الكتائب والسفينا
وتاجٍ من فرائده (ابنُ سيتي) ومن خرزاته (خوفو ومينا)[2]
علا خدًّا به صعرٌ وانفاً ترفَّع في الحوادث ان يدينا

. . . .

خليليَّ اهبطا الوادي وميلا الى غُرف الشموس الغاربينا
وسيرا في محاجرهم رويداً وطوفا بالمضاجع خاشعينا
وخصَّا بالعَمار وبالتحايا رُفات المجد من توتنخمينا[3]
وقبراً كاد من حسن وطيبٍ يضيء حجارةً ويضوع طينا
يُخال لروعة التاريخ قدَّت جنادله العلى من (طورسينا)
وكان نزيله بالملك يدعى فصار يلقَّب الكنز الثمينا
وقوماً هاتفين به ولكن كما كان الاوائل يهتفونا
فثَمَّ جلالةٌ قرّت ورامت على مرّ القرون الاربعينا[4]
جلال الملك ايام وتمضي ولا يمضي جلال الخالدينا
وقولاَ للنزيل قدوم سعدٍ وحيَّا الله مَقدمك اليمينا[5]
سلامٌ يوم وارتك المنايا بواديها ويوم ظهرت فينا

. . . .

---

(١) الضمير راجع الى مصر (٢) ابن سيتي وخوفو ومينا فراعنة مشهورون (٣) العمار التحيّة او الريحان (٤) رامت اقامت (٥) اليمين المبارك . اي قدمت قدوماً مباركا

خرجتَ من القبور خروج عيسى | عليك جلالةٌ في العالمينا
يجوب البرق باسمك كلَّ سهل | ويخترق البخارُ به الحزونا
وأُقسم كنت في لوزان شغلاً | وكنت عجيبة المتفاوضينا[1]
أَتعلم انهم صلفوا وتاهوا | وصدُّوا الباب عنا موصِدينا
ولو كنا نجرُّ هناك سيفاً | وجدنا عندهم عطفاً ولينا
سيقضي (كرزُنُ) بالامر عنا | وحاجات (الكنانة) ما قُضينا[2]

وله من قصيدة موضوعها انتصار الاتراك

الله اكبر كم في الفتح من عجبِ | يا خالدَ الترك جدِّد خالدَ العربِ[3]
صلحٌ عزيزٌ على حرب مظفَّرَةٍ | فالسيفُ في غمده والحقُّ في النُّصُبِ
ياحسنَ امنيَّةٍ في السيف ما كذبت | وطيب أُمنيةٍ في الرأي لم تخبِ
فقل لبانٍ بقولٍ ركنَ مملكةٍ | على الكتائب يبنى الملكُ لا الكتب
لا تلتمس غَلَباً للحق في اممٍ | الحقُّ عندهمُ معنىً من الغلب
لا خير في منبر حتى يكون له | عودٌ من السُّمرِ او عودٌ من القُضُب[4]

. . . . .

تحيَّةً ايها الغازي وتهنئةً | بآية الفتح تبقى آية الحِقَب
وقيِّماً من ثناءٍ لا كفاء له | الا التعجُّب من اصحابك النجب
الصابرين اذا حلَّ البلاءُ بهم | كالليثِ عضَّ على نابيه في النوب
لا الصعبُ عندهمُ بالصعب مركبه | ولا المحال بمستعصٍ عن الطلب
ولا المصائب اذ يُرمى الرجال بها | بقاتلاتٍ اذا الاخلاق لم تُصَب

(١) لوزان اشارة الى مؤتمر جمعية الامم فيها (٢) كرزن وزير انكلترا يومئذ. الكنانة اي مصر (٣) يقصد بخالد الترك مصطفى كمال (كمال اتاتورك). وخالد العرب خالد بن الوليد (٤) لا خير في المنبر ما لم تكن اعواده من الرماح او السيوف

بلوتهمْ فتحدَّثْ كم شددتَ بهم ... من مضمحلٍّ و كم عمَّرتَ من خرِبِ
أخرجت للناس من ذُلٍّ ومن فشل ... شعباً وراء العوالي غير منشعب
لما اتيتَ ببدر[1] من مطالعها ... تلفَّت البيت في الاستار والحجب
وهشَّت الروضة الفيحاء ضاحكةً ... الى المنوَّرة[2] المسكيَّةِ التُرب
ومسَّت (الدار) از كى طيبها واتت ... بابَ الرسول فمسَّت اشرف العتب
وارَّج الفتح ارجاء الحجاز و كم ... قضى اللياليَ لم ينعم ولم يطب
وازَّينت امَّهات الشرق واستبقت ... مهارج الفتح في الموْشيَّة القُشُب
هزَّت (دمشق) بني (ايوب) فانتبهوا ... يهنّئون (بني حمدان) في (حلب)
ومسلمو الهند والهندوسُ في جذَلٍ ... ومسلمو مصر والاقباط في طرب
ممالكٌ ضمَّها الاسلام في رحِمٍ ... وشيجةٍ[3] وحواها الشرق في نسب

مصر والشام

حافظ ابراهيم (توفي سنة ١٩٣٢) وكان يدعى شاعر النيل

لمصرَ ام لربوع الشام تنتسب ... هنا العلى وهناك المجد والحسبُ
ركنانِ للشرق لا زالت ربوعهما ... قلبُ الهلال عليها خافق يجب
خدران للضّاد[4] لم تُهتَك ستورهما ... ولا تحوّل عن مغناهما الادب
امُّ اللغات غداةَ الفخر امهما ... وان سألت عن الآباء فالعرب
أيرغبان عن الحسنى وبينهما ... تلك القرابة لم يُقطع لها سبب
اذا أَلمَّت بوادي النيل نازلة ... باتت لها راسيات الشام تضطرب
وان دعى في ثرى الأهرام ذو ألَم ... اجابه في ذرى لبنان منتحب
لو اخلص النيل والاردنُّ ودَّهما ... تصافحت منهما الامواه والعشب

(١) اي بمعركة كمعركة بدر التي انتصر فيها المسلمون على مشركي العرب
(٢) اي المدينة المنورة (٣) متصلة القرابة (٤) اي موطنان للعربية

بالواديَينِ تمشّى الفخر مشيته يحفُّ ناحيتيه الجود والدأَب
فسال هذا سخاءً دونه دِيَمٌ وسال هذا مضاءً دونه القُضُب
نسيمَ لبنان كم جادتك عاطرة من الرياض وكم حيّاك منسكب
في الشرق والغرب انفاس مسعرّة تهفو اليك واكباد بها لهب
لولا طلاب العلا لم يبتغوا بدلاً من طيب ريّاك لكنّ العلا تعب
بارض (كولمبِ) ابطال غطارفة اسدٌ جياع اذا ما ووثبوا وثبوا[1]
لم يحمهم علَمٌ فيها ولا عدد سوى مضاءٍ تحامى وِرده النُّوَب
اسطولهم املٌ في البحر مرتحل وجيشهم عملٌ في البرّ مغترب
لهم بكل خِضمٍّ مسرب نهجٌ وفي ذرى كل طودٍ مسلك عجب
لم تبدُ بارقة في افق منتجَعٍ[2] الا وكان لها بالشام مرتقب
ما عابهم انهم في الارض قد نُثروا فالشهب منثورة مذ كانت الشهب
ولم يضرْهم سراءٌ في مناكبها فكل حيٍّ لهم في الكون مضطَرب
رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا الى المجرّة ركباً صاعداً ركبوا
او قيل في الشمس للراجين منتجع مدُّوا لها سبباً في الجو وانتدبوا
سعوا الى الكسب محموداً وما فتئت امُّ اللغات بذاك السعي تكتسب
فاين كان الشآميُّون كان لها عيش جديد وفضل ليس يحتجب
هذي يدي عن بني مصر تصافحكم فصافحوها تصافحْ نفسها العرب
فما الكنانة الا الشامُ عاج على ربوعها من بنيها سادة نجب
لولا رجال تغالوا في سياستهم منّا ومنهم لما لمنا ولا عتبوا
ان يكتبوا لي ذنباً في مودّتهم فانما الفخر في الذنب الذي كتبوا

(١) ارض كولمب اي اميركا ، يشير الى مهاجري لبنان وسوريا (٢) المنتجع مكان الارتزاق

وله في رثاء الشيخ محمد عبده

سلامٌ على الاسلام بعد محمّدٍ سلام على ايامه النَّضِراتِ
على الدين والدنيا، على العلم والحجى على البرِّ والتقوى ، على الحسنات
لقد كنت اخشى عاديَ الموت قبله فاصبحت اخشى ان تطول حياتي
فوا لهَفي والقبرُ بيني وبينه على نظرةٍ من تلكمُ النظرات
وقفت عليه حاسر الرأس خاشعاً كأني حيالَ القبر في عرَفات[1]
تباركتَ ! هذا الدين دينُ محمّد ايُترك في الدنيا بغير حماة ؟
تباركت! هذا عالِم الشرق قد قضى ولانت قناة الدين للغمزات
مددنا الى «الأعلام» بعدك راحنا فرُدَّت الى اعطافنا صفِرات
وجالت بنا تبغي سواك عيونُنا فعدن وآثرن العمى شرِقات
وآذَوك في ذاتِ الاله وانكروا مكانك حتى سوَّدوا الصفحات[2]
رأيتَ الاذى في جانب الله لذّة ورحتَ ولم تهمم له بشكاة
لقد كنتَ فيهم كوكباً في غياهب ومعرفةً في انفس نكِرات
ابنتَ لنا التنزيل حكماً وحكمةً وفرّقت بين النور والظلمات
ووفّقت بين الدين والعلم والحجى فاطلعت نوراً في ثلاث جهات
مشى نعشُه يختال عجباً بربّه ويخطر بين اللمس والقُبلات
تكاد الدموع الجاريات تُقلّه وتدفعه الانفاس مستعرات
بكى الشرق فارتجّت له الارض رجّة وضاقت عيون الكون بالعبرات
ففي الهند محزونٌ وفي الصين جازع وفي مصر باكٍ دائم الحسرات
وفي الشام مفجوع وفي الفرس نادب وفي تونسٍ ما شئت من زفرات
بكى عالَمُ الاسلام عالِم عصره سراج الدياجى ، هادم الشبهات

---

(١) من مناسك الحج (٢) اشارة الى خصوم محمد عبده

بكينا على فردٍ وانَّ بكاءنا على انفسٍ لله منقطعات
فيا منزلاً في عين شمس[1] اظلّني وارغم حسّادي وغمَّ عداتي
دعائمه التقوى ، وآساسه الهدى ، وفيه الايادي موضع اللّبِنات
عليك سلام الله مالك موحشاً عبوسَ المغاني مقفرَ العرَصات
لقد كنت مقصود الجوانب آهلاً تطوف بك الآمال مبتهلات
مثابةَ ارزاقٍ ومهبطَ حكمة ومطلعَ انوار وكنز عظات

قلعة بعلبك

خليل مطران

همٌّ فجر الحياة بالإدبارِ فاذا مرّ فهي في الآثارِ
والصِّبا كالكرى نعيمٌ ولكن ينقضي والفتى به غير داري
يغنم المرءُ عيشه في صباه فاذا بانَ عاش بالتذكارِ

. . . . .

إيهِ آثارَ بعلبكَّ سلامٌ بعد طول النوى وبُعدِ المزارِ
ووُقيتِ العفاءَ من عرَصاتٍ مقوياتٍ اواهلٍ بالفخارِ[2]
خرِبٌ حارت البريّة فيها فتنة السامعين والنظّارِ
مُعجزات من البناء كبارٍ لاناس ملء الزمان كبارِ
أَلبستها الشموس تفويفَ دُرٍّ وعقيقٍ على رداء نضارِ[3]
وتحلّت من الليالي بشاما تٍ كتنقيط عنبر في بهارِ
وسقاها الندى رشاشَ دموع شربتها ظوامىءُ الانوارِ[4]

---

(١) منزل الفقيد في عين شمس بمصر (٢) عرصات مقويات اي ساحات خاليات
(٣) النضار الذهب . والتفويف النسيج الرقيق او المخطط (٤) الانوار الزهور

زادها الشيب حرمةً وجلالاً توَّجتها به يدُ الأَعصارِ

. . . . .

معبدٌ للاسرار قام ولكن صنعهُ كان اعظم الاسرارِ
مثَّل القوم كلَّ شيءٍ عجيب فيه تمثيلَ حكمةٍ واقتدارِ
صنعوا من جماده ثمراً يُجنى ولكن بالعقل والابصار
وضروباً من كل زهرٍ انيق لم تفتْها نضارة الازهارِ
وشموساً مضيئة وشعاعاً باهرات لكنها من حجار
وطيوراً ذواهباً آيباتٍ خالدات الغدوّ والإبكارِ
في جنانٍ معلَّقات زواهٍ بصنوف النجوم والانوارِ
واسوداً يُخشى التحفُّز منها ويروع السكوتُ كالتزآرِ
عابسات الوجوه غيرَ غضابٍ باديات الانياب غير ضواري
تلك آياتهم وما برحت في كل آنٍ روائع الزوّارِ
ضمَّها كلّها بديعُ نظام دقّ حتى كأنها في انتثارِ
في مقام للحسن يعبد بعد الـ عقل فيه والعقل بعد الباري

. . . . .

اهلَ فينيقيا سلام عليكم يوم تفنى بقيَّة الادهار
خضتمُ البحرَ يوم كان عصيّاً لم يُسخَّر لقوّة من بخارِ
وركبتم منه جواداً حروناً قلقاً بالممرِّس المغوارِ
ان تمادى عدْواً بهم كبحوه واقالوه ان كبا من عثارِ
واذا ما طغى بهم اوشكوا ان يأخذوا لاعبين بالاقمارِ
غيرُ صعبٍ تخليد ذكر على الار ض لمن خلَّدوه فوق البحارِ
شيَّدوها للشمس دار صلاة واتمَّ الرومان حليْ الدارِ

هم دعاة الفلاح في ذلك العصر — واهل العمران في الامصارِ
نحتوا الراسيات نحت صخور — وأَبانوا دقائق الافكارِ
واجادوا الدُّمى [1] فجاز عليهم — انها الآمرات في الاقدارِ
سجدوا للذي هُمُ صنعوه — سجدات الإِجلال والاكبارِ
بعد هذا أَغايةٌ فترجّى — لتمامٍ ام مطمعٌ في افتخارِ ؟

الاهرام

له

شادَ فاعلى وبنى فوطّدا — لا للعلى ولا لهُ بل للعدى
مستعبدٌ أُمّته في يومهِ — مستعبدٌ بنيه للعادي غدا
اني ارى عدَّ الرمال ههنا — خلائقاً تكثر ان تُعدّدا [2]
صفرَ الوجوه ناديًا جباههم — كالكلإِ اليابس يعلوه الندى
محنيّةً ظهورهم خُرْس الخُطى — كالنمل دبّ مستكيناً مُخلدا
مجتمعينَ ابحراً منفرعيــن انهراً منحدرينَ صعّدا
اكلُّ هذي الانفس الهلكى غداً — تبني لفانٍ جدثًا مخلّدا ؟

. . . . .

يا ايها الموتى أَلم يُسمعكم — صوت المنادي صادعاً [3] مردّدا
قوموا انظروا السُّوقة فيما حولكم — تدوس هامات الملوك همّدا
قوموا انظروا العاديَ في امصاركم — يحكم فيها مستبدًّا ابِدا
قوموا انظروا اجسادكم معروضة — في مشهدٍ لمن يروم المشهدا
بعثٌ به يسألكم حساب ما — قدّمتمُ من راح منا واغتدى

---

(١) الصور او التماثيل البديعة (٢) يتخيّل هنا الوف العمال الذين سُخّروا لبناء الاهرام (٣) مجاهراً بالحق

لم يغنكم منه الثناء عالياً — والارض نهباً والملوك اعبُدا
وكان يغنيكم جميل الذكر لو — خفضتم اللحدَ وشدتم بالهدى
أخطأ من توهّمَ القبرَ له — حرزاً يقيه بالرّدى من الردى

ايها العلم

من قصيدة لجميل الزهاوي[1] انشدها في حفلة وطنية في بغداد
وهو قابض على العلَم العراقي

عش هكذا في علوٍّ ايها العلَمُ — فاننا بك بعد الله نعتصمُ
عش للعروبة عش للهاتفين لها — عش للالى في العراق اليوم قد حكموا
عش للعراق لواءَ الحكم تكلؤه[2] — عين العناية من شعب له ذِمم
عش خافقاً في الاعالي للبقاء وثق — بأنْ تؤيّدك الاحزابُ كلُّهم
جاءت تحيّيك هذا اليوم معلنةً — افراحها بك، فانظر، هذه الامم
ان أُحتُقرت فان الشعب محتقرٌ — او أُحترمت فان الشعب محترم
فان تعش سالمًا عاشت سعادته — وان تمت ماتت الامال والهمم
هذا الهتاف الذي يعلو فتسمعه — جميعه لك فاسلم ايها العلم

وله من قصيدة يصف شهداء العرب الذين شنقوا خلال الحرب الكبرى :

على كل عودٍ صاحبٌ وخليلُ — وفي كل بيت رنّة وعويل
وفي كل عين عبرة مُهراقة — وفي كل قلب حسرة وغليل
لقد ركبوا كور المطايا يحثّهم — الى الموت من وادي الحياة رحيل
اجالوا بهاتيك المشانق نظرةً — يلوح عليها اليأس حين تجول

---

(١) توفي سنة ١٩٣٦ (٢) تكلوءه . تحرسه

وبالناس اذ حفُّوا بهم يخفرونهم ... وقوفاً وفي ايدي الوقوف نصول

يرومون ان يلقَوا عدولاً فينطقوا ... وهيهات ما في الحاضرين عدول

دنوا فرقوها واحداً بعد واحد ... وقالوا وجيزاً ليس فيه فضول

فمن سابقٍ كيلا يقالَ محاذرٌ ... ومستعجلٍ كيلا يقالَ كسول

ولله ما كانوا يحسُّون من اذى ... اذ الارض تنأى تحتهم وتزول

واذ قربوا منها واذ صعدوا بها ... واذا مسّ هاتيك الرقاب حبول

وما هي الا رجفة تعتري الفتى ... مفاجأةً والرأس منه يميل

مشوا في سبيل الحق يحدوهم الردى ... وللحق بين الصالحين سبيل

ستبكي على تلك الوجوه منازل ... وتبكي ربوع للعلى وطلول

واعظِمْ بخطبٍ فيه للمجد شقوة ... وفي جسد العلياء منه نحول

. . . . .

سرت روحهم تطوي السماء لربّها ... وما غير ضوء الفرقدَين دليل

ولله عيدانٌ من الليل اثمرت ... رجالا عليهم هيبة وقَبول

ويا لك من رُزءٍ حمدتُ له البكا ... وقبّحتُ فيه الصبر وهو جميل

قد اسودّ ليل الظلم حتى كأنه ... ستارٌ على الارض الفضاء سديل

ويا لك من ليل يروع كأنما ... بكل مكان منه يرقب غول

وقد قرّ حتى قلت قد جمد الدجى ... وخلت بياض الصبح ليس يسيل

. . . . .

مضى ما مضى لا عاد واليومُ فاستمع ... الى لهجة التاريخ كيف يقول

ستُكتَب فيه بالدماء حوادث ... وتُقرأ للويلات فيه فصول

ويذهب هذا الجيلُ نِضوَ شقائه ... ويأتي سعيداً بالسلامة جيل

التربية والامهات

لمعروف الرصافي

هي الاخلاقُ تنبت كالنَّباتِ — اذا سُقيت بماء المكرُماتِ
تقوم اذا تعهَّدها المربّي — على ساق الفضيلة مثمراتِ
وتسمو للمكارم باتِّساقٍ — كما اتَّسقت انابيب القناةِ[1]
وتُنعش من صميم المجد روحاً — بازهارٍ لها متضوّعاتِ
ولم ارَ للخلائق من محلٍّ — يهذِّبها كحضن الامَّهاتِ
فحضن الام مدرسة تسامت — بتربية البنين او البناتِ
وليس ربيبُ عالية المزايا — كمثل ربيب سافلة الصفاتِ
وليس النَّبت ينبت في جِنانٍ — كمثل النبت ينبت في الفلاة

. . . . . .

فيا صدرَ الفتاة رحُبتَ صدراً — فانت مقرٌّ اسنى العاطفاتِ
نراك اذا ضممتَ الطفل لوحاً — يفوق جميع الواح الحياة
اذا استند الوليد عليك لاحت — تصاوير الحنان مصوَّرات
وما ضرَّ بان قلبك غير درسٍ — لتلقين الخصال الفاضلاتِ
فاوّل درس تهذيب السجايا — يكون عليك يا صدر الفتاةِ
فكيف نظنُّ بالابناء خيراً — اذا نشأوا بحضن الجاهلاتِ

---

(١) القناة قصبة الرمح

وهل يُرجى لاطفالٍ كمالٌ اذا ارتضعوا ثُديّ الناقصات
فما للامّهات جهلن حتى اتين بكل طيّاش الحصاةِ(١)
حنونَ على الرضيع بغير علم فضاع حنوّ تلك المرضعاتِ

. . . . .

أَأمَّ المؤمنين(٢) اليكِ نشكو مصيبتنا بجهل المؤمناتِ
فتلك مُصيبةٌ يا امُّ منها «نكاد نغصّ بالماء الفراتِ»
تخذنا بعدكِ العادات ديناً فاشقى المسلمون المسلماتِ
فقد سلكوا بهنَّ سبيل خُسرٍ وصدُّوهنَّ عن سبل الحياةِ
وقالوا شرعةُ الاسلام تقضي بتفضيل الّذين على اللواتي(٣)
وقالوا ان معنى العلم شيء تضيق به صدور الغانياتِ
وقالوا الجاهلاتُ اعفُّ نفساً عن الفحشا من المتعلماتِ
لقد كذبوا على الاسلام كذباً تزول الشمُّ منهُ مزلزلاتِ
أَليس العلم في الاسلام فرضاً على ابنائهِ وعلى البناتِ
فماذا اليوم ضرَّ لو التفتنا الى اسلافنا بعض التفاتِ
لئن وأدوا(٤) البنات فقد قبرنا جميع نسائنا قبل المماتِ

---

(١) الطياش الذي لا يقصد وجهاً واحداً لخفة عقله . والحصاة العقل والرأي
(٢) يخاطب السيدة عائشة زوجة النبي ويشكو اليها ما اصاب المسلمات بعدها
(٣) اي تفضيل الرجال على النساء
(٤) اشارة الى بعض اهل الجاهلية الذين كانوا يدفنون بناتهم حين يولدن

العنقاء[1]

لايليا ابو ماضي

انا لستُ بالحسناء اوّل مُولَعٍ هي مطمع الدنيا كما هي مطمعي

فاقصُصْ عليّ اذا عرفتَ حديثها واسكنْ اذا حدّثت عنها واخشع

أَلمحتَها في صورةٍ ؟ اشهدتها في حالة ؟ ارأيتها في موضع ؟

اني لذو نفس تهيمُ وانّها لجميلةٌ فوق الجمال الابدع

ويزيد في شوقي اليها أَنّها كالصوت لم يُسفِر ولم يتقنّع

فتّشتُ جيب الفجر عنها والدجى ومددت حتى للكواكب اصبعي

فاذا هما متحيّران كلاهما في عاشقٍ متحيّرٍ متضعضع

واذا النجوم لعلمها او جهلها مترجرجاتٌ في الفضاء الاوسع

رقصتْ اشعّتها على سطح الدجى وعلى رجاءٍ فيّ غير مشعشِع

. . . . .

والبحر — كم ساءلتُه فتضاحكت امواجهُ من صوتيَ المتقطّع

فرجعت مرتعش الخواطر والمنى كحمامة محمولةٍ في زعزع

وكأنّ اشباح الدهور تألّبت في الشطّ تضحك كلُّها من مرجعي

. . . . .

ولكم دخلتُ الى القصور مفتّشاً عنها، وعجتُ بدارسات الاربُع[2]

ان لاح طيف قلت: يا عين انظري او رنّ صوت قلت: يا أُذن اسمعي

فاذا الذي في القصر مثلي حائر واذا الذي في القفر مثلي لا يعي

. . . . .

---

(١) العنقاء طائر خرافي . وهو احد المستحيلات الثلاثة ويرمز به هنا الى السعادة او الحقيقة

(٢) اي وصلت الى الربوع الخالية

قالوا تورَّعْ انها محجوبةٌ الا عن المتزهّد المتورّع
فوأدتُ[1] افراحي وطلَّقت المنى ونسخت آياتِ الهوى من اضلعي
وحطمتُ اقداحي ولمَّا ارتوي وعففتُ عن زادي ولمَّا اشبع
وهجعت احسب انها بنت الرُّؤى فصحوت اسخرُ بالنيام الهجَّع
يا حبَّذا شَطَطُ الخيال وانما تُمحى مشاهدُهُ كأنْ لم تُطبع
لما حلمتُ بهـا حلمت بزهرةٍ لا تُجتنى ، وبنجمـةٍ لم تطلع
ثم انتبهت فلم اجد في مخدعي الا ضلالي والفراش ومُخدعي
من كان يشرب من جداول وهمه قطع الحياة بغُلَّةٍ لم تُنقع

. . . . .

ذهب الربيع فلم تكن في الجدولِ الشَّادي ، ولا الرّوض الاغنّ المُمرع
واتى الشتاء فلم تكن في غيمهِ الباكي ، ولا في رعدهِ المتفجّع
ولمحتُ وامضةَ البروق تخلتها فيها فلم تكُ في البروق اللمَّع
صفرت[2] يدي منها وبي طيشُ الفتى واضلَّني عنها ذكاء الالمعي
حتى اذا نشرَ القنوط ضبابهُ فوقي فغيَّبني وغيَّب موضعي
وتقطَّعت امراس آمالي بها وهي التي من قبلُ لم تتقطَّع
عصرَ الاسى روحي فسالت ادمعاً فلمحتها ولمستها في ادمعي
وعلمت حين العلم لا يُجدي الفتى أنَّ التي ضيَّعتها كانت معي !!

---

(١) وأدت دفنت (٢) صفرت خلت

من قصيدة على بساط الريح

لفوزي المعلوف[1]

يصف طيران الشاعر في الجو

قال نسر لآخرٍ : « أيُّ طيرٍ
هو هذا ؟

ومن رفاقهْ ؟
إن يكنْ قادماً الينا لخيرٍ
فلماذا ؟
علا زعاقه ؟

. . . . .

يا له طائراً بصورة شيطانٍ
يبثُّ اللهيب بركان صدرهْ
أَهو منّاً ؟ لا لا فلم أرَ جبّاراً
كهذا في الجوّ ما بين طيرهْ
انّ قلبي لموجسٌ منه شرّاً
رُح بنا نجتلي حقيقة أَمره
« آدميٌّ هذا » اجاب اخوه
« جاء يستعمر الأثير بأسره »

---

(١) توفي سنة ١٩٣٠ وهو في ريعان شبابه

« كُرة الارض عن مطامعه ضاقت
فحطّت هنـا مطامح فكره

نحن لم نهجر البسيطة الا
هرباً منه واجتناباً لشرّه »

« قم بنا نحشد الطيور وننقضُّ
عليه ، نجزيه من مثل غدره ! »

ودوتْ في الاثير صيحةُ حربٍ
ملأتهُ بنَسره وبصقره

هو حَشْدٌ أثار ضربُ خوافيه
غبارَ السحاب يعمي بذرّه

واذا بي[1] ما بين اجنحة سودٍ
على الافق حجّبت وجه بدره

طوّقتني بكل فاغر شِدقٍ
صامدٍ لي بمِخلبيه وظفره !

لا تخافي يا طيرُ ما أنا الاّ
شاعر تطرب الطيور لشعره

زاركِ اليوم متعباً يَنشد الراحة
في هدأة السكون وسحره

فرّ عن ارضه فِراركِ عنها
من أذى اهلها وتنكيل دهره !

---

(١) الضمير يرجع الى الشاعر الطائر

تلك بضعٌ من الدقائق مرّت
في خضمٍّ
من الخلودْ
هي مثل الاحلام زارت وفرَّت
أيُّ حلمٍ
ترى يعود !

. . . .

واذا بي اهوي الى الارض وحدي
بعد حرّيتي اكابد رقّاً

تركتني روحي وعادت لمأواها ،
تشقُّ الشعاع في الجوّ شقّاً

فرأيتُ اليراع قربي يوأّسيني ،
ويبكي لما لقيت والقى !

يا يراعي ما زلتَ خير صديقٍ
ليَ — منذ امتزجت بي — وستبقى

باسما من سعادتي حين أَهنا
باكياً من تعاستي حين اشقى !
كم حبيبٍ سلا وعهدك باقٍ
فهو اوفى من كل عهدٍ وابقى

أَنت رغم الجحود خلٌّ وفيٌّ
حوّل المستحيل غُولا وعنقا[1]...

رُبّ دمع كفكفته من عيوني
سال حبراً في الطِرّس يخفق خفقا

وعذابٍ نزعته من ضلوعي
أَجّ بين السطور يحرق حرقا

وزفيرٍ حوّلته لصريرٍ
ملأَ الخافقَين غرباً وشرقا

يا يراعي رافقتَ كل حياتي
فاروِ عنّي ما كان حقّاً وصدقا

انا لم القَ مثل صمتك صمتاً
حوّلته عرائس الشعر نطقا !!

. . . . .
. . . . .
. . . . .
. . . . .

---

(١) اشارة الى القول المعروف ان المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخل الوفي فكأنه يقول انك يا قلمي تخرج من حكم هذه الثلاثة لاني عرفت فيك الخل الوفي

فهرس الكتاب

من مؤلفات صاحب الكتاب

امراء الشعر العربي

في

العصر العباسي

يقع في نحو ٤٤٠ صفحة من القطع الكبير ٠ وهو دراسات تحليلية وافية لادب ثمانية من اشهر شعراء العرب ، وللجو السياسي والاجتماعي والفكري الذي نشأوا فيه ٠ وهم ابونواس — ابو العتاهية — ابو تمام — البحتري — أبن الرومي — المتنبي — المعرّي — ابن الفارض



تطور الاساليب النثرية

في

الادب العربي

يقع في نحو ٤٥٠ صفحة كبيرة٠ ويتناول النثر العربي وخصائصه الفنية منذ بزوغ الاسلام الى النهضة الاخيرة ، ويتخلله دراسات تحليلية لنخبة من

امراء الاقلام وعرض كثير من نصوصهم الانشائية

ولعله اول محاولة علمية لدرس الاساليب النثرية وتتبُّع تطورها مع الزمان

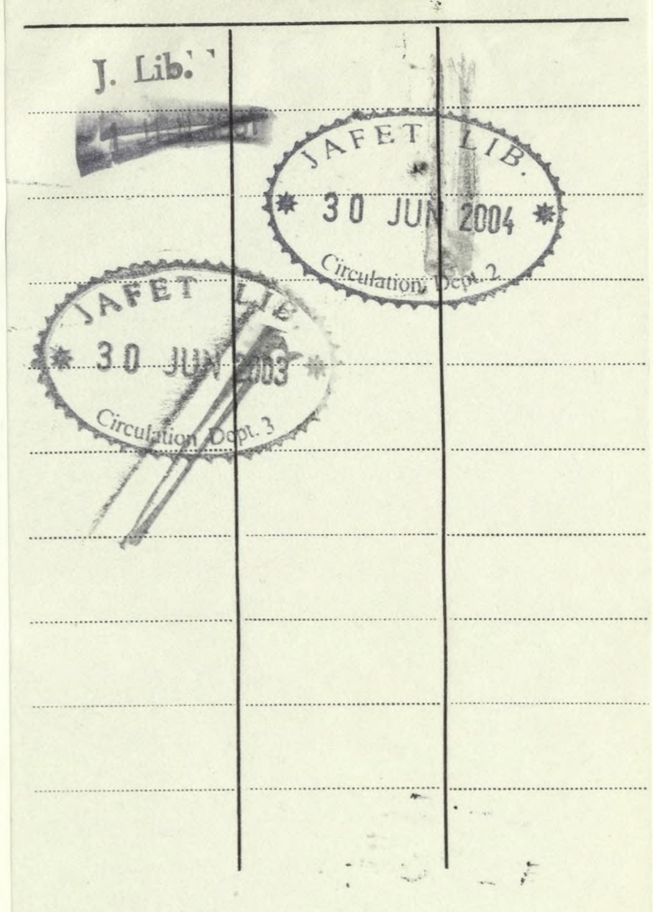
ديوان ابن الساعاتي

ينشر لاول مرّة عن نسخ خطية يرجع بعضها الى عهد الشاعر · مع مقدمة مسهبة في حياة الشاعر وشعره والمخطوطات التي اعتمدت في نشره وهو جزآن في ٧٠٠ صفحة ونيّف

العوامل الفعالة في الشعر الحديث

دراسات تحليلية للجو الذي نشأ فيه الشعر العربي الحديث وهي الاولى من نوعها · وقد نشر الجزء الاول منها حلقات متتابعة في مجلة **المقتطف** ثم جمعت في كتاب واحد ليسهل مطالعتها او الرجوع اليها

. . . . .


DATE DUE
J. Lib.
JAFET LIB.
30 JUN 2004
Circulation Dept. 2
JAFET LIB.
30 JUN 2003
Circulation Dept. 3

